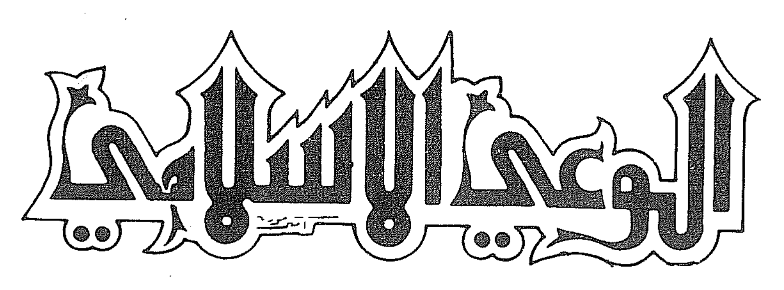


إسلامية ثقافية شهرية





AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة الثامنة عشرة

العدد ٢٠٧ ● ربيع الاول ١٤٠٢ هـ ● يناير ١٩٨٢ م

هـدفهـا

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصـدرهـا

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم : ٤٢٨٩٣٤ ـ ٤٤٩٠٥١

التوزيع والاشتراكات

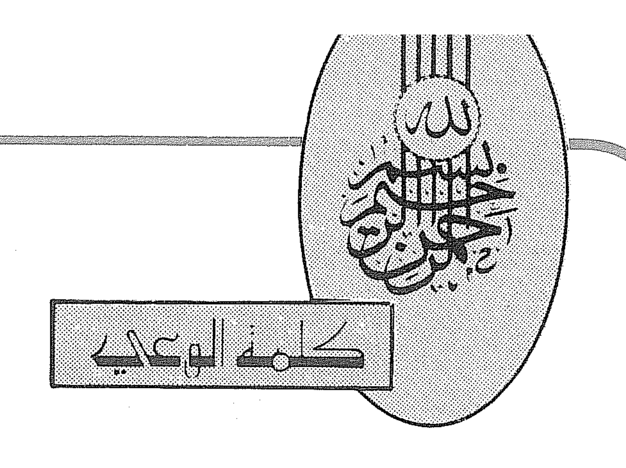
الشركة العربية للتوزيع (ش.م.ل)
ص. ب « ٤٢٢٨ » بيروت . لبنان
تلكس ARABCO 23032 LE

● الثمن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم

ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي



الله أعلم حيث يجعل رسالته

محمد بن عبد الله بن عبد المطلب هو رسول الله وخاتم النبيين ، ينتمي إلى أسرة عريقة بمكة من قبيلة قريش من فرع بني هاشم ، عرفت بالورع والتقوى أكثر مما عرفت بقوة السلطان ، وينسبه الأثر إلى نسل اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام .

ويجمع المؤرخون لحياته أنه ولد يوم الاثنين من الأسبوع الثاني من شهر ربيع الأول من عام الفيل ، ويذكر أوثق العلماء أن هذا التاريخ يوافق سنة خمسمائة واحدى وسبعين لميلاد المسيح عليه السلام .

ولد يتيما ، فقد مات أبوه قبل مولده بسبعة شهور ، ولما ولد عهد به إلى مرضعة بدوية هي (حليمة السعدية) حتى بلغ الرابعة ، ثم تولت أمه تربيته بمعاونة مربية هي (أم أيمن) لكنه لم يستمتع بحنان الأمومة طويلا إذ ماتت أمه وهو في السادسة

من عمره !! فكفله جده (عبد المطلب) وآثره بحنانه وعطفه ، ولكن لم يكد (محمد صلى الله عليه وسلم) يبلغ الثامنة حتى مات جده !! فكفله عمه (أبو طالب) الذي أولاه حبا أبويا خالصا رغم أنه لم يكن ميسور الحال لكثرة عياله .

خرج مع عمه في رحلة تجارية إلى الشام وسنه اثنا عشر عاما ، وهناك رآه الناسك المسيحي (بحيرا) وعندما تحدث معه لاحظ فيه بعض العلامات المنصوص عليها في الكتب المقدسة ، فاقترب من أبي طالب وقال له : (هذا الشاب سيقوم بدور عظيم في العالم ، فأرجعه إلى بلاده ، على عجل ، وإسهر عليه ، واحذر عليه من اليهود الذين قد يؤذونه لو علموا منه ما أعلم) .

وهكذا هيأ الله له من آواه وجبر يتمه ، حتى يكون إحساسه بمرارة اليتم وحلاوة الايواء أساسا لتوجيه الله له باكرام اليتيم والاحسان إليه والابتعاد عن قهره وإذلاله ، (**ألم يجدك يتيما فآوى**) .. (**فأما اليتيم فلا تقهر**) .

وقد قضى محمد صلى الله عليه وسلم شبابه إلى الخامسة والعشرين من عمره في حالة قريبة من الفقر ، فهو لم يرث عن أبيه وأمه الا أمة سوداء ، وقطيعا من الغنم ، وخمسة جمال ، وكان غالب عمله في تلك الحقبة رعي الغنم .. وقد كلفته أرملة واسعة الثراء من شريفات مكة هي (خديجة بنت خويلد) بمهمة تجارية إلى الشام فأنجزها بكامل اليقظة وبالغ النزاهة ، مما أكد عندها ذكاءه وأمانته ، فرغبت في الزواج به رغم الفارق المادي الكبير بينهما . ولما فاتحته في ذلك الأمر قبل رغم تباين السن ، فقد كان في الخامسة والعشرين وهي في الأربعين . وذلك لما عهده من حسن اخلاقها وكريم محتدها وكان هذا الزواج فرصة لرفع مستواه المادي . وصدق المولى جل شأنه في قوله : (**ووجدك عائلا فأغنى**) . ومن ثم أمر الله أن يشكره على نعمة الاغناء بعد العيلة قولا وعملا فقال تعالى : (**وأما بنعمة ربك فحدث**) .

وكان محمد صلى الله عليه وسلم يتميز بين أترابه الفتيان بخلقه النبيل ، وبصفة خاصة بحيائه الشديد ، وبعده عن اللهو الرخيص وعفته المطلقة .. وفي مشاغله اليومية لم يرتكب عملا يشينه ، ولم يشترك في عبادة الأوثان ، وكان يجذب اهتمام كل من يتعامل معه ، فأكسبه ذلك ثقة كبيرة في قلوب الناس مما جعلهم يسمونه بـ (الأمين) .

وبهذه الخصال الحميدة كان محمد صلى الله عليه وسلم وهو في ريعان شبابه يدعى لمجالسة رؤساء القبائل الموقرين في (حلف الفضول) . وكان هذا الحلف المكي يستهدف مساندة الضعفاء ، ورد الظلم عن المظلومين ، وإقرار السلام

بين القبائل ، والتصدي لمن يحاول العبث به . روى ابن اسحاق بسنده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في هذا الحلف : (لقد شهدت في دار عبدالله بن جدعان حلفا ما أحب أن لي به حمر النعم ، ولو أدعى به في الاسلام لأجبت) .

وكان أهم الأحداث التي وقعت بين تاريخ زواجه وتاريخ بعثته وهو في الخامسة والثلاثين اختلاف القبائل - وهم يقومون بترميم الكعبة - على وضع الحجر الأسود في مكانه ، إذ لم ترض قبيلة عن التنازل عن حقها ، وتفاقم النزاع ، وكادوا يمتشقون السلاح . ولكنهم إشفاقا على أنفسهم من ويلات الحرب وآثارها عقدوا اجتماعا أخيرا قرروا فيه أن يحتكموا في هذا الموضوع إلى أول شخص يدخل عليهم من باب بني شيبه .. وشاءت الأقدار أن يكون الشخص الداخل (محمدا) فلما رأوه صاحوا مبتهجين : (الأمين . الأمين) وعرضوا الأمر عليه ، فأسرع - بذكائه ونزاهته - بأن بسط رداءه على الأرض ، ووضع بيديه الحجر الأسود وسط الرداء ، ثم طلب إلى رؤوساء القبائل أن يمسك كل منهم بطرف من أطرافه ، وأن يرفعوه معا إلى المستوى المطلوب . وعندما وصلوا بالحجر إلى المكان المخصص له أخذ محمد صلى الله عليه وسلم الحجر بنفسه ووضعه مكانه ، فساد الرضا بين جميع الحاضرين واستتب السلام بين القبائل .

ومحمد صلى الله عليه وسلم الذي كان قبل بعثته على درجة ممتازة من الأخلاق السامية كانت تحيط به جاهلية مضطربة التصورات والعقائد ، منحرفة السلوك والأوضاع ، وما كان يؤنس عنده بعض المعارف المذهبية ، لأنه لم يكن يدري ما الكتاب ولا الايمان (**وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان**) . ولم يكن حظه أكثر من حظ قومه من حيث معرفة القصص الديني (**تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا**) .

ولم يكن في حسبانه أنه يكلف بدور المرسل من عند الله (**وما كنت ترجو أن يلقي إليك الكتاب إلا رحمة من ربك**) . كما لم يكن يعرف كيف يرشد نفسه إلى الطريق الواضح القويم ، والله تعالى هو الذي أرشده بالوحي (**ووجدك ضالا فهدى**) .. (**وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما**) . ومن ثم أمره الله تعالى أن يكون رفيقا بالسائل في العلم ، وألا يكون جبارا ولا متكبرا ، ولا فظا غليظ القلب (**وأما السائل فلا تنهر**) .. (**فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب**

لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين) .

لقد نزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في الأربعين من عمره ، وكان نزوله منجما ومجزءا على مدى ثلاث وعشرين سنة ، فبلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح للأمة ، وجاهد في الله حق جهاده ، وأقام الدولة الاسلامية ـ كما أمر الله ـ على قواعد الحق والعدل ، والنظافة والطهر ، والتقدم والنهوض ، وبذلك أوجد الحضارة الانسانية الفذة التي يعيش الناس في ظلها آمنين مطمئنين ، يقدمون الخير ويعيشون فيه ، ويكافحون الشر ، وينأون عنه . وصدق الله تعالى في قوله : **(وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)** .

ولقد شهد أعدى أعداء الاسلام أبو سفيان بن حرب قبل أن يسلم بسنتين بنقاء نسب الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وأمانته وصدقه ، وما تحمله دعوته من مكارم . وذلك في إجاباته على أسئلة (هرقل) عظيم الروم حين استدعاه ليسأله عن هذا الرسول الذي أثار دهشته بكتابه الذي يدعوه فيه إلى الاسلام .. وانا لنرى في تعليق (هرقل) على إجابات أبي سفيان رجاحة العقل وسعة الأفق ، وأن العقول السليمة متى سلمت من الأهواء المضلة فانها تهتدي إلى الحق وتسلك سبيل الرشد .

أمر (هرقل) ترجمانه أن يقول لأبي سفيان :

سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب . فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها .

وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول قبله فقلت : لا ، فلو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت رجل يأتي بقول قيل قبله .

وسألتك هل كان من آبائه من ملك فذكرت أن لا . فلو كان من آبائه من ملك لقلنا رجل يطلب ملك أبيه .

وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال فقلت : لا . فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله .

وسألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه . وهم أتباع الرسل .

وسألتك أيزيدون أم ينقصون فذكرت أنهم يزيدون . وكذلك أمر الايمان حتى يتم .

وسألتك أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه فقلت : لا . وكذلك الايمان حين تخالط بشاشته القلوب .

وسألتك هل يغدر ، فقلت : لا . وكذلك الرسل لا تغدر .

وسألتك بما يأمركم فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وينهاكم عن عبادة الأوثان ، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف .

فان كان ما تقول حقا فسيملك موضع قدمي هاتين .. وقد كنت أعلم أنه خارج ، لم أكن أظن أنه منكم ، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه ، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه . ثم دعا بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي بعث به إليه فقرأه .

يقول أبو سفيان : فلما قال (هرقل) ما قال وفرغ من قراءة الكتاب كثر عنده الصخب وارتفعت الأصوات وأخرجنا . فقلت لأصحابي ـ حين أخرجنا ـ : لقد أمر أمر ابن أبي كبشة أنه يخافه ملك بني الأصفر ، فما زلت موقنا أنه سيظهر حتى أدخل الله على الاسلام .

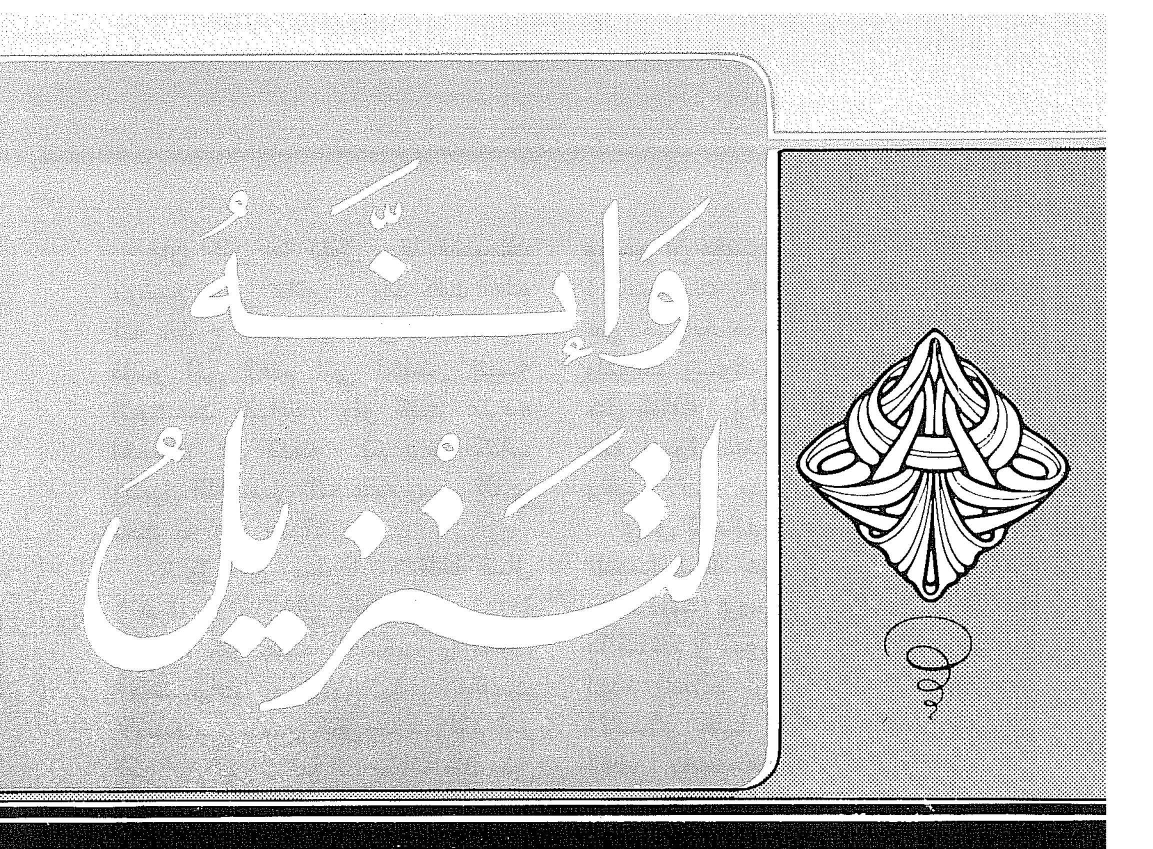
هذا محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب الذي أرسله الله شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله باذنه وسراجا منيرا ، فأخرج الناس من الظلمات إلى النور ، وهداهم إلى صراط العزيز الحميد .

هل للمسلمين ـ وقد نزلت بهم المحن نتيجة الابتعاد عن هداية الله ـ أن يعودوا لمنهج الحق الذي أنزله الله وبينه رسوله ، وأن يدركوا أن أي اتجاه لغير طريق الاسلام اتجاه ضال تشقى به الحياة ولا تسعد ، وتذل به الأمم ولا تنهض ؟؟ وهل لهم وهم في ذكرى مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتدبروا قول الله تعالى : (فاستمسك بالذي أوحى إليك أنك على صراط مستقيم، وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون) . **وقوله جل شأنه :** (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا)

وهل للعالم المضطرب بالأهواء الجانحة عن العدل ، المفعم بالأنانية وحب الذات ، المولع بالتحكم في أمور المستضعفين ، هل لهذا العالم أن يفيىء إلى رحاب الاسلام طلبا لحل المشاكل التي تقض مضجعه وتقلق راحته والتماسا لرحمة الله وفضله ، واستجابة لندائه السامي ، (يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا، فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم إليه صراطا مستقيما)

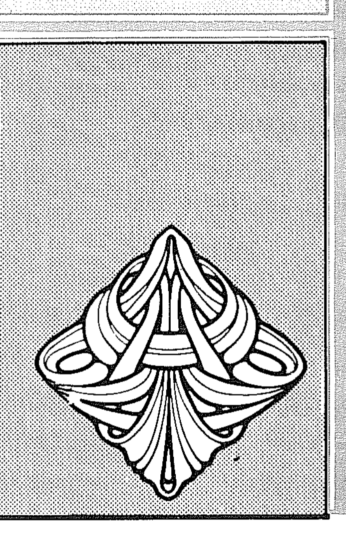
إنا لنرجو ونأمل .. والظلام المخيم لن يزيدنا إلا تفاؤلا ، فليس بعد سواد الليل إلا صبح مشرق ، وليس بعد الأزمات الخانقة إلا فرج قريب ، ولا يأس مع الايمان (إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون) .

رئيس التحرير
محمد الأباصيري



وما ينطق عن الهوى

لهج كثير من المبشرين والمستشرقين وغلوا في معاداة الاسلام والكيد له ، وتأثر بهم بعض المستغربين من الشرقيين وبعض ضعفاء الايمان من المسلمين ، فادعوا ان القرآن الكريم من تأليف محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم ، وزعموا ان اسلوب السور المكية غير اسلوب السور المدنية ، لان محمدا في زعمهم تأثر باليهود في المدينة وما توارثوه من حضارة وفلسفة وتاريخ ومنطق وقالوا ان هذا يتجلى في الآية الكريمة : « **لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا**) الانبياء / ٢٢ فهي قضية منطقية لها مقدمة ونتيجة عقلية ، وما كان محمد ليقولها في مكة حيث كان يعيش بين قوم اميين تفشت فيهم الجهالة والسذاجة ـ وفات القائلين ان الآية وردت في سورة الانبياء وهي سورة مكية كما في جميع المصاحف وفي كتب العلوم القرآنية





للاستاذ / علي عبدالعظيم

إنْ هُوَ إلاّ وَحْيٌ يُوحَى

كالبرهان للزركشي والاتقان في علم القرآن للسيوطي وان جميع آيات السورة مكية . ومن الخير ان نسوق الادلة العقلية والبراهين المنطقية التي تقرر ان القرآن الكريم ليس من صناعة محمد ولكنه : « **تنزيل رب العالمين . نزل به الروح الامين** » الشعراء / ١٩٢ ، ١٩٣ تثبيتا للايمان في نفوس ابنائنا الشبان ودحضا للشبهات والافتراءات ، فنقول وبالله التوفيق ومنه المعونة وعليه الاعتماد .

اولا : كان الرسول صلى الله عليه وسلم اميا لا يقرأ ولا يكتب (**وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون**) العنكبوت / ٤٨ فما دخل كلية من الكليات ولا جامعة من الجامعات ومع ذلك جاءنا بتشريع دستوري

كامل اصيل ، عالج فيه شؤون الرجال والنساء والافراد والجماعات وشرع للامة العربية والامم الاخرى ، ونظم حالات السلم والحرب ، وتناول الوصية والميراث والبيع والشراء والفضائل الخلقية ، كما تناول حقوق الانسان التي لم يعرفها العالم الا في ديسمبر ١٩٤٨ عقب الحرب العالمية الثانية بعد حوالي ١٤ قرنا من ظهور الاسلام ، وقد اثبت التطبيق العملي لهذه الشريعة صلاحيتها التامة لكل زمان ومكان في جميع البيئات والظروف والملابسات وقد ساد المسلمون العالم يوم تمسكوا بهذه الشريعة الغراء وما تخلفوا الا حين تخلوا عنها وافتتنوا بالشرائع البشرية وعملوا بها . واصدار قانون تشريعي الآن يحتاج الى عدة لجان لدراسته يتم عرضه على مجالس النواب ثم على مجالس الدولة ثم على وزارات العدل لمختلف الشعوب . وعند عرضه للتطبيق العملي يتضح ما فيه من عيوب تتجافى به عن العدل المنشود ، فيعاد فيه النظر مرات ومرات من كبار المشرعين .

فرجل واحد مثل محمد لم يدرس الشرائع والقوانين ولم ينل قسطا من الثقافة القانونية ثم يجيئنا بهذه الشريعة الغراء ، دليل على انها ليست من صناعته وانما هي تنزيل رب العالمين .

ولقد اعترف كبار رجال القانون في العالم بأهمية هذه الشريعة الغراء واصالتها وصلاحيتها للتطبيق في مختلف الامم والشعوب ، حيث اصدر مؤتمر القانون الدولي في لاهاي بهولندا سنة ١٩٣٧ قرارا بان الشريعة الاسلامية شريعة اصيلة كاملة متكاملة ، وأهاب بالدول الاسلامية ان تقنن هذه الشريعة ليتسنى الانتفاع بها للدول الاخرى ، وتكررت هذه التوصية في عدة مؤتمرات قانونية دولية متوالية مؤلفة من جهابذة رجال القانون في العالم كل عشر سنوات .

ثانيا : تناول القرآن الكريم صفحات من تواريخ الامم السابقة للاسلام لم تكن معروفة لا يغالها في القدم ، وما كان محمد صلى الله عليه وسلم مؤرخا ولا ملما بدراسة اللغات القديمة كالهيروغيلفية والحميرية والعبرية وغيرها ولا كان احد من العرب يعرف هذه الاحداث التاريخية : « **تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين** » هود / ٤٩ .

ونستطيع ان نضرب مثلا بقصة ملكة سبأ التي وصفها القرآن الكريم بأنها (**أوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم**) النمل / ٢٣ وقد اثبتت الدراسات التاريخية ازدهار هذه المملكة وان حضارتها كانت تضارع حضارة قدماء المصريين وان اهلها برعوا في اقامة السدود المائية العظيمة والقنوات العديدة الممتدة منها الى جميع ربوع المملكة بحيث يسير المسافر في جميع الطرق فيجد الحدائق الغناء تحف به من يمين وشمال : (**لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور**) سبأ / ١٥ .

ان محمدا النبي الامي لم يصف هذه الحضارة من عند نفسه وانما هو تنزيل رب

العالمين،نزل به الروح الامين .
ويعقب القرآن الكريم على بعض الأحداث بان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يشهدها وما كان له ان يشهدها لتطاول القرون ولكن الله اوحاها اليه ، فيعقب على قصة يوسف وكيد اخوته له بقوله تعالى : (**ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ أجمعوا امرهم وهم يمكرون**) يوسف / ١٠٢ .
ويعقب على قصة موسى عليه السلام بقوله تعالى : (**وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين . ولكنا انشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا في اهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين . وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوماً ما اتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون**) القصص/ ٤٤ ـ ٤٦ .
ويعقب الله سبحانه وتعالى على اقتراع كهنة بني اسرائيل على ايهم يفوز بكفالة السيدة مريم العذراء فيقول تعالى : (**وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون**) آل عمران / ٤٤ .
ثالثا : الانباء بالماضي السحيق قد تتناوله الألسنة فينتقل من جيل الى جيل اما الانباء بالمستقبل القريب او البعيد فهو فوق طاقة البشر ـ وقد حفل القرآن الكريم ببعض الانباء الآتية وتم وقوعها طبق الاصل على مدى قريب او بعيد فمثلا حدث في غزوة بدر وكانت قريش اكثر من المسلمين عددا واوفر عدة وامضى سلاحا ولكن الرسول صلوات الله وسلامه عليه اشرف عليهم وهو يتلو قوله تعالى : (**سيهزم الجمع ويولون الدبر**) القمر / ٤٥ وما هي الا ساعات قليلة حتى انهزمت قريش وولت الادبار فمن انبأ محمدا بهذه النتيجة قبل وقوعها ومن أدراه ان الامر ربما كان على غير ما اعلنه :
وحينما التحمت الامبراطورية الفارسية بالامبراطورية الرومانية وهزمتها هزيمة ساحقة بقيادة سابور ملك الفرس فرح المشركون فرحا شديدا لانهم جعلوا هذه النتيجة انتصارا للوثنية التي تمثلها الامبراطورية الفارسية على اهل الكتاب الذين يمثلهم الرومان وحزن المسلمون ـ وكان المؤرخون يرون الهزيمة ساحقة وانه لا سبيل لانتصار الروم الا بعد عشرات السنين فنزل قوله تعالى : (**آلم . غلبت الروم . في ادنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون . في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون . بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم . وعد الله لا يخلف الله وعده**) الروم / ١ ـ ٦ روى الترمذي :
« ان المشركين لما سمعوا هذه الآيات قال اناس منهم لأبي بكر فذاك بيننا وبينكم زعم صاحبكم ان الروم ستغلب فارس في بضع سنين ، افلا نراهنك على ذلك ؟ قال : بلى ـ وذلك قبل تحريم الرهان فارتهن ابو بكر والمشركون وتواضعوا الرهان وقالوا لأبي بكر كم تجعل ؟ البضع ثلاث سنين الى تسع سنين قسم بيننا وبينك وسطا نحتكم اليه قال فسموا بينهم ست سنين فمضت ست السنين قبل ان يظهر الروم فأخذ المشركون رهن ابي بكر فلما دخلت السنة السابعة ظهرت الروم على

فارس فعاب المسلمون على ابي بكر تسميته ست سنين لأن الله يقول في بضع سنين قال فأسلم عند ذلك ناس كثير) قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح فمن اعلم محمدا صلى الله عليه وسلم ان الروم ستظهر على الفرس في بضع سنين بعد ان هزمهم الفرس هزيمة ساحقة واضطروا ملكهم هرقل الى اللجوء الى القسطنطينية وحاصروهم فيها مدة طويلة ولم يكن يخطر ببال انسان ان الروم سيهزمون الفرس في هذه الفترة اليسيرة .

وفي صلح الحديبية عاد المسلمون الى المدينة بعد ان تعهد المشركون لهم بتمكينهم من اداء العمرة بالمسجد الحرام في العام التالي ولم يكن احد يدري أيوفون بالعهد ام ينقضونه ؟ فنزل قوله تعالى : (**لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون فجعل من دون ذلك فتحا قريبا**) الفتح/ ٢٧ . والخبر في الآية مؤكد بلام القسم ونون التوكيد فمن ادرى محمدا ان المشركين سيسمحون له ولاصحابه بالعمرة ومن اعلمه ان العمرة سيعقبها فتح قريب هو فتح مكة ، قد ينقض المشركون عهدهم ويغدرون وطبيعتهم الغدر ، ولكن الآية تؤكد ما يحدث بعد عام تأكيدا جازما وليس ما فيها من عند محمد صلى الله عليه وسلم ولكنه تنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين .

رابعا : لو كان القرآن الكريم من تأليف محمد لجارى فيه ميوله واهواءه ولم يخالفهما ولكن القرآن الكريم جزم بما يناقض ميوله صلى الله عليه وسلم فقد كان يود من صميم قلبه ان يسلم عمه ابو طالب ولكن القرآن الكريم صدمه بما يعارض رغباته فقال تعالى : (**انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء**) القصص / ٥٦ فقد ثبت في الصحيحين أن هذه الآية نزلت في ابي طالب عم الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد كان يحوطه وينصره ويقوم في صفه ويحبه حبا طبيعيا لا شرعيا - قال الزهري : حدثنا سعيد بن المسيب عن ابيه : « لما حضرت ابا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد عنده ابا جهل بن هشام وعبدالله بن ابي امية بن المغيرة فقال صلى الله عليه وسلم : يا عم ، قل لا اله الا الله كلمة احاج لك بها عند الله ، فقال ابو جهل وعبدالله بن امية : يا أبا طالب اترغب عن ملة عبدالمطلب ؟ فلم يزل رسول الله يعرضها عليه ويعودان له بتلك المقالة ، حتى كان اخر ما قال : هوعلى ملة عبدالمطلب وابي ان يقول لا اله الا الله وقد جاء القرآن الكريم بمايناقض رغبة الرسول صلى الله عليه وسلم لانه ليس من تأليفه وانما هو (**تنزيل رب العالمين . نزل به الروح الامين**) .

ومن الامثلة الواقعية على مناقضة القرآن الكريم لرغبة الرسول صلى الله عليه وسلم موقفه من عبدالله بن ابي بن سلول زعيم المنافقين بالمدينة فقد كان يهادنه على الرغم من نفاقه . مجاملة منه صلى الله عليه وسلم لابنه الصحابي الجليل القوي الايمان عبدالله . وحدث ان استأذن هذا الصحابي الكريم الرسول صلى الله عليه وسلم في ان يقتل اباه لنفاقه قائلا : « انا ابر الناس بأبي يا رسول الله والانصار

جميعا يعلمون هذا ، ولكنه منافق يكيد للاسلام واخشى ان يقتله احد المسلمين فتأخذني العزة بالاثم فأقتله ، فاقتل مسلما بكافر فيكون مصيري الى النار فأذن لي ان ا قتله انا) فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك لان الاسلام لا يبيح قتل من نطق بشهادة التوحيد ولو نطقها نفاقا .

وحدث ان عبدالله بن ابي كاد في احدى المواقع ان يثير فتنة بين المهاجرين والانصار حين تخاصم غلام لأحد المهاجرين مع غلام لأحد الانصار ، فاستغاث الاول بالمهاجرين واستغاث الثاني بالانصار ؛ فانتهزها عبدالله بن ابي فرصة وقال لقد صدق المثل : « سمن كلبك يأكلك » لقد اوينا المهاجرين واكرمناهم فاستطالوا علينا ، والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ، وبلغت هذه القالة ابنه عبدالله فانتظره خارج المدينة حتى عاد وامسك بتلابيبه ، واقسم الا يمكنه من دخولها حتى يعترف بان العزة لله ورسوله والمؤمنين فاضطر الى الاعتراف بهذا - فلما مات حزن ابنه عبدالله عليه حزنا شديدا وذهب الى الرسول صلى الله عليه وسلم باكيا ورجاه ان يستغفر لابيه وان يعيره قميصه ليكفنه فيه وان يصلي عليه . قال البخاري : « ... فأعطاه القميص ثم قام ليصلي عليه فقام عمر فأخذ بثوب النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله تصلي عليه وقد نهاك ربك ان تصلي عليه ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : انما خيرني الله فقال : (**استغفر لهم اولا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم**) قال عبدالله بن عمر قال : فصلى عليه وصلينا معه وانزل الله قوله (**ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون**) ومن المعروف ان الصلاة على الموتى استغفار لهم .

وجاء القرآن الكريم مناقضا لميول النبي صلى الله عليه وسلم لانه ليس من تأليفه وانما هو تنزيل رب العالمين . نزل به الروح الأمين .

خامسا : لو كان القرآن من تأليف محمد بن عبدالله ما ورد فيه العتاب الشديد للنبي صلى الله عليه وسلم في مواقف عديدة مثل موقفه صلى الله عليه وسلم من ابن ام مكتوم الاعمى فقد ذكر لفيف من الرواة الثقات ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يناجي عتبة بن ربيعة وابا جهل بن هشام والعباس بن عبدالمطلب من زعماء قريش - وكان يطمع في اسلامهم واسلام عدد من اتباعهم باسلامهم فاقبل اليه رجل اعمى يقال له عبدالله بن ام مكتوم وهو يناجيهم ، فقاطع النبي صلى الله عليه وسلم وقال : يارسول الله ، علمنى مما علمك الله ، فأعرض عنه صلى الله عليه وسلم وظهر العبوس على وجهه فليس من الآداب المرعية في الاحاديث ان تقاطع من يتحدث الا لضرورة وابن ام مكتوم لم يشاهد العبوس ، فعاتب الله رسوله في هذا الموقف عتابا شديدا فان ابن ام مكتوم لم يرالعبوس ولكنالله رآه قال تعالى : (**عبس وتولى . ان جاءه الاعمى . وما يدريك لعله يزكى . او يذكر فتنفعه الذكرى . اما من استغنى . فانت له تصدى . وما عليك الا يزكى . واما من جاءك يسعى . وهو يخشى . فانت عنه تلهى**) عبس / ١ - ١٠ فأكرم النبي

صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآيات ابن ام مكتوم وكان يقبل عليه ويحتفي به ويكرمه حين يلقاه قائلا « اهلا بمن عاتبني ربي فيه » وكان يوليه احيانا حكم المدينة حين يغادرها في احدى غزواته .

ومن مواقف عتاب الله سبحانه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما حدث في موقفه من زيد بن حارثة الذي تبناه الرسول وزوجه بابنة عمته زينب بنت جحش الاسدية وكانت جميلة حسيبة ، وزيد كان عبدا رقيقا اشترته السيدة خديجة واهدته الى الرسول صلى الله عليه وسلم قبل البعثة ليقوم على خدمته ، وكان أبوه شيخ قبيلة ولكن تجار الرقيق اختطفوا زيدا وباعوه في الاسواق ، فانتقل من يد الى يد حتى اشترته خديجة واهدته الى النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة فقام على خدمته ، وطلبه ابوه وعمه كعب حتى جاءا الى الرسول صلى الله عليه وسلم فقالا له يا ابن عبدالمطلب ، انك رجل كريم وابننا عندك وقد جئنا لنفتديه بما تطلب من الفداء فامنن علينا واحسن الينا في فدائه فقال من هو ؟ قالا زيد بن حارثة فقال صلى الله عليه وسلم : « فهلا غير ذلك ؟ قالا ما هو ؟ فقال : ادعوه وخيروه ، فان اختاركم فهو لكم وان اختارني فوالله ما انا بالذي اختار على من اختارني احدا فقالا : قد زدتنا على الانصاف واحسنت ، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هل تعرف هذين ؟ قال نعم ، هذا ابي وهذا عمي قال : فانا من قد عرفت ورأيت صحبتي لك فاخترني او اخترهما قال زيد : ما اريدهما وما انا بالذي اختار عليك احدا ، أنت مني مكان الاب والعم فقالا ويحك يا زيد اتختار العبودية على الحرية ؟ وعلى ابيك واهل بيتك ؟ قال : نعم قد رأيت من هذا الرجل شيئا ما أنا بالذي اختار عليه احدا ابدا ، فلما رأى النبي ذلك اخرجه الى الحجر فقال يا من حضر اشهدوا ان زيدا ابني يرثني وارثه ، فلما رأى ذلك ابوه وعمه طابت نفسيهما وانصرفا ، وبعد هذا منع القرآن عادة التبني قال تعالى : (**ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله**) الاحزاب / ٥ وكان من عادة العرب الا يتزوج الرجل امرأة من تبناه . ولكن الله اراد لمحمد صلى الله عليه وسلم ان يكون قدوة في نقض هذه العادة فيتزوج امرأة زيد ، « السيدة زينب بنت جحش » .

وكانت في اعتزازها بحسبها تبدو منها بوادر تسيء زيدا فيشكو الى الرسول صلى الله عليه وسلم فيقول له : (**أمسك عليك زوجك**) واتق الله وهو يعلم ان الله قد جعلها من نسائه فنزل قوله تعالى معاتبا رسوله : (**واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق ان تخشاه فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا وكان امر الله مفعولا**) الاحزاب / ٣٧ .

ويخترع المبشرون والمستشرقون اكاذيب ينسبون فيها الى النبي صلى الله عليه وسلم مفتريات يتخذونها وسيلة للطعن في عصمته ، فقد ذكروا ان نظره وقع على زينب في بيت زوجها فعشقها وقال : « سبحان مقلب القلوب » واحس زيد ذلك

فعرض على الرسول ان يطلقها فقال له : (**أمسك عليك زوجك واتق الله**) والمعروف ان الرسول صلى الله عليه وسلم يعرفها منذ نشأتها معرفة صادقة وكان يستطيع ان يبني بها وهي عذراء فلا يترقبها حتى تصبح ثيبا ، وهي قد تزوجت زيدا على مضض منها ومن اسرتها ، ولولا رغبة الرسول صلى الله عليه وسلم في اتمام هذا الزواج ما تم . وزيد هو الذي كان يلح في تطليقها وكان الرسول صلوات الله وسلامه عليه يستمهله وينصحه بالتمسك بزوجته .

قالت عائشة رضي الله عنها : « لو كان محمد صلى الله عليه وسلم كاتما شيئا مما اوحى اليه من كتاب الله تعالى لكتم » هذه الآية : (**وتخشى الناس والله احق ان تخشاه**) رواه البخاري ومسلم .

وما كان له ان يكتم شيئا لان القرآن من عند الله وليس من عنده ، وانما هو (**تنزيل رب العالمين . نزل به الروح الامين**)

ومن الوان العتاب العديدة التي وردت في القرآن الكريم موجهة من الله الى رسوله وكان الرسول يستطيع اخفاءها لو كان من تأليفه ولكنها وحي يوحى ، من هذه الالوان ما قرره القرآن الكريم في موضوع اسري بدر حيث قال تعالى : (**ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم . لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم**) الانفال / ٦٧ و ٦٨ والعتاب هنا قائم على ان الرسول صلى الله عليه وسلم كان عليه ان يمعن في قريش تنكيلا حتى يكسر شوكتهم ويوهن قوتهم وحتى لا يعودوا الى حربه مرة اخرى ، وكان من رأي ابي بكر العفو عن الأسرى واخذ فدية منهم ، وكان رأي عمر ضرب اعناقهم . وجمهرة المفسرين على ان القرآن الكريم وافق رأي عمر مع ان القرآن الكريم يقول ان الاثخان في الارض ينبغي ان يتم قبل الاسر قال تعالى : (**فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فامّا منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب اوزارها**) محمد / ٤ واذا كان هناك من وافقت الآية الكريمة رأيه فهو سعد بن معاذ فقد كان يكره الأسرى قبل الاثخان فلو كان القرآن من صناعة محمد ما وجه فيه هذا العتاب الشديد الى نفسه ولكنه (**تنزيل رب العالمين . نزل به الروح الامين**) .

سادسا : كشف الاحداث الغيبية فقد حدثت بعض الامور بالغ اصحابها في كتمانها ولكن القرآن الكريم كشف عنها الستار واطلع الرسول واصحابه على ما خفي من الامور فقد حدث ان بني ابيرق وهم قوم ضعفاء الايمان نقبوا دارا لرفاعة ابن زيد وسرقوا ادرعا له وقيل ان السارق هو بشير بن ابيرق وحده ، دون اخوته ، ورفع الامر الى الرسول صلى الله عليه وسلم فلما علم السارق بذلك عمد الى الدروع فالقاها في بيت رجل بريء وقال لنفر من عشيرته اني غيبتها والقيتها في بيت فلان ، وستوجد عنده فانطلقوا الى نبي الله صلى الله عليه وسلم ليلا وقالوا يا نبي الله ان صاحبنا بريء وان صاحب الدروع فلان وقد احطنا بذلك علما فاعذر صاحبنا على رؤوس الناس وجادل عنه فنزل قوله تعالى : (**انا انزلنا اليك الكتاب بالحق**

لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما . واستغفر الله ان الله كان غفورا رحيما . ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم ان الله لا يحب من كان خوانا اثيما . يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم اذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا . ها انتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامةام من يكون عليهم وكيلا . ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما . ومن يكسب إ ثما فانما يكسبه على نفسه وكان الله عليما حكيما . ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا . ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم ان يضلوك وما يضلون الا انفسهم وما يضرونك من شيء وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما) النساء / ١٠٥ _ ١١٣ .

وما كان محمد صلى الله عليه وسلم ليعلم ما تم في الخفاء لولا ان الله اطلعه عليه وعلمه ما لم يكن يعلم وكان فضل الله عليه عظيما فما كان القرآن الكريم من تصنيفه وانما هو (**تنزيل رب العالمين . نزل به الروح الامين**) .

ومثل هذه المواقف تعددت في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقد حدثت مفاداة الاسرى عقب غزوة بدر ، وكان من بينهم العباس عم الرسول صلى الله عليه وسلم وكان غنيا ، ولكنه تظاهر بالفقر طمعا في اقلال الفدية واطمعه في ذلك لين الرسول صلى الله عليه وسلم ، فادعى انه اسلم من قبل وانه حضر الغزوة مع قريش مكرها لا محاربا ، فقال صلى اللهعليه سلم اما ظاهرك فكان علينا والله اعلم باسلامك وسيجزيك خيرا ، فادعى انه لا مال عنده يفدي به نفسه ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : فأين المال الذي اودعته ام الفضل وقلت لها لو اصبت في سفري هذا فهذا لبني : الفضل وعبدالله وقثم فقال العباس : والله اني لاعلم انك رسول الله ، ان هذا الشيء ما علمه الا انا وام الفضل ، فاخذ منه الرسول صلى الله عليه وسلم مائة اوقية من الذهب فداء له ولابني اخيه عقيل ونوفل ولحليفه عتبة بن عمرو ، ولما عاد الرسول صلى الله عليه وسلم من غزوة بني المصطلق ومعه الاسرى وفيهم جويرية بنت الحارث زعيم بني المصطلق وجاء ابوها يطلب فداءها ونظر للابل التي جاء بها للفداء فرغب في بعيرين منها فغيبهما في شعب من شعاب العقيق ثم جاء الى النبي فقال يا محمد اصبتم ابنتي وهذا فداؤها فقال صلى الله عليه وسلم : فأين البعيران اللذان غيبتهما بالعقيق في شعب كذا ؟ فقال الحارث : اشهد ان لا اله الا الله وانك يا محمد رسول الله فوالله ما اطلع على ذلك الا الله تعالى وحده ، فكيف علم محمد بهذا الامر ان الله علمه ما لم يكن يعلم وكان فضل الله عليه عظيما وما كان القرآن الكريم من تأليفه ولكنه (**تنزيل رب العالمين . نزل به الروح الامين**) .

سابعا : ما من كتاب مهما بلغت روعته ، حفظ لغته من الاندثار كما حفظ القرآن الكريم اللغة العربية فان اللغة العربية ظلت لغة حية نحو الفي عام مع انها تعرضت لاحداث عنيفة كادت تقضي عليها وبخاصة في عصر المماليك والاتراك ،

ونحن نعلم ان عباس الاول حاكم مصر حظر على طلبة الكلية الحربية ان يتحدث احدهم باللغة العربية ومن فعل الجمه بلجام عقابا له وسخرية منه طيلة يومه ، كما تعرضت العربية لغزوات التتار والفرنسيين والاتراك .
ومن طبيعة اللغات ان تتعرض للتغيير والتبديل كل مائتين او ثلاثمائة من الاعوام ، فقد انقسمت اللغة اللاتينية الى بضع لغات تخالف اصولها مخالفة تامة ، والانكليز المعاصرون يحتاجون الى من يشرح لهم لغة شكسبير الانجليزية والفرنسيون يحتاجون الى من يشرح لهم لغة كورني وراسين الفرنسية ، والايطاليون يحتاجون الى من يشرح لهم لغة دانتي الايطالية مع اننا نقرأ لغة المعلقات في العصر الجاهلي فنفهمها ونتأثر بها ونسمع قول عنترة .

ولقد ذكرتك والرماح نواهل منى وبيض الهند تقطر من دمي
فوددت تقبيل السيوف لانها لمعت كبارق ثغرك المتبسم

فنفهم عنه وننفعل معه ونشاركه في عواطفه الوجدانية لان اللغة هي اللغة ، واللغة العربية الان مزدهرة اعترفت بها هيئة الامم وجعلتها من اللغات العالمية الرسمية السائدة الان ، ويتحدث بها اكثر من مائة مليون عربي ويعبد الله بها نحو الف مليون من المسلمين يرددونها خمس مرات يوميا ، وما تم هذا الا بفضل القرآن الكريم قال الله سبحانه وتعالى : « **انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون** » الحجر ٩ .

وما حفظ لنا اللغة العربية الا القرآن الكريم لانه : (**تنزيل رب العالمين . نزل به الروح الأمين**) وحسب القرآن الكريم اعجازا انه فرض نفسه على محطات الاذاعة الاجنبية غير الاسلامية تذيعه في مستهل ارسالها وفي نهايته ، وليس ذلك بقوة العرب ولا بسيطرتهم ، وانما لما لهذا الكتاب الكريم من مكانة ومنزلة لا تدانيهما منزلة أي كتاب آخر من صناعة البشر لانه : (**كتاب عزيز . لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد**) فصلت/ ٤١ و ٤٢ .

والدارسون للغات يعلمون أن أكبر كتابها لا يستعملون من مفرداتها اكثر من ٥٪ خمسة في المائة ، وطبقوا هذا على شكسبير في اللغة الانكليزية ، وهو أكبر شعرائها وعلى غيره من الكتاب والشعراء .

اما القرآن الكريم فقد تناوله الدكتور علي حلمي موسى الاستاذ بكلية علوم عين شمس ، وأجرى تجربة فيه يحدثنا هو عنها قائلا « يعتبر القرآن الكريم من الناحية اللغوية قمة الاعجاز إن أي دراسة للقرآن تعطينا كنوزا وتفسيرات أوضح وأكبر وتثبت للعالم ان الدين لا يتعارض مع العلم بل يؤكده ... لقد قمت بتغذية الكمبيوتر بالالفاظ الموجودة في القرآن الكريم ... وتم شحن كل ذلك في ذاكرة الكمبيوتر بترتيب مخصوص ونظام معين واخترت معجم الصحاح ليكون الجهة الاخرى من المقارنة لانه يعتبر من أدق المعاجم في العربية الى جانب قربه من عهد

الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد اثبتت الدراسات ان القرآن الكريم استخدم ٣٠٪ ثلاثين في المائة من ألفاظ اللغة العربية وهذا يعتبر اعجازا لغويا كبيرا فان اغنى ادباء وشعراء العالم مثل شكسبير او العقاد لم يستخدموا سوى ٥٪ فقط من لغتهم ... كما ان الألفاظ التي استخدمت مرة واحدة في القرآن الكريم بلغت ٣٧٤ لفظا وهذا ايضا من الاعجاز اللغوي ...

كما أثبتت الدراسة أن لفظ الجلالة (الله) اكثر الالفاظ التي وردت في القرآن الكريم ثم كلمة (رب) تليها كلمة (آمن) واعتذر الدكتور علي حلمي موسى عن عدم قيامه بدراسة تفسيرية لهذه النتائج التي انتهى اليها العقل الالكتروني بأنه يكتفي بان يضعها امام علماء الدين المشتغلين بالدراسات القرآنية .

فلو كان القرآن الكريم من صناعة محمد ما زادت الاصول اللغوية فيه عن ٥٪ من متن اللغة العربية ولكنها ارتفعت الى ٣٠٪ لانه (**تنزيل رب العالمين . نزل به الروح الأمين**) .

ثامنا : العصمة من الناس :

روى الترمذي والحاكم وابن أبي حاتم وابن جرير عن السيدة عائشة رضي الله عنها : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس ليلا حتى نزلت الآية : (**والله يعصمك من الناس**) فأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من القبة فقال لهم : أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله » .

فلو كان القرآن من صناعة محمد ما اطمأن الى هذه الآية ولا صرف الحراس عن حراسته ولكنه تنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين فاطمأن الى وعد الله كل الاطمئنان وقد حفظه الله وعصمه من اليهود الذين دسوا له السم في شاة مذبوحة ، فنطقت واخبرته أنها مسمومة فامتنع عن أكلها وذلك بخيبر (راجع صحيح البخاري في كتاب المغازي) .

واخرج الشيخان عن النبي صلى الله عليه وسلم في احدى الغزوات أنه استظل بشجرة ونام تحتها ونام أصحابه في مواضع متقاربة فاذا بالرسول صلى الله عليه وسلم يدعوهم فذهبوا اليه واذا عنده أعرابي ، فقال صلى الله عليه وسلم ان هذا اخترط علي سيفي وأنا نائم فاستيقظت وهو في يده مصلتاً ، فقال من يمنعك مني ؟ فقلت : الله ثلاثا ، ولم يعاقبه .

تاسعا : الاستغراق في العبادة :

كان صلى الله عليه وسلم يطيل الصلاة في جوف الليل حتى تتورم قدماه تلبية لقوله تعالى : (**قم الليل إلا قليلا . نصفه أو أنقص منه قليلا . أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا**) المزمل/ ٢ ـ ٤ وكانت السيدة عائشة تشفق عليه وتتألم لما يعانيه

فتقول له : يا رسول الله رفقا بنفسك فقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، فيقول لها صلى الله عليه وسلم يا عائشة أفلا أكون عبدا شكورا ، ولو كان القرآن من تأليفه ما ألزم نفسه هذه المشقة ولا كابد فيها ما كابد ولا صام يوم الاثنين والخميس من كل اسبوع ، وانما هو تنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين .

والقرآن الكريم لو كان من تأليف محمد ما ذكر فيه ما وجهه المشركون اليه من لمز وتشهير ، فاننا لو أردنا أن ندرس ما ذكره الوثنيون من مناقضات للقرآن الكريم ، فاننا لن نجد الا مرجعا واحدا جمع ما قالوه هو القرآن الكريم ، ولو كان القرآن من صناعة محمد ما عني بتسجيل اقوال الوثنيين فيه ، ومن الامثلة على ذلك قولهم أنه اساطير الاولين قال تعالى : (**ومنهم من يستمع إليه وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقر وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى إذا جاءوك يجادلونك يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين**) الانعام/ ٢٥ .

وقال سبحانه : (**وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا**) الفرقان/ ٥ وقال تعالى : (**وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين**) النحل/ ٢٤ .

وقالوا عن القرآن الكريم انه : (**سحر يؤثر**) قاله الوليد بن المغيرة ومن مالأه ، قال تعالى فيه : (**إنه فكر وقدر . فقتل كيف قدر . ثم قتل كيف قدر . ثم نظر . ثم عبس وبسر . ثم أدبروا ستكبر . فقال إن هذا إلا سحر يؤثر . إن هذا إلا قول البشر**) المدثر/١٨ ـ ٢٥ .

وكلما واجههم بآية بينة قالوا هذا سحر مبين قال تعالى : (**بل عجبت ويسخرون . وإذا ذكروا لا يذكرون . وإذا رأو آية يستسخرون . وقالوا إن هذا إلا سحر مبين**) الصافات/ ١٢ ـ ١٥ وتواصلوا فيما بينهم أن يعرضوا عن القرآن اذا طرق اسماعهم وأن يمعنوا في اللغو والضجيج حتى لا يصل الى آذانهم قال تعالى : (**وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون**) فصلت/ ٢٦ وادعوا أنهم قادرون على الاتيان بمثله قال تعالى : (**وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذاإن هذاإلاأساطير الأولين**) الأنفال/ ٣١ .

وزعموا انه افك أعانه عليه بعض أنصاره قال تعالى : (**وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليهم قوم آخرون فقد جاءوا ظلما وزورا**) الفرقان/ ٤ .

وزعموا أنه يتعلم القرآن من غلام نصراني اسمه سيبعة أو بلعام اعجمي اللسان وهو حداد ويعمل عبدا عند بعض بني الحضرمي ولا يكاد يبين قال تعالى : (**ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين**) النحل/٣ . واذا أنذرهم بالبعث بعد الموت قالوا : **لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين**) النمل/ ٦٨

وقالوا لو كان القرآن خيرا لسبقنا نحن اليه محمدا فهو ليس بخير ولكنه إفك قديم قال تعالى : (**وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه و إذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم**) الأحقاف/ ١١ واذا طرق القرآن اسماعهم اسرعوا في الاعراض والانشغال عنه لاهين منصرفين : (**ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون . لاهية قلوبهم**) الانبياء/ ٢ و ٣ وأعلنوا هذا هاتفين : (**قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه و في آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون**) فصلت/ ٥ وقالوا عنه انه سحر مصنوع وافك مفترى قال تعالى : (**وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبدآباؤكم وقالوا ما هذا إلا إفك مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا إلا سحر مبين**) سبأ/ ٤٢ ويزعمون انه من صناعة محمد وانه تقوله وافتراه : (**أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون . فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين**) الطور/ ٣٣ و٣٤ ويتحدونه ليأتيهم بقرآن آخر غير هذا القرآن حينما يضيقون بأحكامه فيقولون له : (**ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لي أن أبد له من تلقاء نفسي إن آتبع إلا ما يوحي إلي إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم . قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون**) يونس/ ١٥ و ١٦ ويتحدون الرسول صلى الله عليه وسلم منكرين عليه نزول القرآن منجما : (**وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا . ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا**) الفرقان/ ٣٢ و ٣٣ وأعلنوا كفرهم بالقرآن الكريم وبما سبقه من الكتب السماوية : (**وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه**) سبأ/ ٣١ وزعموا أن القرآن ضرب من ضروب الشعر فقال تعالى في الرد عليهم : (**وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين**) يس/ ٦٩ .

وكانوا كثيرا ما يستمعون الى آيات الله ساخرين مستهزئين وقد اهاب الله تعالى بالمؤمنين ان ينصرفوا عن الكفار في هذه الأحوال قال تعالى : (**وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا**) النساء/ ١٤٠ وكان بعضهم يعدل عن الآيات المحكمات ويتتبع الآيات المتشابهات محاولا أن يصرفها عن وجوهها الى ما يرضيه من شهوات واهواء قال تعالى : (**هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا**) آل عمران/ ٧ وذلك مثلا أنهم سمعوا قوله تعالى : (**إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون**) الانبياء/ ٩٨ ضحكوا وكان السبب في ذلك كما ذكره محمد بن اسحق في السيرة

قال الوليد بن المغيرة زعم محمد أنا وما نعبد من آلهتنا هذه حصب جهنم ، فقال عبد الله بن الزبعري اما والله لو وجدته لخصمته ، سلوا محمدا اكل ما يعبد من دون الله في جهنم مع من عبده ؟ فنحن نعبد الملائكة واليهود يعبدون عزيرا والنصارى يعبدون المسيح ابن مريم فيعجب الوليد ومن كان معه في المجلس من قول عبد الله بن الزبعري ورأوا انه قد احتج وخاصم ، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « كل من أحب ان يعبد من دون الله فهو مع من عبده ، فانهم انما يعبدون الشيطان ، ومن أمرهم بعبادته ؟ وأنزل الله عز وجل : (**إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون**) الانبياء/ ١٠١ أي عيسى وعزير ومن عبد معهما من الاحياء والرهبان الذي مضوا على طاعة الله عز وجل فاتخذهم من عبدهم من أهل الضلالة اربابا من دون الله ، ونزل فيما يذكر من أنهم يعبدون الملائكة وانهم بنات الله : (**وقالو اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون**) الانبياء/ ٢٦ ... انتهى نقلا عن تفسير ابن كثير ونزيد على ما ذكره ابن كثير ان كلمة (ما) في الآية الكريمة (**إنكم وما تعبدون من دون الله**) تدل لغويا على غير العاقل غالبا فالمقصود بها انهم وما يعبدون من دون الله من اصنام وكواكب وأشجار وحيوان مصيرهم جميعا الى النار ـ وكانوا اذا سمعوا عبارة التوحيد أعرضوا ورموه صلى الله عليه وسلم بالجنون : (**إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون . ويقولون أإنا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون**) الصافات/ ٣٥ و ٣٦ واذا ذكرهم بالبعث والنشور صاحوا ساخرين : (**إن هي إلا موتتنا الأولى وما نحن بمنشرين . فأتوا بآبائنا إن كنتم صادقين**) الدخان/ ٣٥ و ٣٦ . (**وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون**) الجاثية/ ٢٤ (**وقال الذين كفروا أ إذا كنا تراباً و آباؤنا أإنا لمخرجون . لقد وعدنا هذا نحن و آباؤنا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين**) .

ومن المعروف ان كل مجرم أو مذنب يتلمس لتبرير جريمته أو ذنبه عذرا ما يسميه علماء النفس باسم التبرير ويسميه القرآن الكريم بالمعاذير يقول الله تعالى : (**بل الانسان على نفسه بصيرة . ولو ألقى معاذيره**) القيامة/ ١٤ و ١٥ ولم يغفل القرآن الكريم تسجيل تبريرات المشركين لشركهم ومعاذيرهم عن عبادة الاصنام قال تعالى : (**ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون**) يونس ١٨ وقال سبحانه : (**ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار**) الزمر/ ٣ ووصف امعانهم في البخل وتبريرهم له فقال سبحانه : (**وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه أن أنتم إلا في ضلال مبين**) يس /٤٧ .

ووصف القرآن الكريم مبلغ تعصبهم واسرافهم في المكابرة والعناد فقال تعالى : (**ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين**) الانعام/ ٧ وقال سبحانه : (**ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون . لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون**) الحجر/ ١٤ و ١٥ وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يتألم من عناد قومه وتكذيبهم له فواجههم الله بأنهم هم الكذابون لانهم يعلنون خلاف ما يعتقدون ، فانهم في قرارة انفسهم يعتقدون صدق الرسول وامانته وقد اطلقوا عليه لقب الامين ، واذا كانت لدى احدهم تحفة ثمينة لم يجد من يودعها عنده الا الرسول صلى الله عليه وسلم ثقة في امانته وصدقه ، والله سبحانه يواسي رسوله ويجابه المشركين بكذبهم فيقول : (**قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون**) الأنعام/٣٣ والاية مكية واجه بها الرسول قومه فلم يستطيعوا أن يواجهوه بالتكذيب او الادعاء .

ومن هنا نرى القرآن الكريم قد حفظ لنا اقوال المشركين كاملة بحيث لا نجد مصدرا آخر غير القرآن سجل لنا هذه الاقوال .

ولو كان القرآن من صناعة محمد ما سجل فيه اقوال خصومه الالداء ، ولكنه تنزيل رب العالمين.نزل به الروح الامين .

وكما سجل القرآن الكريم اقوال المشركين في القرآن سجل اقوالهم في الرسول صلى الله عليه وسلم فقد اتهموه بالكذب : (**وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل**) الانعام/ ٦٦ وذلك لانهم استبعدوا ان يرسل الله أحدا من البشر وانه لو شاء لأنزل ملائكة قال تعالى : (**أكان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون إن هذا لساحر مبين**) يونس/ ٢ ولجوا باتهامه بأنه ساحر : (**وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب . أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب**) ص/ ٤ و ٥ ثم رموه بأنه مسحور يتخيل أمورا لا أساس لها من الواقع قال تعالى : (**نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون إليك وإذ هم نجوى إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا**) الاسراء/٤٧ واستبعدوا عليه ان يكون رسولا وهو انسان مثلهم يأكل الطعام ويمشي في الاسواق : (**وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا . أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا . انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا**) الفرقان/ ٧ ـ ٩ . وتوهموا أن الله اذا بعث رسولا فلن يبعثه من البشر وانما يرسله من الملائكة : (**وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر ثم لا ينظرون . ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون . ولقد استهزىء برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون**) الانعام/٨ ـ ١٠ .

وطالما جابهوه بالسخرية والاستهزاء : (**وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزوا أهذا الذي يذكر آلهتكم وهم بذكر الرحمن هم كافرون**) الانبياء/ ٣٦ .

(**واذا رأوك ان يتخذونك الا هزوا أهذا الذي بعث الله رسولا . ان كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا**) الفرقان/ ٤١و٤٢ . وكثيرا ما عابوا عليه فقره : (**وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم . أهم يقسمون رحمةربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون**) الزخرف/ ٣١ ـ ٣٢ . وكلما ضاقوا بالرسول ذرعا اتهموه بالجنون : (**وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون . لو ما تأتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين . ما ننزل الملائكة الا بالحق وما كانوا اذا منظرين**) الحجر/ ٦ ـ ٨ . قال تعالى : (**والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون . وأملي لهم ان كيدي متين . أو لم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة ان هو الا نذير مبين**) الأعراف/ ١٨٢ ـ ١٨٤ . واتهموه مع الجنون بأنه شاعر يعيش على الخيال والأوهام : (**ويقولون أانا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون**) الصافات/ ٣٦ . كما رموه مع الجنون بالكهانة ويرد الله عليهم هذا الاتهام بقوله : (**فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون**) الطور/ ٢٩ . ويقول سبحانه : (**وما صاحبكم بمجنون**) التكوير/ ٢٢ . ويقول تعالى ان هذا شأن جميع الأمم السابقة : (**كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر أو مجنون . أتوا صوا به بل هم قوم طاغون . فتول عنهم فما أنت بملوم . وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين**) الذاريات/ ٥٢ ـ ٥٥ .

ولما كان للشعر عندهم من مكانة ألحوا في اتهام الرسول بأنه شاعر وأن من الخير تركه حتى تنتهي حياته : (**أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون . قل تربصوا فاني معكم من المتربصين . أم تأمرهم أحلامهم بهذا أم هم قوم طاغون . أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون . فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين**) الطور/ ٣٠ ـ ٣٤ . وكانوا يستبعدون كل الاستبعاد أن يبعث الله رسولا من البشر : (**وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا . قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا**) الاسراء/ ٩٤و٩٥ . وما أنكر محمد بشريته بل أعلنها بكل الوسائل في كل مجال : (**قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى أنما الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا**) الكهف/ ١١٠ . فهو بشر مماثل لهم ولا فرق بينه وبينهم الا أنه يتلقى

الوحي السماوي بأن الله اله واحد ، وأنه وحده المستحق للعبادة والتقديس وأن كل انسان سيلقى ربه مهما طال به العمر ، وسيحاسب على ما قدمت يداه ، ومحمد في بشريته يجري عليه ما يجري على البشر جميعا ، فهو يصح ويمرض ويحيا ويموت ويفرح ويحزن : (**وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين**) آل عمران/ ١٤٤ ، (**انك ميت وانهم ميتون**) الزمر/ ٣٠ ، لكنهم في لجاجهم وعنادهم لم يقدروا الله حق قدره ولا عرفوا حكمته في اصطفاء الرسل من البشر قال تعالى : (**وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء**) الأنعام/ ٩١ ، وكانوا يظنون أن بشريته تمنعه من حمل الرسالة وأدائها (**ما يأتيهم من ذكرمن ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون . لاهية قلوبهم وأسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا الا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون . قال ربي يعلم القول في السماء والأرض وهو السميع العليم . بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الأولون**) الأنبياء/ ٢ ـ ٥ .

ولقد أمعنوا في ايذاء الرسول صلى الله عليه وسلم واتهموه بأنه يفتح سمعه للكذابين ويتأثر بهم وفاتهم أنه لا يحب أن يسمع الا الخير : (**ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم**) التوبة/ ٦١ .

وأمعنوا في ايذائه حتى نالوا من أهله فهذه السيدة عائشة أم المؤمنين زوج الرسول صلى الله عليه وأحب نسائه اليه رموها بالبهتان العظيم حتى أظهر الله سبحانه وتعالى براءتها وطهرها في كتابه الكريم : (**ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا**) الأحزاب/ ٥٧ .

ولم يكتفوا بأن القرآن معجزة كبرى للنبي صلى الله عليه وسلم بل طالبوه في الحاح بالمعجزات الحسية المادية وفاتهم أن المعجزات المادية محدودة الزمان والمكان ومقصورة على عدد محدود من المشاهدين أما القرآن فاعجازه غير مقيد بزمان ولا مكان ولا عدد المشاهدين ولكنهم لا يفقهون : (**وأقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله وما يشعركم أنها اذا جاءت لا يؤمنون**) الأنعام/ ١٠٩ ، ولما حدثت معجزة انشقاق القمر أسرعوا بالتكذيب قال تعالى : (**اقتربت الساعة وانشق القمر . وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر . وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر**) القمر/ ١ ـ ٣ ، : (**وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل انما الآيات عند الله وانما أنا نذير مبين . أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون . قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا يعلم ما في السموات والأرض والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون**)

العنكبوت/ ٥٠ ـ ٥٢ .

ولما تحداهم القرآن باعجازه وقرر عجز الانس والجن عن أن يأتوا بمثله : (**قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا**) الاسراء/٨٨ ، لجوا في عنادهم وطغيانهم وطلبوا اليه أن يخرق النواميس الكونية في السماء والأرض وأن يأتيهم بمعجزات حسية مادية قبل أن يستجيبوا لدعوته : (**وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا . أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا . أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا . أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا**) الاسراء/ ٩٠ ـ ٩٣ ، أي لست ملاكا ولا الها وانما أنا بشر رسول .

فلو كان القرآن من كلام محمد ما سجل فيه مطاعن المشركين ولا لمزهم ولا سخريتهم منه ولا تحديهم له .

ولكنه (**تنزيل رب العالمين . نزل به الروح الأمين**) .

عاشرا : ذكرنا ألوانا من الأدلة العقلية والبراهين المنطقية على أن القرآن ليس من تصنيف محمد وانما هو كتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ونسوق الآن أدلة علمية حاسمة لا مجال للخلاف فيها ، فقد تناول القرآن الكريم بعض الكشوف العلمية التي لم يعرفها العالم الا في العصر الحديث .

ومع أن القرآن كتاب هداية ونور فانه ألم ببعض القضايا العلمية قال تعالى : « **والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون . والأرض فرشناها فنعم الماهدون . ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون**) الذاريات/٤٧ ـ ٤٩ ، ففي آيات ثلاث قصار لا تتجاوز سطرين انتقل بنا القرآن الكريم من آفاق السموات الى أرجاء الأرض ثم الى عوالم الانسان والحيوان والنبات والجماد ، وأعطانا أحدث ما وصل اليه العلم الحديث من كشوف لم يكن يعلمها أصلا قبل ذلك .

فمن حيث السماء أشارت الآية الكريمة الى تمدد الأجرام السماوية واتساعها ونحن نعلم أن المجموعة الشمسية بكواكبها التسع وأقمارها العديدة وما تضمه من مذنبات مثل مذنب « هالي » هي جزء من المجرة ، وأن المجرة تضم نحو مائة ألف مليون مجموعة شمسية في كل منها كواكب عديدة وأقمار كثيرة ومذنبات وغبار كوني ... وأن الكون الفسيح يضم نحو ألف مليون مجرة وأقرب المجرات الينا تبعد نحو سبعمائة ألف سنة ضوئية والسنة الضوئية تقدر بما يقطعه الضوء من مسافات مقدارها ثلاثمائة ألف كيلو في الثانية الواحدة أو عشرة ملايين مليون كيلومتر تقريبا في السنة الواحدة وأقرب شمس الينا هي ألفيا سنتيورى وتبعد عنا نحو أربع سنين ضوئية ، وأحدث ما وصلت اليه الكشوف العلمية أن الكون يتمدد

ويتسع كما تتسع كرة القدم بالنفخ فيها ، وتمدد الكون وتباعد أجرامه بعضها عن بعض تتم بسرعة نحو مائة وستة أميال في الثانية الواحدة ، ونعلم أن اتساع الكون الآن يبلغ عشرة أمثال حجمه في بدء الخليقة وان نصف قطره الآن يعادل خمسة آلاف مليون سنة ضوئية ونقول الآن لأنه يتمدد بسرعة اكثر من مائة ميل كل ثانية وهو شبيه بمنطاد يتمدد ويظل يتمدد حتى تنفجر حبال الجاذبية التي تربط بعض الأجرام السماوية بالأجرام الأخرى ، والى هذا تشير الآيات الكريمة : (**فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة . وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة . فيومئذ وقعت الواقعة . وانشقت السماء فهي يومئذ واهية**) الحاقة/ ١٣ ـ ١٦ ، وفي الحديث الشريف « وصاحب الصور قد التقم الصور ينتظر الاذن بالنفخ » رواه أحمد ، والى هذا التمدد والاتساع أشار القرآن الكريم بقوله : (**وانا لموسعون**) مع التأكيد بأن ولام الابتداء في قوله (**وإنا لموسعون**) وتبارك الله : (**يزيد في الخلق ما يشاء**) فاطر/ ١ .

هذا ما يتعلق بالسماء أما ما يتعلق بالأرض فالله تعالى يقول : (**والأرض فرشناها**) أي كسوناها بغشاء يغلفها ونحن نعلم أن الأرض كرة ملتهبة من النار انفصلت من الشمس منذ خمسة آلاف مليون عام وحرارتها تعادل حرارة قرص الشمس « خمسة آلاف درجة مئوية » مثل حافة الشمس وقد كساها الله بغلاف رقيق بارد لا يتجاوز بضعة أميال ، وهذا الغلاف يحتوي البحار والأنهار والجبال والغابات والمروج وعالم الانسان وعالم الحيوان وعالم النبات ، وكلما تعمقنا في جوف الأرض ثلاثين مترا ارتفعت الحرارة درجة ، حتى نصل الى درجة حرارة تنصهر فيها الحجارة والمعادن ، وتحاول أن تنسف القشرة التي تغلف سطح الأرض فتحدث الزلازل ، وقد تمزقها فتنفجر البراكين المدمرة بما تقذفه من صخور ومعادن ذائبة مصهورة ، واذا كان محور الكرة الأرضية يعادل ثلاثة عشر ألف ميل فان القشرة الأرضية لا تتجاوز بضعة أميال هي الفرش الرقيق لسطح الكوكب الأرضي وتبارك الله : (**الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء**) البقرة/ ٢٢ ، وسبحان الذي جعل لنا الأرض بساطا لنسلك فيها سبلا فجاجا قال تعالى : (**والله جعل لكم الأرض بساطا . لتسلكوا منها سبلا فجاجا**) نوح/ ١٩و٢٠ ، ومعنى بسطها أنها مهيأة لنمد فيها الطرق والسكك الحديدية وتمخر السفن فيها عباب البحار والمحيطات وهذا لا ينافي كرويتها التي أشارت اليها الآية الكريمة : (**يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل**) الزمر/ ٥ ، ولا ينافي دورانها حول محورها الذي أشارت اليه الآية الكريمة : (**وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء**) النمل/٨٨ ، فسبحان : (**الذي خلق فسوى . والذي قدر فهدى . والذي أخرج المرعى . فجعله غثاء أحوى**) الأعلى/ ٢ ـ ٥ .

هذا ما يتعلق بالأرض التي نعيش على سطحها فوق أتون ملتهب من النار ، ونعيش تحت سمائها تحت سقف محفوظ يحمينا من الشهب المتساقطة أو

الحاصب الذي يقذف الأرض بمئات الملايين كل يوم منها قال تعالى : (**أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فاذا هي تمور . أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير**) الملك/١٦و١٧ ، أما موضوع ازدواجية الكائنات فقد تناولتها أكثر من آية قال تعالى : (**سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون**) يس/٣٦ ،

وكان العرب يعلمون عند نزول القرآن أن الذكورة والأنوثة ومن التقائها يمتد النسل ويبقى الجنس قائما على طريق التلقيح والاخصاب وكان العرب يعلمون أن هناك نباتا واحدا تبدو فيه الذكورة والأنوثة وهو نخل البلح فكانوا يؤبرون « يلقحون » النخلة الانثى بطلع النخلة الذكر ، ويسمونها بعملية التأبير وفيها يقول الرسول صلى الله عليه وسلم « أنتم أعلم بأمر دنياكم » رواه مسلم .

ولكن الآية الكريمة تعمم الازدواجية في جميع الكائنات : (**ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون**) وقد كشفنا في العصر الحديث الازدواجية في عالم النبات كله ورأينا أعضاء التذكير وأعضاء التأنيث داخل الأزهار بالبصر العادي أو بالمنظار المكبر . ثم عرفنا حديثا أن الازدواجية موجودة في عالم الجماد أيضا وأطلقنا عليها بدلا من تعبير الذكورة والأنوثة تعبير « السالب » و« الموجب » فان جميع الكائنات يمكن ردها الى بضعة وتسعين عنصرا وكلها تنتهي الى ذرات بالغة الحد في الصغر وعلمنا حديثا أن كل ذرة تضم نواة « بروتين » وكويكيات « الكترونات » وأن النواة كهرباء موجبة والكويكيات كهرباء سالبة كما علمنا أن الكون مكون من طاقة أو مادة والطاقة فيها الجانب السلبي كما فيها الجانب الايجابي وأن كلا منهما يكمل الآخر ، فلو جئنا بقضيبين ممغنطين فان لكل منهما طرفه السلبي وطرفه الايجابي ، فلو قربنا طرف القضيب الايجابي من الطرف الايجابي للقضيب الآخر ينفر منه مبتعدا ، وكذلك الأمر لو قربنا الطرف السلبي من السلبي الآخر لنفر منه، ولو قربنا الطرف السلبي من الطرف الايجابي للقضيب الثاني لتجاذبا تماما وكملت الدائرة المغناطيسية والكهرباء ، كذلك يتكون الحبل الموصل للكهرباء من سلكين أحدهما تياره موجب والآخر تياره سالب ، فلو انقطع أحد السلكين لانطفأ النور حتى يتم وصله ومن هنا تبدو الازدواجية في عالم الجماد كما تبدو في عالم الحيوان وعالم النبات أيضا وصدق الله اذ يقول : (**ومن كل شيء خلقنا زوجين**) .

فمن أعلم محمدا النبي الأمي أسرار الكون ؟ وانه يتمدد ويتسع باستمرار وفي ادارة طبيعة الغلاف الذي يضم أتون الأرض الملتهب وجوفها المنصهر ، ومن أخبره بازدواج جميع الكائنات ؟ انه لم يعرف هذا من عند نفسه وانما هو تنزيل رب العالمين.نزل به الروح الأمين وكثير من الآيات القرآنية تضم أسرارا علمية لم يكشفها العلم الا في العصر الحديث بل أن بعضها سبق العلم الحديث وقرر أمورا علمية ما زال العلم الحديث يحاول جاهدا الكشف عن أسرارها ، فمن القضايا

التي يقف العلم حائرا أمامها الآن قضية سكان الكواكب . ان العالم الآن يعج بملايين الكواكب الشبيهة بالأرض فهل انفردت الأرض وحدها دون بقية الكواكب فانها وحدها المأهولة بالسكان .

ان العلماء الآن يرسلون المركبات الفضائية الى بعض كواكب المجموعة الشمسية لتصوير ما فيها ، ولم تصل الى نتيجة ايجابية حتى الآن ، ولكننا نتلقى اشارات لاسلكية تلتقطها بعض المراصد السمعية على سطح الكوكب الأرضي ، وتصلنا من أعماق الفضاء السحيقة من عالم مجهول ولم نستطع حل رموز هذه الاشارات حتى الآن ، ولكن القرآن الكريم يقرر في كثير من آياته البينات ان هذه الكواكب مأهولة بالسكان الممتازين بالعقل أو الذين يتجردون منه والمعروف في اللغة ان كلمة « من » تدل على العاقل وكلمة « ما » تدل على غير العاقل ـ والله تعالى يقول : (**ان كل من في السموات والأرض الا آتي الرحمن عبدا . لقد أحصاهم وعدهم عدا . وكلهم آتيه يوم القيامة فردا**) مريم/٩٣ ـ ٩٥ ، ويقول سبحانه : (**تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وان من شيء الا يسبـح بحمده ولكن لا تفقهـون تسبيحهم انه كـان حليما غفـورا**) الاسراء/٤٤ ، وكما ان في السموات كائنات عاقلة فيها كائنات غير عاقلة أيضا والله سبحانه يقول : (**ولله ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا**) ويقول الله تعالى : (**سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم**) الحشر/١ .

وفي كواكب السماء دواب أيضا تدب على سطوحها قال تعالى (**ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم اذا يشاء قدير**) الشورى/٢٩ ، وقد يتأول أحد المتأولين الدواب التي تدب على سطوح هذه الكواكب بالملائكة مع أنه لا يصح وصف الملائكة بالدواب وينافي هذا ما ورد في قوله تعالى : (**ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون**) النحل/٤٩ ، فالعطف يقتضي المغايرة ولو استعرضنا القرآن الكريم كله ما وجدنا فيه حقيقة تناقض العلم الحديث بعكس ما نراه متجليا في اصحاحات العهد القديم والعهد الجديد « التوراه والانجيل » وهذا دليل قاطع على أصالة القرآن الكريم وانه : (**لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد**) .

ومهما بلغ الانسان من القدرة البلاغية فانه لا يستطيع ان يرضى عما ابدعه من فنون البلاغة ، ويتمنى ان يعدله ليصل به الى مدى اسمى مما بلغ اليه ، وفي هذا يقول العماد الاصفهاني : « اني رأيت انه لا يكتب احد كتابا في يومه الا قال في غده : لوغير هذا لكان أحسن ، ولو زيد كذا لكان يستحسن ولو قدم هذا لكان افضل ولو ترك هذا لكان اجمل ، وهذا من اعظم العبر ، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر » .

والرسول صلى الله عليه وسلم طالع العرب بآيات الذكر الحكيم متتالية متوالية يوما بعد يوم وشهرا بعد شهر وعاما بعد عام في مدى نيف وعشرين عاما وهو في اثنائها يتحدى العرب ان يأتوا بمثل هذا القرآن ويتلو عليهم قوله تعالى : **(قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا)** فعجزوا عن مواجهة هذا التحدي ثم عاد فتحداهم ان يأتوا بعشر سور مثله مفتريات قال تعالى : **(ام يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين)** هود/١٣ طالبهم بهذا ودعاهم لان يستعينوا بمن يرون فيه فائدة في المعونة ان كانوا صادقين ! و(ان) اداة شرطية تدل على الشك في مدى استطاعتهم . ثم عاد مرة ثالثة فتحداهم بان يأتوا بسورة واحدة ولم يحدد مدى هذه السورة فان هناك سورا قصيرة لا تزيد عن ثلاث آيات ، وقد تكون سطرا واحدا ، او سطرين على الاكثر .

ثم عاد فقرر في عبارة حاسمة جازمة انهم لن يستطيعوا ان يقبلوا التحدي لانهم اعجز من ان يواجهوه قال تعالى : **(وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين . فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين)** البقرة / ٢٣و٢٤ وزاد على التحدي انذارهم بالعذاب الاليم في النار التي وقودها الناس والحجارة اذا اصروا على جحد القرآن الكريم والتكذيب بآياته البينات .

وهم في اثناء تخبطهم العجيب في مواجهة تحدي آيات القرآن الكريم يحاولون تبرير هذا العجز الرهيب فيزعمون انه يتلقى القرآن الكريم عن طريق الشياطين وقد دحض القرآن الكريم هذا الادعاء فقال : **(فلا اقسم بالخنس،الجوار الكنس . والليل اذا عسعس . والصبح اذا تنفس . انه لقول رسول كريم . ذي قوة عند ذي العرش مكين . مطاع ثم امين . وما صاحبكم بمجنون . ولقد رآه بالافق المبين . وما هو على الغيب بضنين . وما هو بقول شيطان رجيم)** التكوير / ١٥ ـ ٢٥ . فليس لقرآن من وحي شيطان وانما هو تنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على خاتم المرسلين بلسان عربي مبين ، وقد كان العرب يعتقدون ان لكل شاعر شيطانا يلهمه ما يقول ، وكان الشعراء انفسهم يعلنون هذا فيقول أحدهم :

انـي وكـل شـاعـر مـن البشر شيطـانـه انثى وشيطـاني ذكـر

اذا فمحمد شاعر ولا بد ان وراءه قوة من الشياطين تلهمه ما يقوله ويتحدى به البشر ، وقد كذب القرآن هذا الادعاء ويكفي ان نقول ان في المشركين شعراء موهوبين فما بالهم وقفوا عاجزين امام تحدي القرآن الكريم قال تعالى : **(وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو الا ذكر وقرآن مبين ـ لينذر من كان حيا**

ويحق القول على الكافرين) وفنون الشعر العربي تقوم على العاطفة والخيال وتتناول فنون المديح والهجاء والحماسة والنسيب ، وهذا القرآن الكريم يقوم على الحقائق والعقل الرزين ، وليس من هذه الفنون بسبب او نصيب ولا يمت الى همزات الشياطين باي سبب من الاسباب قال تعالى : (**وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون . انهم عن السمع لمعزولون**) الشعراء / ٢١٠ ـ ٢١٢ .

وتوالى التحدي وتوالى العجز وتلاحق الاعجاز وحينما يظهر العجز يطالعهم باعجاز جديد ، ظل يتلاحق ثلاثة وعشرين عاماً بمكة ثم المدينة ، وظل الاعجاز قائما على تلاحق العصور وهم يدركونه وان كانوا يكابرون فيه عنادا ولجاجا ، حدث ان ثلاثة من بلغاء قريش كانوا يتسللون الى بيت الرسول صلى الله عليه وسلم ليلا فينصتون الى تلاوته اثناء الصلاة ليلا وهم الوليد بن المغيرة والاخنس بن قيس وابو جهل بن هشام ، وتاخذهم بلاغة القرآن فيستمرون في الاستماع حتى الصباح ، فلما اصبحوا انصرفوا فجمعتهم الطريق ، فتلاوموا على ذلك وقالوا انه اذا رآكم سفهاؤكم تفعلون ذلك فعلوه واستمالهم اليه بقوة تأثيره فآمنوا به ، فلما كان في الليلة التالية عادوا الى التسلل الى بيت الرسول صلى الله عليه وسلم واخذ كل منهم موضعه واستمعوا اليه حتى الصباح ، فلما اصبحوا جمعتهم الطريق فاشتد نكيرهم وتلاومهم وتعاهدوا وتحالفوا الا يعودوا ، فلما تعالى النهار جاء الوليد بن المغيرة الى الاخنس بن قيس فقال له ما تقول فيما سمعت من محمد ؟ فقال الاخنس : ماذا اقول ؟ قال بنو عبدالمطلب : فينا الحجابة ، قلنا نعم قالوا فينا السدانة قلنا نعم ، قالوا فينا السقاية قلنا نعم يقولون فينا نبي ينزل عليه الوحي !! والله لاآمنت به ابدا ، فالموقف ليس موقف انكار للقرآن ولا جحد لاعجازه وانما هو موقف عناد ولجاج وانكار للحق الواضح البين وكما قال تعالى (**يجادلونك في الحق بعد ما تبين كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون**) الانفال / ٦ .

وكانوا اذا استمعوا الى القرآن ملك عليهم عقولهم وقلوبهم وامتلأت نفوسهم بالرهبة والخشوع قال جابر بن عبدالله : اجتمعت قريش يوما فقالوا انظروا اعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليأت هذا الرجل الذي فرق جماعتنا وشتت امرنا وعاب ديننا فلنكلمه ولننظر ما يرد عليه فقالوا ما نعلم احدا غير عتبة بن ربيعة فقالوا انت يا ابا الوليد فاتاه عتبة فقال له اخير انت ام عبدالله ؟ فسكت صلى الله عليه وسلم فقال : انت خير أم عبد المطلب ؟ فسكت النبي (يريد ابا النبي وجده) فقال ان كنت تزعم ان هؤلاء خيرمنك فقد عبدوا الآلهة التي عبت وان كنت تزعم انك خير منهم فتكلم ، حتى نسمع قولك انا والله ما رأينا سخلة قط اشأم على قومك منك ، فرقت جماعتنا وشتتت امرنا وعبت ديننا وفضحتنا في العرب ، حتى لقد طار فيهم ان في قريش ساحرا وان في قريش كاهنا والله ما ننتظر الا مثل صيحة الحبلى ان يقوم بعضنا الى بعض بالسيوف حتى نتفانى ، ايها الرجل ان كان انمابك الحاجة جمعنا لك حتى تكون اغنى قريش وان كان انما بك الباءة فاختر اي نساء

قريش شئت فلنزوجك عشرا فقال صلى الله عليه وسلم فرغت ؟ قال نعم فتلا عليه قوله تعالى : (**حم تنزيل من الرحمن الرحيم . كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون . بشيراً ونذيرا فاعرض اكثرهم فهم لا يسمعون**) فصلت / ١ـ٤ ـ حتى بلغ قوله تعالى من سورة فصلت : (**فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود**) فصلت / ١٣ فامسك عتبة على فم الرسول وقال وقد ارتعدت فرائصه وناشده الرحم ، حسبك يا محمد ورجع الى اهله ولم يخرج الى قريش واحتبس عنهم ، فقال ابو جهل يا معشر قريش والله ما نرى عتبة الا قد صبأ الى محمد واعجبه طعامه وماذاك الا من حاجة اصابته ، فانطلقوا بنا اليه فانطلقوا اليه فقال له ابو جهل يا عتبة « ما حبسك عنا الا انك صبأت الى محمد واعجبك طعامه فان كانت بك حاجة جمعنا لك من اموالنا ما يغنيك عن طعام محمد فغضب عتبة واقسم الا يكلم محمدا ابدا وقال : والله لقد علمتم اني من اكثر قريش مالا ولكنني اتيته وقصصت عليه القصة فاجابني بشيء والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر وقرأ السورة الى قوله تعالى : (**فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود**) فامسكت بفيه وناشدته الرحم ان يكف وقد علمتم ان محمدا اذا قال شيئا لم يكذب فخشيت ان ينزل بكم العذاب ، وليس عجيبا ان يحدث القرآن الكريم هذا الاثر العجيب في النفوس فقد ترك آثاره العميقة في نفوس الجن فأسلموا كما قال تعالى: (**واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرأن فلما حضروه قالوا انصتوا فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين . قالوا ياقومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي الى الحق والى طريق مستقيم . ياقومنا اجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم . ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض وليس له من دونه اولياء اولئك في ضلال مبين**) الاحقاف / ٢٩ ـ ٣٢ .

ولقد بنى الباقلاني كتابه اعجاز القرآن على حقيقة معروفة وهي ان الشاعر او الاديب مهما بلغ من الابداع لا يستطيع ان يظل في مستواه الرفيع في كل ما ينتجه من الروائع بل هو يحلق في اجواز الفضاء ، ثم يهبط احيانا الى الحضيض فقد تسعفه مواهبه فياتي بالروائع ، ثم تخونه مواهبه ويتغلب عليه ضعفه البشري فيسف الى ما دون المستوى المطلوب وفي ضوء هذه الحقيقة الصادقة استعرض الباقلاني شعر زعيم الشعراء في الجاهلية وهو امرؤ القيس فنوه بروائعه وابرز ابداعه ابرازا واضحا ملموسا ثم نبه على سقطاته واظهر ما فيها من ضعف وتهافت وتناول بمثل هذا شاعرية اكبر شعراء الاسلام وهو البحتري ، فابرز روائعه الفنية واظهر سقطاته ووضحها اتم وضوح ، اما القرآن الكريم فهو دائما في الذروة والقمة وليس فيه اي تهافت او ضعف واستشهد بقوله تعالى : (**افلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا**) النساء / ٨٢ .

وحسبنا ما سقناه من الادلة العقلية والبراهين العلمية على ان القرآن لا يمكن ان يكون من صناعة محمد وإنما هو (**تنزيل رب العالمين . نزل به الروح الامين**)



الرحمة المهداة

للاستاذ / حسن عبدالغني ابو غدة

إن الأمم كالأفراد ، تصاب بالضعف بعد القوة ، وينتابها العجز بعد القدرة . وفي حالة ضعفها أو عجزها ، لا ينبغي لها أن تركن إلى الاستسلام ، وترضى بالتبعية ، بل ينبغي عليها أن تعيش في نور متجدد ، يسطع من تاريخها الماضي ، فيبعث فيها روح الأمل ، وحسن الثقة والعمل .

وجدير بالمسلمين وهم يحاولون إزالة العثرات عن طريقهم ، وينهضون لاصلاح أحوالهم ، أن يلتمسوا نماذج من سيرة نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم وحينذاك تتوثق صلة حاضرهم بماضيهم .

وتاريخ البشرية لم يعرف مصلحا غير محمد صلى الله عليه وسلم استطاع أن يغير وجه الدنيا ، ويحول مجرى التاريخ في فترة وجيزة ، لا تعد زمنا بالنسبة إلى عمر الأمم وحركات التاريخ . مما يثبت أن هذا النبي مؤيد بقدرة الله ورعايته .

ولكن يبقى عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مقدر قدره الصحيح عند بعض الناس ، لفقدهم التصور السليم لأحوال الناس واهتماماتهم قبل الاسلام . ولذلك كان لابد من بيان حال العالم قبل ميلاد النبي صلى الله عليه وسلم ، وعندئذ تظهر ضخامة المهمة التي تحملها رسول الله ، وتنحني الرؤوس أمام تلك النتائج التي أسفرت بها دعوة الاسلام .

كان العالم ـ قبل البعثة النبوية ـ يعيش في جاهلية : جاهلية العقائد والمبادىء والخلق . وجاء لفظ الجاهلية في القرآن الكريم ، ليصور الظلام الذي انتشر قبل ظهور الرسول الكريم في شتى مجالات الحياة . ففي سورة آل عمران الآية/ ١٥٤ يقول تعالى عن المنافقين : (**وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية**) حيث فقدوا الثقة بالله ، ففرغت قلوبهم من الايمان ، فعاشوا في تخبط وضلال . وفي سورة الأحزاب الآية/ ٣٣ قوله تعالى لنساء النبي مرشدا وهاديا : **(وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى)** والجاهلية الأولى كما يقول كثير من العلماء ما بين عيسى

ومحمد عليهما الصلاة والسلام ، حيث كانت المرأة تلبس قميصا شفافا غير مخيط الجانبين ، لتظهر جسمها وفتنتها للناس . وقد أدرك أصحاب رسول الله بقية من الجاهلية ، فهذا جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه يخاطب النجاشي ملك الحبشة قائلا : « أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية : نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونسيء الجوار ويأكل القوي منا الضعيف .. » وإن المتأمل في هذه الصفات يجدها قد جمعت فساد العقل وانحراف السلوك وشذوذ الطبع الانساني .

والتبسط في شرح لفظة الجاهلية يحتاج إلى صفحات ، لكن الصورة التي رسمتها آيات القرآن الكريم تمثل حالة الانحطاط التي تردى فيها الوثنيون العرب مع بقية الأمم من يهود ونصارى . بل إن مدينة الفرس ، وحضارة الروم لم تنجوا من الفساد والضياع .

ولعل سبب ارتكاس البشرية في حمأة الجاهلية تطاول الزمن على الناس ، وابتعادهم عن عهد الرسالات ، فغدا التفلت من شعائر الأديان السماوية أمرا سهلا ومألوفا ، حتى انتهى القوم إلى الفساد الذي ظهر في البحر والبر : **(ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون)** الروم/ ٤١ .

لقد كانت نصرانية القرن السابع متداعية ، عطلت بعدة فلسفات متنازعة ، فاستبدلت بايمان العصور الأولى السمح صغيرات الخرافة ، إضافة إلى ذلك فقد انتشرت في العالم المسيحي آثام وشرور لم تجد من ينكرها .

أما الديانة اليهودية ، فقد اقتبس أصحابها كثيرا من عقائد الأمم الوثنية ، وصوروا ذات الله شخصية تعمل فتتعب فتستريح . وهكذا حجب نور التوحيد وراء الأباطيل والأوهام . وتسلط الأحبار على الناس يحللون ويحرمون بأهوائهم ومطامعهم ، حتى لو بعث أصحاب هذه الديانة لأنكروها وتجاهلوها ، مما أصابها من عبث وتغيير .

وفي الأطراف الشرقية والمناطق الوسطى من قارة آسيا عاش الناس يسجدون للأوثان ويعظمون التماثيل ، ويستقبلون الشمس والنيران في صلواتهم ، أو يعبدون إله النور طمعا في ضيائه ، ويخشون إله الظلام مخافة انتقامه .

وإذا كانت هذه هي الحالة الدينية فليست الحياة الاجتماعية أو الخلقية أفضل منها لأن الاستبداد قد شاع في علاقات الناس مع بعضهم ، وانتشر الجهل حتى قام الناس في أوروبا الغربية يبحثون في أمر المرأة : هل هي انسان كامل ، أو روح حيوانية شريرة في صورة إنسان ؟ وهل يحق لها أن تمتلك وتبيع وتشتري أم لا ؟

وهكذا عاش الناس في ظلم وقهر فلم يجدوا ما ينفسون به عن أنفسهم سوى ألعاب العنف والهمجية

والمصارعة ، التي انتشرت في الدولة الرومانية .

وجزيرة العرب لم تكن الحياة فيها أسعد حظا من حياة الأمم والشعوب . فمع أن العرب عبدوا الله سبحانه واحترموا البيت العتيق ، فقد كان إيمانهم ضحلا ، لأن حياتهم العملية تكذب ذلك الاقرار الشفوي غير النابع من القلب : (**قل من رب السموات والأرض قل الله قل أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا**) الرعد/١٦ ، إنهم آمنوا بآلهة وأوثان دعوها لتشفي مرضاهم وتوقف مجاعاتهم وترد كوارثهم . فكلما باشروا عملا أو عزموا على أمر ، قصدوها يلتمسون بركاتها ويطلبون عونها .

وحياة العرب الاجتماعية كانت متفسخة هزيلة : انتشر فيها حب الثأر وشدة البطش ونصرة القريب ولو كان ظالما . فضلا عن انحطاط قيمة المرأة التي أباحوا لها تعدد الأزواج ، بل أكرهوها على الزنى طلبا لمال يناله السيد من مملوكته البغي . وكثيرا ما سمح بعض الأزواج لزوجاتهم أن يتصلن بمشاهير الرجال ليحملن منهم أبناء من صنف ممتاز ، كما كانوا يزعمون . أخرج البخاري وأبو داود عن عائشة رضي الله عنها قالت : إن النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء : فنكاح منها نكاح الناس اليوم ، يخطب الرجل إلى الرجل ابنته فيصدقها ثم ينكحها . ونكاح آخر : كان الرجل يقول لأمرأته إذا طهرت من طمثها : أرسلي إلى فلان فاستبضعي منه ، ويعتزلها زوجها حتى يتبين حملها من ذلك الرجل ثم يصيبها إذا أحب ، وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد . ونكاح آخر : يجتمع الرهط ما دون العشرة فيدخلون على المرأة ، كلهم يصيبها ، فاذا حملت ووضعت أرسلت إليهم ، فلم يستطع رجل منهم أن يتخلف ، حتى إذا اجتمعوا عندها ، قالت لهم : قد عرفتم الذي كان من أمركم وقد ولدت فهو ابنك يافلان - لواحد منهم - وتلحق به ولدها ، ولا يستطيع أن يمتنع الرجل . ونكاح رابع يجتمع الناس فيدخلون على المرأة البغي التي يكون لها علم أو راية فاذا حملت ألحقت ولدها بمن يريده ولا يمتنعون من ذلك .

أضف إلى هذا عادة وأد البنات وقطع الطريق وشن الغارات وإسالة الدماء بغير حساب .

في هذا العالم الذي وصفنا أحواله بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقام بجهود عظيمة لاحلال النور مكان الظلام ، وإشاعة الأمن مكان الخوف ، ونشر الوحدة بدل الفرقة . حتى سطر لشعب بل لأمم متفسخة موازين الاصلاح بعد أن كانت تتردى في دركات الانحطاط .

ولم تكن بعثته صلى الله عليه وسلم مفاجئة لنواميس الحياة ، بل إن الديانات السابقة بشرت به ، فحملت الكتب المقدسة السالفة أنباء تتصل بظهور خاتم النبيين ، وكانت هذه البشارات منتشرة بين أهل الكتاب من يهود ونصارى . بل إن الكتب المقدسة ذكرت اسمه وموطنه وسجاياه

وصفات أصحابه رضي الله عنهم ففي سورة الفتح : (**محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الأنجيل كزرع أخرج شطأه**) الفتح/٢٩ .

ولعل تلك البشارات كانت السبب الذي أغرى طوائف اليهود والنصارى بالسكن في بلاد العرب ، يتطلعون إلى ذلك اليوم الذي يبعث فيه خاتم النبيين ، ليعلمهم الكتاب والحكمة . فلقد أخذ الله العهد على أنبيائه لئن جاءهم محمد لينصرنه ويتبعونه ، وبهذا نزلت التوراة على موسى والانجيل على عيسى عليهما السلام ، واشتملا على وصايا تحث أتباعهما على الايمان بالرسول النبي الأمي . ومع أنه جرى التغيير والتبديل في أجزاء من تلك الكتب السماوية فان البشارات لم تمح منها كلية ، طمعا في أن يكون النبي المرسل مواليا لجماعة منهم .

على أنه لابد من القول بأن نبوة رسول الله ما كانت تستمد من شهادات الأمم السابقة ، وإنما تستمد قوتها وصحتها من ذاتها ، لأنها تحمل في نفسها الشهادة على صدقها والبينات الناطقة بأنها من عند الله العزيز الحكيم .

ثمة بشارة في سفر « تثنية الاشتراع » من الكتاب المقدس الذي بيد اليهود وفيها « جاء الرب من سيناء وأشرق من ساعير واستعلن من فاران » وما مجيء الرب في العبارة السابقة إلا تباشير بانتشار رسالاته وظهور أوامره على لسان رسله الثلاثة موسى الذي سار من سيناء وعيسى الذي بعث في فلسطين ومحمد الذي ظهر في مكة حيث الجبال محيطة بها ، حتى لقبت في القديم بفاران لاحاطة الجبال بها .

وفي الأناجيل الحاضرة نصوص تبشر بالفار قليط وهو لفظ مقابله في العربية لفظ أحمد ، الذي بشر به عيسى عليه السلام ففي سورة الصف آية/٦ قوله تعالى : (**وإذ قال عيسى ابن مريم يابني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد**) ومن المتفق عليه عند البخاري ومسلم أن أحمد من أسماء الرسول صلى الله عليه وسلم ، بل إنه لم يأت بعد عيسى من تسمى بأحمد وحمل النبوة غير نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

وقد كانت هذه البشارات بخاتم النبيين منتشرة في القرن السادس الميلادي ، زمن بعثة النبي صلى الله عليه وسلم . بل ومسطورة في كتب السابقين . روى البخاري عن عطاء ابن يسار قال : لقيت عبدالله بن عمرو ابن العاص وكان قد وقع على حملي بعير من كتب أهل الكتاب . فقلت : أخبرني عن صفة رسول الله ، قال : أجل ، والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن . ثم قرأ عليه : « **يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا**

ومبشرا ونذيرا وحرزا للأميين أنت عبدي ورسولي ، سميتك المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق ، ولا يجزي السيئة بالسيئة ، ولكن يعفو ويصفح » .

أما استمرار البشارة بخاتم النبيين عند النصارى فروى البيهقي عن ابن عباس أن الجارود بن عبدالله - كان نصرانيا - قدم على رسول الله فأسلم وقال : « والذي بعثك بالحق لقد وجدت وصفك في الانجيل ولقد بشر بك ابن البتول » يعني عيسى ابن مريم .

وقد تأثر الأحبار والرهبان بهذه البشارات فالتمسوا تفسيرها الصحيح فوجدوه في أتباع محمد صلى الله عليه وسلم ، والايمان بما أنزل الله إليه من نور وحكمة ، فهذا عبدالله ابن سلام سيد قومه من اليهود ينضم إلى المسلمين ويؤمن بالنبي لما تبين له أنه الحق . وكذلك فعل زيد بن سعنة الصحابي الكريم وكان على دين اليهود . ومن بعدهما أسلم كعب الأحبار ووهب بن منبه . وقبل هؤلاء آمن نجاشي الحبشة حينما علم بدعوة رسول الله من جعفر بن أبي طالب في هجرة المسلمين إلى الحبشة .

ومن الجدير بالذكر أن العرب كانت تسمع أخبار النبي المنتظر من أهل الكتاب ، وكانوا يطمعون أن تتحقق النبوءة في أبنائهم فراحوا يسمونهم باسم محمد . ومن هؤلاء محمد بن سفيان جد الفرزدق ومحمد بن مسلمة الأنصاري وغيرهما ، أخرج البيهقي والطبراني أن رجلاً سأل محمد بن عدي بن ربيعة : كيف سماك أبوك في الجاهلية محمدا ؟ قال : أما إني سألت أبي عما سألتني عنه فقال : خرجت في نفر من قومي فلما وردنا الشام نزلنا على غدير عليه شجرات فأشرف علينا راهب فقال : من أنتم ؟ قلنا : قوم من مضر . قال : أما إنه سوف يبعث فيكم نبي . فسارعوا إليه وخذوا بحظكم منه ترشدوا . فانه خاتم النبيين . فقلنا : ما اسمه ؟ قال : محمد . فلما صرنا إلى أهلنا وولد لكل واحد منا ولد سماه محمدا .

وهكذا .. عاش الناس على أمل النجاة مما هم فيه من شقاء وضلال وفساد . وأراد هؤلاء النبوة لأبنائهم . لكن الله أرادها لصفوته من خلقه ، فصلوات الله وسلامه عليه .

لقد انفرد محمد صلى الله عليه وسلم من بين جيله ، بل الأجيال كلها ، بميزات جسمية وخلقية ، ليست في سائر الناس ، وإن كان هو من الناس . ولهذا لم يكن بدعا من الأمر أن يكون تكوين محمد صلى الله عليه وسلم مسترعيا للأنظار . فهو جميل في جسمه كما هو حسن في خلقه . ولا شك أن ذلك التناسق له أثر في الاستجابة لدعوته . روي أن أعرابيا رأى رسول الله ، فراعه منظره وحسن هيئته فسأله : من أنت ؟ فقال : محمد بن عبدالله . قال الرجل : أنت الذي تقول عنه قريش إنه كذاب ؟ فقال رسول الله : نعم . قال الأعرابي : والله ليس هذا بوجه كذاب . فما الذي تدعو إليه ؟ فعرفه رسول الله حقيقة الاسلام فأسلم .

لقد أكثر الواصفون وصفهم لرسول الله وإعجابهم بتكوينه ، وقام أصحابه يصفون دقائق جسمه ، أخرج الترمذي والبيهقي والطبراني عن الحسن بن علي قال : سألت خالي هند بن أبي هالة عن حلية رسول الله ، وكان رجلا وصافا : فقال : « **كان رسول الله فخما ، يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر ، ليس بالطويل ولا بالقصير عظيم الهامة ، رجل الشعر ، يجاوز شعره شحمة أذنه إذا هو وفره . أزهر اللون ، واسع الجبين ، كث اللحية ، سهل الخدين ، ضليع الفم ، معتدل الخلق ، بادنا متماسكا ، سواء البطن والصدر ، بعيد ما بين المنكبين ، موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط . مسيح القدمين ، ينبو عنهما الماء ، إذا مشى كأنما ينحط من صبب ، وإذا التفت التفت جميعا ، خافض الطرف ، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء ، جل نظره الملاحظة ، يبدأ من لقيه بالسلام** » .

كان منظر رسول الله يشد الأنظار إليه ، لأنه الجمال والكمال ، جمال الرجولة وكمال الانسان ومن أجل ذلك أحبه كل من رآه . فكل شيء في رسول الله يعلن قوته وجماله وكماله . وها هو قد بلغ الستين من عمره وشكله شاب تجتمع فيه وفرة العافية : فشعره أسود ، بل إن الذين عدوا شعرات شيبه ، لم يرقوا بها إلى العشرين . أخرج البيهقي عن أنس خادم رسول الله أنه عد شعرات شيب رسول الله ثم قال : ما كان في رأسه ولا لحيته إلا سبع عشرة أو ثماني عشرة شعرة بيضاء .

وفي جسم رسول الله كان خاتم النبوة ، وهو جزء من لحمه كان بين كتفيه ، ومن مجموع الروايات التي وصفته ، يظهر أنه كان ناتئا نتوءا واضحا غير أن حجمه كان صغيرا بحيث لا يظهر من وراء الثوب . أخرج مسلم عن جابر قال : رأيت خاتم النبوة بين كتفي رسول الله مثل بيضة الحمامة ، يشبه جسده » وقد خلق الله هذا الخاتم اللحمي وصفا جسديا لذات الرسول ، كي لا يماري فيه من رآه . وكانت الكتب السماوية من قبل ذكرت أنه سيبعث نبي بين كتفيه خاتم النبوة .

وهكذا فان معرفة بشارات الانبياء بمحمد صلى الله عليه وسلم والاطلاع على صفات رسول الله لا يتركان مجالا للناس بأن يتساءلوا عن سر اختيار الله تعالى لمحمد بن عبدالله دون غيره .

وبعد هذا لا يستطيع أحد أن يقول : لم اختير محمد دون الصديق أو دون عمر أو دون علي أو دون غيرهم وهم الأطهار الأبرار الشجعان ؟! لا يستطيع أحد أن يسأل ذلك لأن صفات محمد صلى الله عليه وسلم الخلقية والجسمية لم تكن في أحد من هؤلاء ولا في غيرهم . وصدق الله القائل : (**الله أعلم حيث يجعل رسالته**) الأنعام/ ١٢٤ والحمدلله رب العالمين .

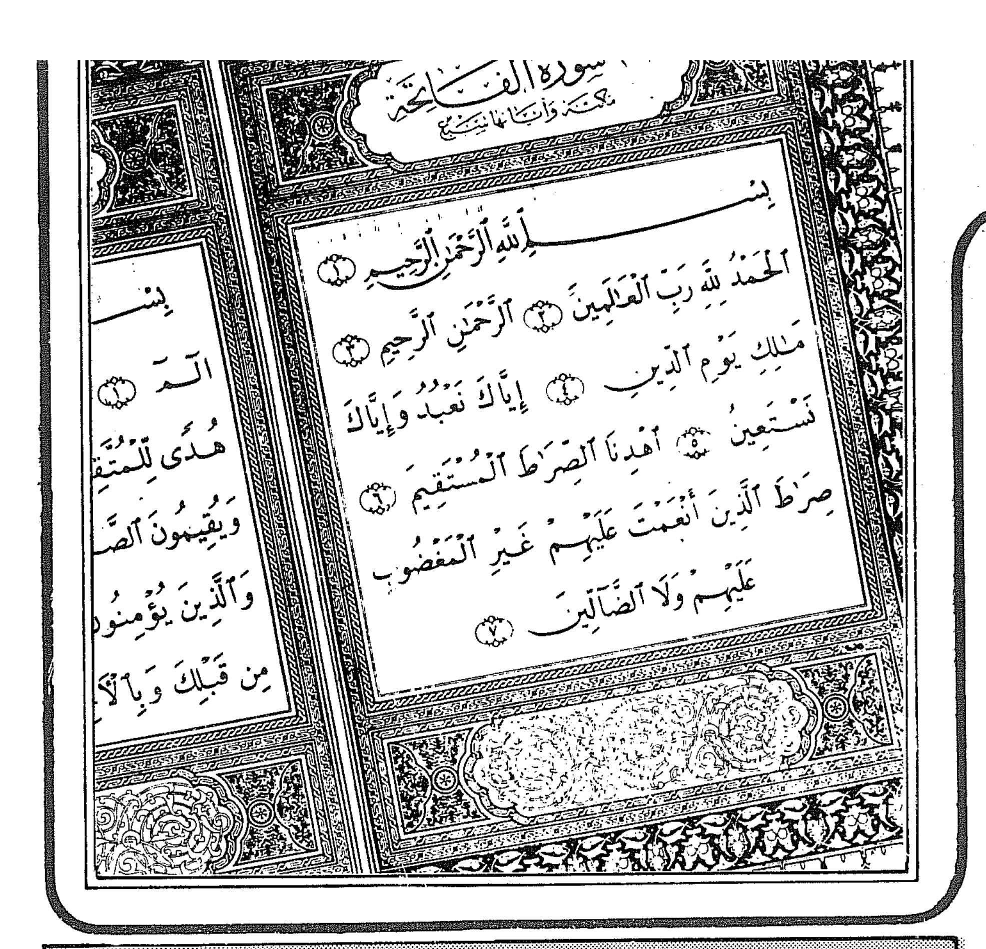


١ ـ معنى كلمة سورة :

القرآن ١١٤ سورة ، وفي كل سورة من سور القرآن روح يسري في آياتها ، ويسيطر على مبادئها ، وأحكامها ، وتوجيهاتها ، وأسلوبها .

قال الحافظ ابن كثير :

« واختلف في معنى السورة مم هي مشتقة ؟ فقيل : من الابانة والارتفاع ، فكأن قارىء القرآن ينتقل من منزلة الى منزلة ، وقيل : لشرفها وارتفاعها ، كسور البلدان ، وقيل : سميت سورة لكونها قطعة من القرآن وجزءا منه ، مأخوذ من سؤر الاناء وهو البقية ، وعلى هذا فيكون أصلها مهموزا وإنما خففت الهمزة فأبدلت الهمزة واوا لانضمام ما قبلها . وقيل : لتمامها وكمالها ، لأن العرب يسمون الناقة سورة ، قلت : ويحتمل أن يكون من الجمع والاحاطة لآياتها ، كما يسمى سور البلد ، لاحاطته بمنازله ودوره .



للدكتور عبد الله محمود شحاته

وجمع السورة (سور) بفتح الواو ، وقد يجمع على (سورات) و (سوارات) .

٢ ـ أسماء السور :

السورة قطعة من القرآن وجزء منه ، وهي سور يحيط بالآيات التي تحتويها .
ونلاحظ أن السورة تسمى بأغرب شيء فيها أو أهم شيء فيها :
١ ـ فسورة البقرة سميت بهذا الاسم لاشتمالها على قصة البقرة ، وذلك أنه قتل قتيل في بني إسرائيل ولم يعلم قاتله ، فذهب القوم الى موسى ـ عليه السلام ـ يطلبون منه بيان القاتل ، فأمرهم الله أن يذبحوا بقرة ، وأن يضربوا القتيل بجزء منها فترد إليه الحياة ، ويقوم ويقول قتلني فلان ، ثم يعود ميتا ، قال تعالى :
(فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون)

البقرة/ ٧٢ .

٢ ـ وسورة آل عمران اشتملت على قصة مريم ابنة عمران ، وقد حملت مريم بأمر الله ، وكانت ولادة عيسى أغرب ولادة في التاريخ ، حيث خلقه الله بقدرته من غير أب ، وخلق حواء من غير أم .

قال تعالى : **(إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون٠الحق من ربك فلا تكن من الممترين)** آل عمران : ٥٩ و٦٠ .

٣ ـ وسورة النساء اشتملت على ذكر احكام النساء والوصية بهن ، وأوجبت لهن الميراث ، وكانت المرأة لا ترث في الجاهلية . وقد بينت المحرمات من النساء ، والعلاقة بين الرجل والمرأة ، وتسمى سورة النساء الكبرى تمييزا لها عن سورة النساء الصغرى وهي سورة الطلاق .

٤ ـ وسورة المائدة اشتملت على قصة المائدة في الآيات ١١٢ ـ ١١٥ ، حيث طلب الحواريون من عيسى مائدة من السماء ، ليأكلوا منها وتطمئن قلوبهم بصدق عيسى في دعوته .

(قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين . قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فاني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين) .المائدة / ١١٤ ، ١١٥ .

٥ ـ وسورة الأنعام تعرضت لذكر الأنعام وأنواعها الثمانية : وهي الشاة والخروف والتيس والماعز والثور والبقرة والجمل والناقة . وذلك في الآيات ١٤٢ ـ ١٤٤ من السورة ، قال تعالى : **(ومن الانعام حمولة وفرشا كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين . ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ..)** الانعام ١٤٢ ، ١٤٣ .

٦ ـ وسورة الأعراف تعرضت لذكر الأعراف ، وهو حاجز مرتفع بين الجنة والنار ، عليه رجال استوت حسناتهم وسيئاتهم . قال تعالى : **(وبينهما حجاب وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون)** الأعراف/٤٦ .

٧ ـ وسورة الأنفال تعرضت لذكر الانفال وهي الغنائم ، وكان المسلمون قد اختلفوا في طريقة توزيعها بعد غزوة بدر ، فبينت السورة أن النصر كان من عند الله ، وأن الواجب يقضي بتقوى الله وإصلاح ذات البين وجمع الشمل . قال تعالى :**(يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله و الرسول فاتقوا الله وأصلحوا**

ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين) الانفال/١ .

٨ ـ وسورة التوبة ، ذكر فيها توبة الله على المؤمنين وعلى المتخلفين عن الغزو ، حين علم الله منهم صدق التوبة والندم الشديد . قال تعالى : **(لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رءوف رحيم . وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم)** التوبة /١١٧ ، ١١٨ .

٩ ـ وسورة يونس تعرضت لذكر نبي الله يونس ، وقد أرسله الله إلى مائة الف أو يزيد ، فآمنوا به فنجاهم الله من العذاب ، ومتعهم في الدنيا إلى نهاية أجلهم . قال تعالى : **(فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين)** يونس/٩٨ .

١٠ ـ وسورة هود ذكرت رسالة هود إلى قومه في قوله تعالى : **(وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ان انتم الا مفترون)** هود / ٥٠ ، ثم وضحت رسالات الرسل الى قومهم فذكرت رسالة صالح الى ثمود ، ورسالة شعيب الى أهل مدين ، ورسالة ابراهيم ولوط وموسى الى قومهم .

١١ ـ وسورة يوسف دارت كلها تقريبا حول قصة يوسف عليه السلام .

وهكذا نجد أن الاساس العام في تسمية السورة هو أهم شيء ذكر فيها أو أغرب شيء تحدثت عنه .

واحيانا تطرق السورة عدة موضوعات وتختار واحدا من بينها ليكون عنوانا لها ، فسورة هود تناولت قصص كثير من الانبياء اولهم نوح ، ولكن نوحا ذكر في سورة مستقلة ، وثانيهم هود وبه سميت السورة ، ثم تحدثت عن صالح وشعيب وابراهيم ولوط وموسى عليهم السلام .

٣ ـ السورة وأسلوب القرآن :

كان الرجل اذا حفظ سورة البقرة عظم في أعين المسلمين ، وكان عليه الصلاة والسلام يخطب الجمعة بسورة ق ، حتى قالت النساء ما حفظنا سورة ق الا من خطبة النبي صلى الله عليه وسلم بها ، فالسورة لوحة هادفة ، ورسالة معبرة في كتاب الله الحكيم ، وقد ذكر العلماء وجوه إعجاز القرآن ، وبينوا أن من خصائص

الأسلوب القرآني ما يأتي :
١ ـ إرضاؤه العامة والخاصة .
٢ ـ إرضاؤه العقل والعاطفة .
٣ ـ مسحة البداوة مع اشتماله على بسائط الحضارة .
٤ ـ جودة السبك وإحكام السرد .
٥ ـ براعته في تصريف القول .
٦ ـ جمع القرآن بين الاجمال والبيان .
٧ ـ القصد في اللفظ مع الوفاء بالمعنى .
٨ ـ عدم الاختلاف والتناقض بين معانيه .

٤ ـ وحدة النظم في القرآن الكريم :

من إعجاز القرآن اتساق عبارته وإحكام نظمه ، واتحاد طريقته في الابداع والقوة ، كأنما وضع جملة واحدة ليس بين أجزائها تفاوت أو تباين .

« ومرد ذلك الى روح التركيب التي تنعطف عليها جوانب الكلام الالهي وتلمح جمال هذا التركيب في نظم الكلمة وتأليفها ، ثم في تأليف هذا النظم فمن هنا تعلق بعضه على بعض ، وخرج في معنى تلك الروح صفة واحدة هي إعجازه في التركيب ، وإن كان فيما وراء ذلك متعدد الوجوه التي يتصرف فيها من اغراض الكلام ، ومناحي العبارة على جملة ما حصل به جهات الخطاب ، كالقصص والحكم والتعليم وضرب الامثال الى نحو مما يدور عليه » . إعجاز القرآن / للرافعي .

فأنت مادمت في القرآن حتى تخرج منه لا ترى غير صورة واحدة من الكمال ، وان اختلفت اجزاؤها في جهات التركيب ومواضع التأليف ، والوان التصوير واغراض الكلام ، كأنها تفضي اليك جملة واحدة .

وقد ذهب العلماء الى ان الفاظ القرآن متميزة من جنسها ، بحيث اذا وجدت تركيبا قرآنيا في نسق الكلام دل على نفسه ، وارشدت محاسنه اليه لما له من صفة الهية : (**انه لقول فصل . وما هو بالهزل**) الطارق : ١٣ ، ١٤ .

٥ ـ وحدة الفكرة :

من وجوه الاعجاز في القرآن أن معانيه تجري في مناسبة الوضع واحكام النظم مجرى الفاظه ، ولا يعدم المفكر وجها صحيحا من القول في ربط كل كلمة بأختها ، وكل آية بضريبتها ، وكل سورة بما اليها ، وهو علم عجيب اكثر منه الامام فخر

الدين الرازي في تفسيره ، وقد قال ان اكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط .

ويقال ان اول من اظهر هذا العلم الشيخ ابو بكر النيسابوري . وكان غزير المادة في الشريعة والادب ، وكان يقول في تفسيره لم جعلت هذه الآية إلى جنب هذه ، وما الحكمة في جعل هذه السورة الى جنب هذه السورة ، وكان يزري على علماء بغداد لانهم لا يعلمون هذه المناسبات .

وللشيخ مجد الدين ابي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزابادي الشيرازي المتوفي سنة ٨١٧هـ كتاب قيم عنوانه : « بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز » ، قام بطبعه المجلس الاعلى للشئون الاسلامية بالقاهرة في عدة اجزاء . وقد حقق الجزء الاول منه الاستاذ محمد على النجار . ويتميز هذا الكتاب بايراد الافكار والمبادىء والوصايا والاحكام التي تشتمل عليها كل سورة على حدة .

ومن عنوان الكتاب نلمح ان المؤلف قد حرص على جمع اللطائف التي اشتمل عليها القرآن الكريم . وهو يبدأ بسورة البقرة ثم بسورة آل عمران وهكذا ، ويذكر تحت كل سورة تعريفا بها ، والحكمة في تسميتها ، ويبين المعاني والافكار المشتملة عليها ، والايات المتشابهة فيها ، التي تكررت في سورة اخرى ، والسر في تميز الآية في سياق سورة عنها في سياق سورة أخرى .

وللامام برهان الدين ابن عمر البقاعي المتوفي في سنة ٨٨٥ هـ تفسير طبع حديثا بالهند اسمه « نظم الدرر في تناسب الآيات والسور » ، وهو تفسير جليل جمع فيه من أسرار القرآن ما تتحير فيه العقول ، واهتم ببيان ارتباط الجمل بعضها ببعض ، وتناسق الآيات واتساق المعنى وترابطه ، وفي مطلع القرن العشرين ظهر تفسير « المنار » للشيخ محمد عبده والسيد رشيد رضا ، وعنى تفسير المنار ببيان الوحدة الموضوعية للسورة ، وبيان التناسب بين آياتها ، وبين ان الموضوع يجب ان يكون اساسا في فهم الايات التي نزلت فيه .

وكان السيد رشيد يتبع تفسير كل سورة بملخص لاهم موضوعاتها والاحكام التي وردت بها .

وكان استاذي المرحوم الدكتور « محمد عبد الله دراز » يفتح عيوننا اثناء الدراسة الجامعية على موضوع السورة وفكرتها العامة ، ويعرض موضوعاتها في سلك واحد كأنها حبات عقد مكتمل ، احكمته يد السميع العليم القائل في كتابه الكريم : (**كتاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير**) هود /١ .

مقومات المجتمع الاسلامي في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم

للاستاذ / السيد أحمد المخزنجي

أفكار عامة :

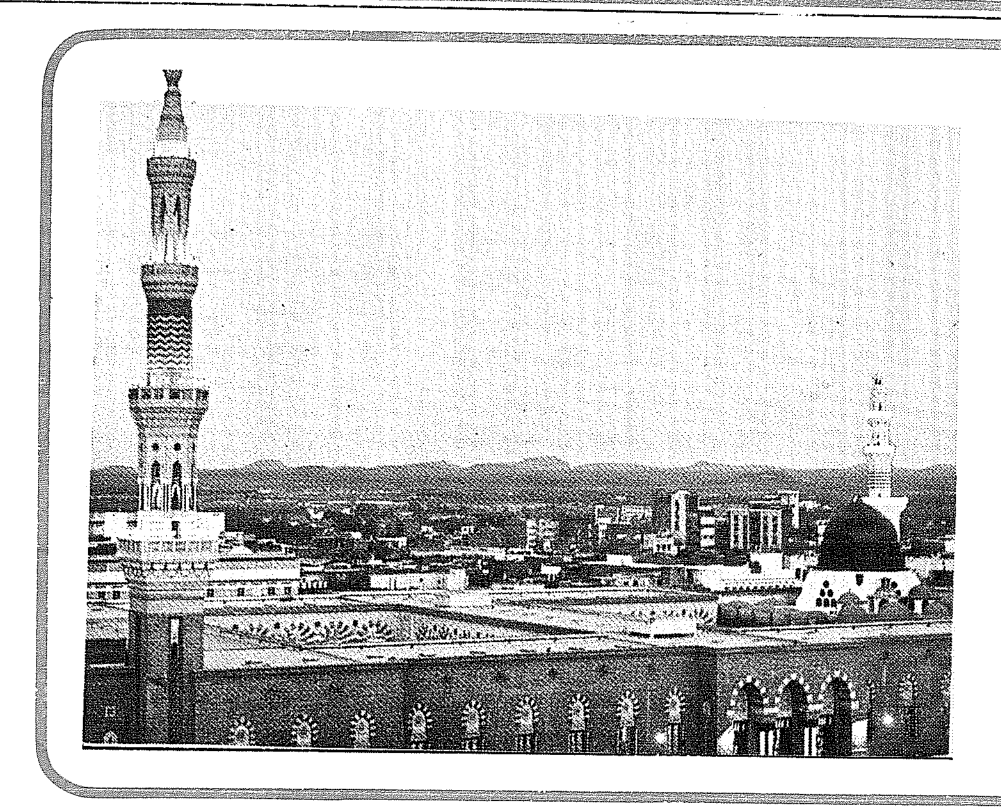
- حالة المجتمع قبل البعثة المحمدية .
- أسس بناء المجتمع الاسلامي الجديد .

ـ تمهيد :

نود أن نشير ـ باديء ذي بدء ـ الى الحالة التي كان عليها مجتمع « الجاهلية » قبل بعثة الرسول الكريم ، لنرى الى أي مدى أثرت « المقومات » أو الأسس التي جاء بها ـ صلى الله عليه وسلم ـ في بناء مجتمعه الاسلامي الجديد .

○ حالة المجتمع قبل البعثة المحمدية :

كان المجتمع قبل بعثة الرسول الكريم أشبه ما يكون بالغابة الواسعة المظلمة يتيه فيها « القوم » قويهم يأكل ضعيفهم ، لا يعرفون طريقا يهديهم الى الخروج من تلك الغابة ولا يستأنسون بمرشد يرشدهم الى طريق الصواب ، فالقدرات البشرية معطلة أو ضائعة لم ينتفع بها ، ولم توجه التوجيه الصحيح السليم ، فكانت وبالا على أصحابها وعلى الانسانية جمعاء .



فقد تحولت الشجاعة فتكا وهمجية وأضحى الجود تبذيرا واسرافا والذكاء خفة وخداعا ، والعقل ـ كان ـ وسيلة للتفنن في ابتكار الجنايات وارضاء النزوات الحيوانية على السواء .

وبالجملة لم تكن هناك ثمة فضائل تذكر او تعد ، فصار الخير شرا وتبدل ظلاما وعتمة عمت القلوب وطمست الابصار عن جادة الطريق .

وازاء تلك الصورة القاتمة لهذا المجتمع الجاهلي الذي عاصره الرسول الكريم ، كان لزاما عليه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ أن يضع من الأسس أو يوجد من المقومات ما يقضي به على حال هذا المجتمع الفاسد والمظلم ، ويمحو به تلك الصورة القبيحة المظهر لينشىء بفضلها مجتمعه الاسلامي الصالح لكل زمان ومكان ، وليحدد من خلالها صورته الجديدة التي ترتكز في بنائها على فلسفة واضحة المعالم والأهداف تلك الفلسفة التي تنقل هذا المجتمع الجاهلي من حاله البائس المزري الى حال يشعر فيه « الفرد » ـ من جديد ـ بكيانه وكرامته وقيمته ، ويدرك حقيقة وجوده على الأرض فيتولد من هذا الشعور الجديد أفراد عديدون ، يكونون في مجموعهم المجتمع الاسلامي ؛ الذي يرمي الى

تأسيسه الرسول الكريم من وراء تلك الأسس أو المقومات .

أسس بناء المجتمع الاسلامي الجديد :

ومن أهم تلك الأسس « المقومات » التي وضعها رسول البشرية لهذا المجتمع الاسلامي الجديد ، ما يلي : -

اولا : الايمان بوحدانية الله :

وفحوى هذه القاعدة الأولى ، من مقومات البناء ، أن تجتمع قلوب هؤلاء القوم المشتتة في عبادة الأوثان وان تتفق أفهامهم - في يقين لا لبس فيه - على الايمان بحقيقة « الاله الواحد » الأعظم ، الذي له من الصفات والممكنات ما لا يتساوى به « غيره » من تلك الآلهة التي تعبد من دونه ، وبها يشرك به ، وما لا يتطاول اليه عقل ويستحيل تصوره فهو سبحانه ، كائن بذاته ، متفرد بعظمته ، مهيمن بجبروته على هذا الوجود ، أو كما يقول الشاعر .

كثرة لا تتناهى عددا
قد طوتها وحدة الواحد طي
كل شيء فيه معنى كل شيء
فتفطن واصرف الذهن الي

وكان من نتائج ترسيخ الرسول الكريم لتلك العقيدة التوحيدية في قلوب وعقول افراد هذا المجتمع ، أن اجتمع اهتمام الانسان وتوحدت قبلته وتجمعت أشواقه وانتظمت مشاعره ، وتحددت أفكاره وأهدافه ، وذلك هو الآثر البنائي للتوحيد وهو المقوم الأول من مقومات بناء المجتمع الذي أسسه الرسول الكريم ، فنقل به - صلى الله عليه وسلم - أفراد هذا المجتمع الجاهلي من عالم همجي غوغائي تسوده الدهماء إلى عالم جديد تبلورت في ظله معالم شخصية هذا الانسان .

وليس من شك أن ترسيخ هذه العقيدة في أذهان أفراد هذا المجتمع وايمانهم المطلق بها وقناعتهم بحقيقتها كان الركن الركين الذي تأسس عليه صرح المجتمع الاسلامي الجديد - مجتمع الرسول - هذا عن المقوم الاول . من مقومات البناء .

ثانيا : التضامن الجديد للامة الاسلامية - صوره :

أما عن هذا الأساس الثاني ، فقد أقامه الرسول الكريم ، على ركيزة من الألفة والمحبة والصفاء والود ، واخلاص السريرة بين طيات قلوب أفراد المجتمع الجديد ، ولقد كان لهذا أثره المحسوس في سرعة الامتزاج والاندماج بين الأفراد بعضهم بعضا في مظهر الاخاء الكامل الذي كان له السمات البارزة في القضاء على الفوارق الاجتماعية وازالة الحواجز النفسية والموانع العصبية بين هؤلاء الناس جميعا . والذي محيت فيه كل صفات الفردية والأنانية وحب الذات ولقد كانت القاعدة التي وضعها النبي الكريم أساسا قام عليه هذا التضامن

الجديد ، هي ، قوله ، صلى الله عليه وسلم : « مثل المسلمين في توادهم ، وتراحمهم ، وتعاطفهم ، مثل الجسد : اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى » رواه احمد ومسلم ، وقوله الشريف : « المؤمنون تتكافأ « أي تتساوى » دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم ، وهم يد على من سواهم » رواه احمد وأبو داود .

ولقد كان من أثر ذلك على المجتمع الاسلامي الجديد ، مجتمع الرسول أن الفرد فيه ، كان يسير بروح الجماعة ويتغيا في منتواه مصلحتها ويسعى لتحقيق هدفها النبيل ويطمح إلى الاسهام بدور إيجابي في تحقيق هدفها المنشود . بل لا بد وان تتطابق رغباته وطموحاته مع طموحات وآمال أفراد تلك « الجماعة الاسلامية » .

هذا عن المعنى العام للتضامن . لكنه ، في واقع الأمر ، توجد عدة صور توضح لنا معنى هذا التضامن الجديد للمجتمع الاسلامي بمفهومه الواسع ، نذكر من اهم تلك الصور ، ثلاثة هي : -

أ) التكافل الاجتماعي .
ب - الآداب الأخلاقية والسلوكية وضوابطها .
جـ - الشورى بين افراد المجتمع الاسلامي .

الصورة الأولى : « التكافل الاجتماعي » - معناه - صوره :

والتكافل الاجتماعي ، معناه ، شعور الفرد المسلم بتحمل التبعات والمشاركة في الأزمات ازاء أخيه المسلم الذي يعيش معه في مجتمع واحد تربطه وحدة العقيدة ووحدة المصالح والأهداف .

فعلى جميع القوى الانسانية في ظل هذا المجتمع الاسلامي - الا تدخر جهداً أو ان تتوانى في سبيل المحافظة على مصالح الآحاد ، أو ان تقعد عن حل مشكلاتهم ، وهذا هو الاساس البنائي الذي اقامه الرسول صلى الله عليه وسلم في مجتمعه الاسلامي الكبير .

على ان الرسول الكريم ، وضع - في هذا المقام - جملة من الأقوال والتوجيهات تأسس عليها مبدأ التكافل الاجتماعي هذا ، نذكر من بينها . قوله - صلى الله عليه وسلم - : « أيما أهل عرصة « الحي والمكان » أصبح فيهم امرؤ جائع فقد برئت منهم ذمة الله تبارك وتعالى » رواه احمد ، وفي حديث آخر : « من كان عنده فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان عنده فضل زاد فليعد به على من لا زاد له » رواه مسلم واحمد ، وفي حديث ثالث ، عن ابن عباس : « ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه » متفق عليه .

وهكذا تأسس هذا المجتمع الاسلامي الجديد على التضامن والتكافل الاجتماعي ، فالأفراد كلهم جسد واحد وروح واحدة في الاحساس

بالألم والشعور بالمشاركة فيه ، وليس من شك ان في هذا الاتحاد الجامع المتضامن ما يعكس صورة رائعة أوضحت الشكل الجديد لمجتمع الرسول الكريم ، فالمؤمن يجب ان يشد من أزر أخيه وأن يقف بجانبه يشاطره المحن ويمسح عن وجهه الكآبة والحزن ويرفع عن كاهله الأحمال الثقال بقدر ما يستطيع الى ذلك سبيلا .

وهذا ما دفع « ابن حزم » ومن وافقه من فقهاء الاسلام الى القول بتحميل سكان بلد المسؤولية الجنائية في موت فرد من أفراد هذا البلد جوعا . هذا عن الصورة الاولى .

الصورة الثانية : الآداب الاخلاقية والسلوكية وضوابطها :

وعلى هذا الاساس من التعاون والتكافل بين أفراد هذا المجتمع الاسلامي الجديد وضع الرسول الكريم ، أسس الآداب الأخلاقية والسلوكية لضبط سير الأفراد ، فيه ، سيراً هادئاً مهذباً ومنظماً .

ففي مجال « آداب السلوك الأخلاقي والاجتماعي » . شرع الاستئذان عند اتيان البيوت وفي داخلها .

ووضح الرسول الكريم هذا اللون الجميل من الأدب الأخلاقي في سننه القولية والفعلية .

فعن عبد الله بن مسرة قال ـ كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ اذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر ويقول السلام عليكم السلام عليكم » رواه أبو داود .

وفي الصحيحين ان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال « لو أن أمرأ اطلع عليك بغير اذنك فحذفته « أي رميته » بحصاة ففقأت عينه ما كان عليك جناح » .

وعن عمرو بن سعيد الثقفي أن رجلا استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم ، قال ـ أألج ؟ « أي أأدخل ؟ » فقال النبي صلى الله عليه وسلم ، لخادمه ، أخرج الى هذا فعلمه الاستئذان فقل له ـ قل السلام عليكم أأدخل ؟ فسمعها الرجل فقال ـ السلام عليكم ، أأدخل فأذن له النبي ـ صلى الله عليه وسلم فدخل » رواه البخاري .

وبالمقابل وضعت الحدود في الجرائم الاجتماعية وشددت تشديداً يتناسب مع صيانة حياة كل فرد وماله وحرماته ، وقام على تطبيقها زعيم الأمة وقائدها المظفر ، عليه الصلاة والسلام .

فشرع القصاص في القتل والجروح حماية لافراد المجتمع وصيانة لارواحهم : (**ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب**) البقرة/ ١٧٩ ، :(**وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص**) المائدة/ ٤٥ .

« ولذلك أيضا شددت عقوبة الزاني والزانية لما فيها من اعتداء على

العرض وعبث بالحرمة ونشر للفاحشة في المجتمع لما ينشأ عنها من تدليس في الأنساب ... شددت هذه العقوبة فجعلت القتل رجما للمحصن والمحصنة والجلد مائة جلدة لغير المحصن والمحصنة ، وجعلت عقوبة القذف في أعراض المؤمنات ثمانين جلدة وتفسيقا للقاذف بعدم قبول شهادته .. كما شددت عقوبة السرقة فجعلت قطع اليد . ثم قطع الاخرى عند العودة لما في السرقة من اعتداء على ملك الآخرين واعتداء على حق الناس في الأمن » .

الصورة الثالثة : «الشورى بين أفراد المجتمع الاسلامي » :

واذا كان المجتمع الاسلامي الجديد جسداً واحداً ـ كما قلنا من قبل ـ فمن الطبيعي ان تترابط فيه المصالح وتتوحد الأهداف وتتشابك العلاقات الانسانية والاجتماعية ، غاية القول ، أن هذا المجتمع « الكل » تجد فيه امور واحداث وتطرح على ساحاته ثمة مشاكل ، وتطفو على سطحه ـ في حالات الشدة والعسرة ـ بعض المصاعب الى آخر ذلك مما يتطلب له الحلول والعلاجات على أن تكون تلك الحلول نابعة من ضمير الجماعة الاسلامية ، وممثلة لفكرها الموحد ومعبرة عن روحها وارادتها الواعية .

وهذا هو ما أرساه الرسول الكريم ، في مبدأ الشورى ، ذلك المبدأ الذي يتبلور في اطاره الحل الامثل والعلاج الانجح لأم المشاكل صغيرها وكبيرها .

وغني عن القول أن يوصف ـ مبدأ الشورى ـ بأنه أعظم المبادىء دستورية و « ديمقراطية » ، تأكدت في ظله حقوق الانسان ، وكشف للعالم المتمدين عن أروع نظام سياسي ، عرفته البشرية في ظل هذا المجتمع الاسلامي الذي تحكمه وحدة القيادة ويسوده العدل القضائي في دولة الاسلام العالمية .

وفي هذا المبدأ بين الرسول الكريم ، جملة من المسؤوليات التي تقع على عاتق الحكام والمحكومين فوضع اساسا قيما لمسؤولية رجال الحكم أمام الأئمة فقال عليه الصلاة والسلام « إن الله يرضى لكم ثلاثا ويسخط لكم ثلاثا ، يرضى لكم أن تعبدوه وحده ولا تشركوا به شيئا وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، وان تناصحوا من ولاه الله أمركم » رواه مسلم واحمد عن أبي هريرة ، وقال ايضا : « ان الناس اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشكوا أن يعمهم الله بعقاب منه » رواه أبو داود والترمذي .

وكذلك وضع الرسول الكريم ، نظاما للمسؤولية وكيف يؤدي رجال الشورى واجب النصح وتقديم ما يمكن أن يطرأ على غيره الى آخر ذلك وترك تفصيله لمراعاة مقتضيات الأحوال والظروف .

كما وضع ـ صلى الله عليه وسلم ـ (للبيعة) التي تنعقد لشخص يصبح خليفة ، أو حاكماً ، أو رئيساً للدولة

الاسلامية شروطاً مما لا بد منها لكي تحقق الغرض منها فليست الامارة في مجتمع الاسلام مغنماً يرجى نهمه ، أو مطعماً يرجى حوزته في جلابيب القوم والرجال ، وإنما هي مسؤولية و « أمانة » تأتي يوم القيامة خزيا وندامة إلا من أخذها وأدى الذي عليه فيها .

وهذه المسؤولية من نتائج الشورى إذ لولا أن للامة حق الرقابة على الحاكم ما أمر أن يستشيرها في كل أموره .

ولقد كان الرسول الكريم في تطبيقه لمبدأ الشورى قولا وعملا ، خير مترجم أمين لآيات الذكر الحكيم : (**والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون**) الشورى/٣٨ ، وقوله تعالى : (**فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر**) آل عمران/ ١٥٩ .

تلك كانت الصورة الأخيرة من صور التضامن الجديد لمجتمع الرسول الكريم ، لكنه بقى لنا أساس ثالث من مقومات هذا المجتمع الجديد ، وهو حسن المعاملة بين أهل الذمة سواء كانوا في دار الحرب أو دار الاسلام ، وهذا ما سنعرض له بايجاز واجمال ، مراعاة لظروف الحال ومقتضيات المقال والمقام .

ثالثا : حسن معاملة الرسول صلى الله عليه وسلم لأهل الذمة :

من المعلوم ان المجتمع الاسلامي الجديد لم يكن مجتمعاً إسلامياً صرفاً ـ بمعنى أنه لم يكن مقصوراً على المسلمين فحسب وإنما كان يحوى ، إما بداخله أو بجواره ـ أفراداً آخرين لا يؤمنون بالنبي الكريم ولا يعترفون برسالته ، وان كانوا يعلمون ما فيها من الخير والصلاح هؤلاء هم الذين يعرفون « بأهل الذمة » أو أهل الكتاب .

ومن الجدير بالذكر أن الرسول الكريم ، قد « فلسف » معاملته وحدد علاقاته مع « أهل الذمة » هؤلاء ، في صور ثلاث : بيعته ، معاهداته ، سفراؤه ، صلى الله عليه وسلم .

وكان من دلالات البيعة أن النبي الكريم ، كان يقيم في « أولاها » أساس دولة الاسلام أول ما أنشئت فقد كانوا يتعاهدون على ميثاقها الأول إذ صار لها أرض وشعب وحكم ونظام .

ونحن نؤيد أحد الباحثين ، حيث يقول ، في ذلك الصدد « وإنني أظن أن مواد هاتين البيعتين تستجمع العناصر الأولى لتكوين المجتمع والتي بدونها لا مجتمع ولا نظام وإنها تؤلف الخلية الاجتماعية على وجهها الصحيح بأن تنشيء جماعة مطمئنة تقيم النظام في هذه الجماعة .

وهذا مثل آخر نذكره لنؤكد به مدى سمو العلاقة ومبلغ التسامح الذي أسس عليه الرسول الكريم تعامله مع أهل الذمة في دار الاسلام او في دار

الحرب ، حيث اكتفى بقبول « الجزية » منهم التزاما بأمر الله ومقابلا لتوفير الرعاية لهم والأمن في داخل هذا المجتمع الاسلامي فالمؤرخ « توماس ارنولد » يذكر : انه لم تحدث محاولة واحدة لارغام أي ذمي على اعتناق الاسلام ، فيقول صراحة :

« لم نسمع عن أية محاولة مدبرة لارغام الطوائف من غير المسلين على قبول الاسلام ، أو عن اي اضطهاد منظم قصد منه استئصال الدين المسيحي » .

وأما (لو ثرب ستو دارد) فيقول هو الاخر في كتابه « حاضر العالم الاسلامي » ، « ما كان العرب قط أمة تحب اراقة الدماء وترغب في الاستلاب والتدمير ، بل كانوا على الضد من ذلك ، امة موهوبة عظيمة الاخلاق والسجايا ، تواقة الى ارتشاف العلوم محسنة في اعتبار نعم التهذيب .. وقد سارت الممالك الاسلامية في القرون الثلاثة الاولى من تاريخها (٦٥٠ - ١٠٠٠ م) أحسن سير ، فكانت اكثر أصقاع العالم حضارة ورقيا وتقدما وعمرانا ، وما انفك الشرق الاسلامي خلال هذه القرون الثلاثة يرسل على الغرب النصراني نورا » .

واما فيما يتعلق بمعاهداته - صلى الله عليه وسلم - بين أهل الذمة فيكفي ان نشير الى بعض ما جاء في نصوص احدى معاهداته معهم حيث جاء فيها :

(بسم الله الرحمن الرحيم)

هذا كتاب من محمد النبي الأمي بين المؤمنين والمسلمين من قريش « يثرب » ومن تبعهم فلحق بهم .. المهاجرون من قريش على ربعتهم « حالتهم التي أتى الاسلام وهم عليها » يتعاقلون بينهم « اي يدفع كل منهم عن الآخر الدية » وهم يفدون عانيهم « الاسير » منهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين .. وان المؤمنين لا يتركون مفرحا (مثقلا بالدين والانفاق بينهم ان يغطوه (يدفعوه) بالمعروف في فداء او عقل . ولا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه .. ولا يقتل مؤمن مؤمنا في كافر ، ولا ينصر كافر على مؤمن وان ذمة الله واحدة ، يجير عليهم ادناهم وان المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس ، وانه من تبعنا من يهود فان له النصرة والاسوة غير مظلومين ولا متناصرين عليهم .. الخ .

ونكتفي بهذا القدر من نصوص تلك المعاهدة ، ولعلنا تبينا الأسلوب الأمثل الذي سلكه الرسول الكريم في تطبيع علاقاته ومعاملاته والسياسة الحكيمة التي رسمها ، صلى الله عليه وسلم ، بين مجتمعه الاسلامي الجديد وبين أهل الذمة هؤلاء .

ونعتقد - ونحن في ختام (مقالنا) هذا - ان الرسول الكريم في خطبته « حجة الوداع » قد بلور الأسس والمقومات بلورة كاملة تأسس عليها بناء المجتمع الاسلامي الجديد في عهده ، ومن بعده ، صلى الله عليه وسلم ونقتطف منها ما يكفي لبيان الدلالة وصدق العبارة على هذا القول ، وبها يكون مسك الختام والفراغ من المقال .

قال الرسول الكريم بعد ان حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، في تلك الخطبة الجامعة ما نصه : « أيها الناس ! ان دماءكم وأموالكم عليكم حرام ، ان تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا ، وكحرمة شهركم هذا في بلدكم هذا ، الاهل بلغت ؟ اللهم اشهد . فمن كانت عنده امانة فليؤدها الى الذي ائتمنه عليها . وان ربا الجاهلية موضوع « ساقط ومحرم » ، وان اول ربا أبدأ به ربا عمي العباس بن عبد المطلب . وان دماء الجاهلية موضوعة غير السدانة « خدمة الكعبة » والسقاية « سقاية الحجاج » والعمد قود ، وشبه العمد ما قتل بالعصا والحجر وفيه مائة بعير ، فمن زاد فهو من أهل الجاهلية » .

« ... ايها الناس ! فان لنسائكم عليكم حقا ، ولكم عليهن حق ، لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم غيركم ولا يدخلن أحدا تكرهونه بيوتكم الا باذنكم ؛ ولا يأتين بفاحشة مبينة ، فان فعلن فان الله قد اذن لكم ان تعضلوهن « تضيقوا عليهن » وتهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرح فان انتهين واطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف وانما النساء عندكم عوان « اسيرات » الا هل بلغت اللهم اشهد . أيها الناس انما المؤمنون اخوة ولا يحل لامرىء مسلم مال إلا عن طيب نفس ... الا هل بلغت ؟ اللهم اشهد . فلا ترجعن بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض ، فاني تركت فيكم ما ان اخذتم به لن تضلوا بعده : كتاب الله ، الا هل بلغت اللهم اشهد .

« يا أيها الناس ، ان ربكم واحد وان اباكم واحد كلكم لادم وآدم من تراب إن أكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير . ليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى . الا هل بلغت ؟ اللهم اشهد قالوا : نعم ، قال فليبلغ الشاهد الغائب . أيها الناس ان الله قسم لكل وارث نصيبه من الميراث فلا تجوز وصية لوارث في اكثر من الثلث والولد للفراش وللعاهر الحجر « اي هذا مقضى به رغم انفها او لعله يشير الى رجمها » ومن ادعى الى غير ابيه او تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل منه صرف « توبة » ولا عدل « فدية » .

* * *

وهكذا على هذا النحو من الأسوة الحسنة والموعظة البليغة والحجة البالغة ارسى رسول الله صلى الله عليه وسلم المقومات التي بني عليها مجتمعه الاسلامي الجديد الذي كان نواة لدولة اسلامية كبرى ، حكمت وسادت وعزت وسمت بعز وسمو قادتها واتقيائها .

فنعم الاساس وما اعظم البناء ، وصلاة وسلاما على من وضع اللبنات فكانت عمداً ومقومات صلبة ارتكز عليها مجتمعه الاسلامي في كل بقعة من الارض وفي كل عصر من الاعصار .

« وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين »



النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم

للدكتور
محمد
عبد المنعم
القيعي

يذكر المسلمون نبيهم في كل صلاة ، ويطلبون اسرار الذكرى كلما طلع عليهم هلال ربيع ، ليعرفوا مغزاها ويفقهوا معناها . معنى النبوة والنبي والرسالة والرسول . وبعد استقرائهم لبعض تراثه ـ يخرجون بأن حقيقة النبوة قوة من الوجود في انسان مختار ، جاءت لتصلح الانسانية به ، وتقر في هذه الحيوانية المهذبة مثلها الأعلى بدلالتها على طريقها النفسي مع

طـريقهـا الطبيعي ، فيكـون مـع الانحطاط ـ الرقي ، ومع النقص ـ الكمال ، ومع حكم الغريزة ـ التحكم فيها ، ومع الظلمة المادية ـ الاشراق الروحي .. حقا انها قوة مؤثرة في كل جوانب الحياة ، خلصت الانسان من العبودية لكل شيء الى السيادة على كل شيء ... ثم وضعت عبودية الانسان في موضعها الصحيح ، واصبح لا يرى عبودية الا لله محييه ومميته .

ولقد خاض الفلاسفة منذ اقدم العصور في معناها . ونسبها بعضهم الى الاكتسـاب والتحصيـل ودارت بحوثهم في نظريـات عقيمة ـ أهي واجبة او مستحيلة ؟ او هي ممكنة ؟ الى غير ذلك من خبط عشواء لا معنى له ..

أما الاسلام فقد وضع اللفظ في معناه ، يحمل من الأوصاف ما تلزم المتصف بها . فالنبي فعيل بمعنى فـاعـل ـ وهـذا يستـدعي تبليغـه وفطانته ، وبمعنى مفعـول ـ وهذا يستدعى صدقه وأمانته ..

والنبوة صفة حقيقية قائمة بذات النبي لا تفارقه في يقظة أو نوم ، فتجعله معجما نفسيا ألفته الحكمة الالهية بعلم من علمها وقـوة من قوتها ، لتتخرج به الأمة التي تبدع العالم ابداعا جديدا ، وتنشئه النشأة المحفوظة له في أطوار كماله . يخاطب الناس بكلمات ألفاظها ألفاظهم . بيد أنها في جاذبيتها نبض قلب يتكلم ، وفي سموها واجادتها مظهر من خواطره صلى الله عليه وسلم . ان خرجت في الموعظة قلت أنين من فؤاد مقروح . وان راعت بالحكمة قلت صورة بشرية من الروح في منزع يلين ويشتد فيروى بالدماء كلام الأرض بعد السماء ، كأنما وضع يده على قلب اللغة ينبض تحت أصابعه .

أما الرسالة والله أعلم حيث يجعل رسالته ، فهي حبل الوصال بين الله وخلقه ، وهي نور الله في أفق الدنيا حتى تزول ، ومعنى الخلود في دولة الأرض الى أن تدول ، وحاملها محمد صلى الله عليه وسلم ، رسول الله وخاتم النبيين . ما كان بـدعا من الرسل ، وانما هو الرحمة المهداة ، من به الله على عباده فقال :

(**لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آيـاته ويـزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين**) آل عمران/ ١٦٤ .

ولروعة ما في هذا النص من أسرار سجلها الواقع بمداد من أضـواء النجوم ، التي سكبها الخلود كل ليلة على صفحات التاريخ ، التي لا يقوى على جحد ما فيها مكابر او معاند ..

في الجاهلية كان العالم الانساني يكابد في هيكله المنحل عوامل البلى من وثنية توبق الروح ، وجاهلية توثق العقل ، ومادية ترهق الجسد . وكانت الطبيعة المشفوفة تنتظر انبثاق الروح المبـدع وانبعاث الـربيع . وكـانت الخليقة الحائرة ترسل النظر الحائر في الآفاق الغائمة تر تقب لمعة النور من الشرق ، ونفحة القوة من الحق ، وكلمة الهدى من الله . وكانت الهواتف

الطائفة تعلن في رؤوس الجبال وسفوح الأودية ومدارج السبل وثوابيط المعابد وأواوين القصور - بشرى الرسالة الأخيرة . ثم كانت ومضات من روح القدس وأشعة الخلد ، تتعقد هالات مشرقات على شعب بني هاشم ...

ثم انبثق روحه القدسي في مجاهل البدو ومعالم الحضر كما يبتسم الأمل في قطوب اليأس وتومض المنارة في ظلام المحيط ..

وعند ميلاد محمد صلى الله عليه وسلم ، كأنما هتف من الغيب هاتف يقول : انما العبادة لله ، والقيادة لرسوله ، والسيادة لدينه ، والحكومة لأتباع شريعته ، والدنيا للجميع ..

ودار الفلك دوراته حتى بلغ الرجل أشده ، وبلغ أربعين سنة ، اصطفاه الله واجتباه : (**الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس**) الحج/ ٧٥ .

ونودي صلى الله عليه وسلم :

(**يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس**) المائدة/ ٦٧ .

وبين رهط له نقائضه الدنيوية يقف محمد قدوة في المناقب التي يتمناها المخلصون لكل انسان . وما أحوج العالم الى مصلحين ، ولكن ما أجرأ الجهلاء على العظماء وهم في حاجة الى هدايتهم . وأي معرفة بحق من الحقوق يناط بها الرجاء اذا كان حق العظمة بين الناس غير معروف !!..

ومحمد عظيم في الدين والعقل والشعور . والعظمة قيمة في النفس قبل ان تبرزها الاعمال ، وملكات النفوس مزية غير قابلة للمسخ .

جاء صلوات الله وسلامه عليه بعقيدة تملأ فراغ النفس في داخلها ، ثم بنظام ينشر عليها الأمان بين بني جنسها : قالت حوادث الدنيا : لقد كانت الدنيا في حاجة الى رسالة . وقالت : حقائق التاريخ : لقد كان محمد هو صاحب تلك الرسالة . توافرت لديه خصائص الداعية ، فكانت له فصاحة اللسان واللغة ، والقدرة على العمل ، وقوة الايمان ، والغيرة على الدين . نجح في دعوته لا بالاغراء ولا بالوعيد .

فبالنسبة لدافع الاقوياء - ما وجدوه فيه من رحمة وانابة واعتذار ..

وبالنسبة لدافع الضعفاء - ما وجدوه عنده من الانصاف .. أحاط به نفر ممن هداهم الله للايمان ، تعددت امزجتهم وتنوعت رغباتهم . فوسعهم بحلمه ولين جانبه :

(**فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين**) آل عمران/ ١٥٩ .

وفاوضه أصحاب المصالح الشخصية وعرضوا عليه ما عساه أن يثنيه عن الدعوة في زعمهم ، فأطرق

اطراقة وقف إزاءها تاريخ الوجود كله برهة مبهوتا لا يدري بعدها ما اتجاهه ـ في الكلمة التي تفتر عنها شفتاه ، حكم على العالم أيظل في الضلال يمد له فيه ، فتطغي المجوسية على النصرانية ، وترفع الوثنية بباطلها رأسها الخرف الآفن . أو هو يضيء أمامه أنوار الحقيقة ويعلن فيه كلمة التوحيد ؟

لقد قال قولته المشهورة : « لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري ما تركت هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه » ـ سيرة ابن هشام .

لم يحتكم الى السيف الا في أمور تتفق الانسانية على أنها لا تفض الا به ، حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله . فقاد اصحابه بقيادة تدور على الفكر لا على الظواهر والأحجام . وأنزلهم ببصيرة تعرف أن الحرب خدعة . فاعتمد على ربه ، ثم على حسن اختيار الموقع . وبادر بالمفاجأة فضرب القوى العسكرية والموارد الاقتصادية ، معبئا كل القوى مستشيرا اصحابه ، فيرسل المخابرات ، ويتصدى للاشاعات ، فيخرج من المعركة بما قسم له الله فيها من نصر يشكر ربه عليه ، أو اخفاق يبصر فيه اصحابه بمواطن النقص عندهم . ثم يعلمهم كيف يواجهون الحياة سياسيا واداريا . ولهم فيه أسوة حسنة ... توخى في اقامة الحجة لامضاء عزيمته ، وفرق بين خصومه يوم الأحزاب ؛ ويوم ان فتح مكة ، وقبل العهد الذي خفى على أخص عطرته يوم الحديبية .

ولا شك ان العمل الاداري في بيئة هي في اول الطريق من أشق الاعمال وأصعبها . والسليقة النفسية المطبوعة على الادارة النافعة هي التي تعرف التبعة والنظام والاختصاص في العمل . فولى الامراء ، وقاد الأمة بنظام . وفوق النظام سلطان . وفوق السلطان برهان من العقل والشرع . فهو مدير حين تكون الادارة تدبيرا للأمور ، ومدير حين تكون الادارة تدبيرا للشعور .

وهو الرحيم في غضبه ، لم تنسه ثورته مصلحة الفرد المعتدي على مصلحة الجماعة ، فيوفق بينهما بالحكمة :

« أتى برجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وريح الخمر تنبعث من فيه ، فقال النبي : اضربوه ، قال أبو هريرة : فمنا الضارب بيده ، والضارب بنعله والضارب بثوبه . فلما انصرف قال بعض القوم : أخزاك الله ، قال النبي : لا تقولوا هكذا ، لا تعينوا عليه الشيطان » ... البخاري كتاب الحدود ..

وقد كان يراعي مشاعر الناس وعواطفهم ، ويحس بأن التمهيد لكل تغيير امر لا بد منه ، وأن الثورة على التقاليد دفعة واحدة لها من ردود الفعل أضرار وعواقب ينبغي للمصلح ان يتحاشاها ، قال لعائشة :

« لولا أن قومك حديث عهدهم بالجاهلية ، فأخاف ان تنكر قلوبهم أن أدخل الجدر في البيت ، وأن ألصق



واقعة حصن « تل ابران » :

يتبين عدم التكافؤ في العدة والعديد بين عبد الكريم الخطابي وبين العدو اذا علمنا ان اسبانيا قد اعدت جيشا يبلغ تعداده خمسمائة جندي في صيف سنة ١٩٢١ ميلادية بقيادة الجنرال سلفستري لاقتحام منطقة الريف الاسباني التي حررها الثوار المسلمون وعلى رأسهم الخطابي الذي كان يتخذ « اجادير » مقرا لقيادته - وكان الجنرال الاسباني - في صلف المستعمر الغاشم - يأمل ان يحتسي الشاي في اجادير في الوقت الذي كان جنوده يرتجفون في حرارة الصيف ذعرا وهلعا من بأس المسلمين البالغ عددهم مائة وخمسة وعشرين مجاهدا وحاول القائد المتغطرس ان يتحصن باحدى النقاط الاستراتيجية المسماة « بتل ابران » ومكن جنوده من « التمركز » بها .

واستنفر الخطابي جنوده محرضا لهم على قتال العدو متخذا اسلوب حرب الاقتناص (حرب العصابات) بالنظر الى قلتهم وكثافة الجيش الاسباني . فعمد في الليلة الاولى من شهر يوليو الى رسم خطة الهجوم على الحصن ، مقسما قواته ثلاث وحدات : الاولى عهد اليها تسلق الجبل من جميع نواحيه ، على حين تصوب المجموعة الثانية اسلحتها (البنادق) نحو سور الحصن لتغطية زحف المجموعة الاولى . وما ان تبلغ نقطة متفقا عليها حتى تبدأ المجموعة الثالثة بالتسلق بدورها في حين تغطيها الاولى ، وهكذا دواليك حتى تبلغ القوة كلها موقع الحصن . وذلك هو عنصر المباغتة الذي يدل على التخطيط الحربي السليم عندما تكون القلة في مواجهة الكثرة .

ولقد نجحت الخطة أيما نجاح بفضل احكامها ودقة تنفيذها ، فما ان بزغت الشعاعات الاولى للفجر حتى احتدم القتال داخل الحصن ، وكان مجزرة رهيبة بالنسبة للغزاة ، حيث سقط صريعا كل من كان محتميا بالقلعة الاستراتيجية التي ظنوا انها تنجيهم من الخطابي ورجاله بل تمكنهم منهم . خمسمائة عسكري معتد اصبحوا اشلاء متناثرة . اما

المجاهدون فلم يستشهد منهم غير اربعة ، وكان مجموع الغنائم التي حصلوا عليها خمسمائة بندقية واربعة مدافع رشاشة ومدفعي هاون . وصدق الحق تعالى : (**يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا بانهم قوم لا يفقهون . الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله والله مع الصابرين**) الانفال / ٦٥ و ٦٦

وفي الصباح بهت الذي كفر ، ذلك انه لما بلغ النبأ الجنرال سلفستري اصيب بالرعب على حين استبشر المجاهدون واهلوهم بما آتاهم الله من نصر مبين . وعلى سنة القائد الاعظم رسول الله حين كان يأمر اصحابه بالتأهب للغزو بعد رجوعهم منصورين من احدى الوقائع حتى لا يشغلوا باقتسام الغنائم او تدب في نفوسهم روح الوهن التي تنجم عن استمراء الراحة والدعة ، طفق عبد الكريم الخطابي يشحذهمم جنوده حتى لا تنسيهم نشوة النصر الاستعداد تلو الاستعداد للانقضاض على المعتدي وكسر شوكته حيث ان هزيمته الفادحة لن تثنيه عن معاودة الكرة من مرابضه القريبة من الحمى المحرر .

معركة أنوال :

وهكذا خاض المجاهدون معارك متصلة بلغ عددها خمسا خلال شهر واحد ، واستخدم فيها الخطابي « تكتيكا » عسكريا جديدا . فكان يحفر الانفاق تحت الحصون ويحشوها بالمتفجرات ، فما ان تنفجر الارض تحت الحصن حتى يفر الاسبان الى الخارج في هلع واضطراب ، فيحصدهم المجاهدون بنيرانهم . وبهذا الاسلوب الفذ في ميدان الخطط العسكرية استطاع الخطابي ان يقضي على معظم المراكز التي اقامها الاسبان .

ولكن العدو الغاصب لم ييأس ، بل زادته مرارة الهزائم المتتابعة حقدا وعنادا . فرمى بكل ثقله في الحرب ، وكانت معركة انوال التي نشبت في يوم ذكرى معركة بدر الكبرى التي انتصر فيها النبي وصحبه من المهاجرين والانصار على مشركي مكة الباغين . وهنا ايضا لم يكن ثمة تكافؤ بين الفريقين ، ففي مقابل اربعة عشر الفا من الجنود الاسبان المعتدين المزودين بأحدث الاسلحة كان هنالك ستمائة مجاهد مسلحون بالعتاد الذي غنموه من العدو ، ينتظرون في خنادقهم هجوم جيشه وطلب الجنرال سلفستري من دولته النجدة حين ادرك تصميم الخطابي على الثبات في الحرب حتى النصر او الاستشهاد ، وفكر في الانسحاب في الوقت الذي كان الخطابي يرسم خطة الحرب ويوزع جنوده على مسالك الطرقات ليفاجيء العدو . واذ هم الطاغية بالارتداد على عقبيه قبل الشروق ، باغته المجاهدون

بالرصاص فهوى مضرجا بدمائه .

مزيد من الانتصارات :

تولى الجنرال نافارو قيادة الغزاة بعد مصرع سلفستري وباء بخزى الهزيمة مثل سلفه ، اذ فقد في معركة حصن « جبل اعروي » ٢٦٠٠ قتيل . وفي اليوم التالي من شهر اغسطس لم يبق مع الجنرال نافارو الذي سلم نفسه كأسير حرب للخطابي الا اربعمائة جندي من خمسة وعشرين الفا وغنم المجاهدون عشرين الفا من البنادق ، واربعمائة رشاش و١٢٩ مدفع ، وبلغ عدد الاسرى الاسبان الفا ومائة . ولم يخسر المجاهدون في هذه الملحمة اكثر من بضع عشرات من القتلى والجرحى .

وهكذا اسدل الستار على تلك المعركة البطولية بالنسبة للمجاهدين ، ودخلت التاريخ كأول معركة في القرن العشرين ، ينهزم فيها جيش اوروبي هزيمة منكرة على يد بضع مئات من الرجال . وقد اذهل هذا النبأ العالم الغربي المستعمر ، فحرك لديه عقدة الصليب مع الهلال وندب المارشال « اليوطي » فباء بدوره بالفشل الذريع ، واعقبه المارشال « بيتان » ذي الصيت المعروف في الحرب العالمية الاولى .

الجهاد الاكبر :

نجح عبد الكريم المغربي بطل الريف المغربي في الجهاد الاكبر بعد انتصاره في معارك الجهاد الاصغر فانشا حكما عادلا في تلك المنطقة استمر من سنة ١٩٢١ الى سنة ١٩٢٦ وكان يتطلع الى نشر العلم وتوطيد الحرية للشعب المغربي والعيش الكريم بين الامم ، الأمر الذي اثار حفيظة اعدائه من المستعمرين واتباعهم فنعتوه بالرجل الديني المتعصب الشرس . ولقد التف حوله الشعب وبايعه على الطاعة ثقة في اهدافه النبيلة ، وهي بناء دولة تستمد قوتها من جيش منبثق من ابناء الشعب ، وبناء اقتصاد محكم ، واقامة عدالة مبنية على الشورى والاقتناع كما شرعهما الاسلام .

وبذل الخطابي اقصى الجهد ، وهو في دوامة الاحداث الحربية فعمل على استتباب الامن بين القبائل ، وجمع شملهم على كلمة واحدة هي مقاتلة العدو الدخيل ، فأعاد روح الجماعة . كما أنشأ التعاونيات الزراعية ، ونظم التجارة بين المواطنين ، وأنشأ مدارس للتعليم ومد خطوط الهاتف وشق الطرقات ، وغير ذلك من الاعمال التي تعود على الناس بالخير . اما في الجانب العسكري فقد بدأ ينشىء جيشا عصريا لكي يضطلع بالمهام الوطنية والشعبية ، فالبندقية في يد والمعول في اليد الاخرى . وما كان لينسيه كل ذلك الجهد التزاماته اليومية التي كانت تحظى منه بالرعاية القصوى ، بل كانت بالنسبة اليه

كالروح في الجسد ، وهي الاجتماع مع كل الطبقات الاجتماعية والانصات اليها والاصغاء الى شكاواها مباشرة . وما غره يوما زهو الانتصارات التي احرزها ، وما رضي ان يلقب نفسه او يخلع عليه الناس الالقاب والنعوت التي تخلب ألباب اصحاب السلطة ، وقضى على الشعوذة والتمائم .

مؤامرات العدو وصنائعه :

لم يغفل اعداء الرجل من المستعمرين والتابعين لهم يوما واحدا عن التآمر عليه واستمالة ذوي النفوس الضعيفة والخسيسة والجهلاء الادعياء الذين كانوا يرتزقون من اعمال السحر والكهانة . فانضم هؤلاء الى اللفيف الاجنبي المعروف بوحشيته في التنكيل باحرار المغرب العربي خاصة والقارة الافريقية عامة . وبذلك حقق سدنة الاستعمار هدفهم الدنيء وهو محاربة المغاربة بعضهم لبعض بعد ان فرقوهم ليسودوا . وحشدت فرنسا ـ من جهة اخرى ـ على حدود الريف بطول الخطوط الشمالية للمغرب مائتي الف جندي بقيادة مارشالين ، واربعين جنرالا ، مقابل خمسة الاف مجاهد في اقليم لا يتجاوز عدد سكانه اربعمائة الف نسمة .

وفي ١٣ ابريل من سنة ١٩٢٥ استعرت نيران المعارك الطاحنة بين قوة الحق وقوة الباطل . فلم تتوان فرنسا واسبانيا في استعمال ما لديهما من قوة وامكانات حديثة ، ضد الوطنيين المسلمين ، كاستعمال الطائرات وغير ذلك من وسائل الخراب والدمار ، بقيادة طيارين مرتزقة امريكيين ، كانوا قد انتهوا توا من عمليات مماثلة في العدوان على الشعوب ، وانتهاك حقوق الانسان . وامام تعاظم قوة البغي والطغيان التي بلغ عددها نصف مليون جندي ـ وهذا باعتراف المصادر الغربية نفسها ـ لم يكن امام البطل الخطابي الا ان ينسحب من الميدان ، وهو شاهر مسدسه الى اخر لحظة ، ليذهب الى عالم النفي والحرمان .

صفحة مضيئة بالشرف والبطولة :

لكن الاستعمار لن ينسى ان فريقا من المجاهدين الريفيين بقيادة عبد الكريم الخطابي لم يزد عددهم عن خمسة الاف مقاتل ، استطاعوا وهم لا يملكون الا اسلحة عتيقة ، ان يواجهوا اكبر الحملات الاوروبية العدوانية التي اربت عدتها على نصف مليون جندي وان ينتصروا عليهم في معارك كثيرة بفضل ايمانهم وتمسكهم بحقهم واستهانتهم بالموت في سبيل المبادىء والاهداف النزيهة . ولقد سجل التاريخ جهاد ذلك البطل ورجاله المؤمنين في صفحات الشرف ليبقوا دائما رمزا للبطولة والتضحية وقدوة للاحرار الذين ينشدون الحق والعدل والكرامة في كل مكان وزمان . وصدق الله العظيم : **(إن تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم) محمد / ٧**



كثيرا ما يتساءل المرء عن سر هذا التقدم الرهيب الذي أحرزته تلك الأمم ، والتي استطاعت أن تطأ به سطح القمر . وكثيرا ما يتساءل أيضا عن سر تأخر المسلمين ، أو توقفهم بعد أن كان لهم قصب السبق في ذلك الميدان .

لقد حاول البعض أن يعللوا تأخر المسلمين بشدة تمسكهم بدينهم . فقالوا : ان الاسلام هو سبب تأخر المسلمين عن ركب الحضارة . ولكن ينقض على هؤلاء تعليلهم هذا أن الدين الاسلامي نفسه يحث في مواطن كثيرة على التعلم وعلى البحث ، لأن المسلمين أنفسهم عندما كانوا متمسكين بالاسلام حقا كانت لهم يد طولي في هذا المضمار . فليس الدين اذن هو عامل التأخر كما يقولون . وليست اللغة العربية أيضا هي سبب

هذا التأخر كما حاول الاستعمار وقتا ما أن يوعز بذلك .

واذا لم تكن اللغة العربية أو الدين الاسلامي هما سببا تأخر المسلمين عن ركب الحضارة فلا بد أن هناك عاملا أو عوامل أخرى غير هاتين فما هي تلك العوامل ؟

قبل الحديث عن هذه العوامل أود أن أشير الى أن الغرض من طرح هذه القضية ومحاولة تحليلها هو اكتشاف موطن الداء ليسهل وصف الدواء . فعندما نقف على هذه العوامل ونحددها نستطيع أن نتجنبها . أو على الأقل نستطيع أن نحدد مدى قدرتنا على تجنبها . وبالتالي نصبح على بينة من أمر أنفسنا فنعرف ان كانت تلك العوامل عوامل داخلية في المسلمين أو في الساميين عموما كما يقول « ريغان » المستشرق الفرنسي بحيث لا نستطيع أن نتخلص منها لأنها فطرية طبيعية . أم أنها عوامل خارجية طارئة يمكن علاجها والعمل على مجاوزتها عند الوقوف عليها . وأن هذه العوامل تتعلق بالظروف المحيطة بالانسان أكثر مما تتعلق بالانسان نفسه . فكلنا يعرف مثلا أن ازدهار الحضارات يواكب دائما الامم الناجحة القوية لأن الحضارات تزدهر في جو الاستقرار السياسي والاقتصادي والاجتماعي . فعندما تتوفر تلك العوامل تتجه جهود الدولة شعبا وحكومة الى الابتكار والاختراع لوجود الامكانات المادية والمعنوية التي تساعد على ذلك . أما اذا انعدم هذا الاستقرار وحلت محله الاضطرابات فليس آنئذ ثمة مجال لابتكار أو اختراع اذ الكل في ذلك الوقت يعمل لنفسه بمعنى أن كل فرد لا يهمه الا أمر نفسه يحميها من القلاقل ، ويؤمنها من المخاوف ، أو يجلب لها بعض المكاسب . وان وجد في مثل هذه الظروف شيء من حضارة فلن تكون في درجتها أوقات الاستقرار . والتاريخ بجميع فصوله وأبوابه خير شاهد على ذلك .

واذا سلمنا بهذه المقدمة نقول ان العرب عندما كان لهم هذا الاستقرار السياسي والاجتماعي والاقتصادي أوجدوا حضارة وصنعوا تقدما وكانت لهم خطوات في هذا المضمار طويلة ، وباع ليس بالقصير فوجد فيهم الأفذاذ من أصحاب النظريات وأرباب الاختراعات .

ولكن ـ والحق يقال ـ ان العرب أو المسلمين جميعا في هذا الوقت أخطأوا المنهج وضلوا الطريق فأضاعوا فرصة يعز عليهم أن يرجعوها . وكان خطؤهم في اتجاههم نحو مجال واحد يعملون فيه وينتجون . يبتكرون فيه ويخترعون . وتركوا المجالات الأخرى هملا أو شبه مهملة . ذلك أن المسلمين عندما أتيحت لهم ظروف التقدم والابتكار وخلق الحضارة اتجهوا نحو العلوم النظرية علوم الدين والشريعة واللغة والأدب وما اليها كرسوا لها أعدادهم وجهودهم حتى لتجد منهم ألف عالم وعالم في تخصص واحد وتجد العمل الواحد يكرر ألف مرة ومرة حتى قتلوا هذا المجال بحثا وأشبعوه انتاجا فأنتجوا من التراث في

العلوم الانسانية ما لم ينتج ولن ينتج مثله حتى ليقال ان مياه الرافدين في العراق قد اسودت من مداد الكتب التي ألقاها هولاكو فيها عندما استولى على العراق . فالاعادة والتكرار ، والشرح والتلخيص ، والابطال والتأييد ، أعمال انصرفت اليها جهود معظم علماء المسلمين وكان يمكن لها الاكتفاء ببعض ذلك أو أقله . يؤلف مثلا عالم كتابا في النحو فيأتي آخر ينقضه عليه ويأتي ثالث يؤيد النقض أو ينقضه ورابع وخامس وهكذا . وقل مثل ذلك في علم الكلام واللغة والفلسفة وباختصار كل فروع العلوم النظرية . وهكذا وجهت جهود علماء المسلمين الى مثل هذه الأعمال . ولا شك أن هذه العقول التي انتجت هذا التراث عقول جبارة . والمطلع على هذا التراث ليرى ما يثير دهشته من ذكاء هؤلاء العلماء وقدرتهم على التحليل وبراعتهم في التعليل . اقرأ ان شئت بعض كتب الفقه أو الأصول أو اذهب الى اللغة والنحو أو عرج على كتب الفلسفة والكلام ناهيك عن كتب التصوف ومؤلفات الشيعة . انتاج عجيب وعظيم معا وعندما أشير الى هذا الانتاج أشير الى مدى الجهد العقلي الذي استنفده ومدى ما له من دلالة على ذكاء القوم وعظمة عقولهم لا يعنيني صحة ما فيه في هذا المقام بقدر ما يعنيني تقييم الجهد العقلي الذي بذل فيه . فسواء أكان كل ما فيه صوابا أم كان شيء منه مجاوزا للصواب فان العمل العقلي الجبار باد في جميعه بل قد يكون خطوة قد بذل فيه من الجهد العقلي اكثر من صوابه .

وأريدك الآن أن تقف معي وتتصور لو أن بعض هؤلاء العلماء نصفهم أو ثلثهم أو دون ذلك أو فوقه اتجه نحو العلوم العملية ألم يكونوا قادرين على صنع حضارة وتقدم عملي ؟ ألم تكن هذه العقول قادرة على أن تحقق بعض ما حققه القوم اليوم أو على الأقل أن تبدأ من حيث بدءوا .؟!!

أما أنا فأعتقد ذلك بيد أني لم أقرا كتب التراث كلها ولا جزءاً ضئيلا منها . ولم أقرأ الا أقل القليل وقد رأيت في هذا الأقل ما جعلني أقرر أن بعض هذه العقول لو اتجهت نحو العلوم العملية لصنعت شيئا بل أشياء فما بالك بمن قرأ معظم هذا التراث أو جزءا كبيرا منه .

اننا نستطيع أن نعد من علماء المسلمين في هذا المجال (المجال النظري) المئين بل الآلاف في الوقت الذي اذا ذهبنا فيه الى العلوم العملية لا نعثر فيها الا على الواحد بعد الواحد . ولا يكاد المشهورون في هذا المجال يتجاوزون العقد الأول من العدد تذكر مثلا جابر بن حيان ، الخوارزمي ، الحسن بن الهيثم ، ابن سينا ، البيروني ، وربما تذكر ضعف هذا العدد أو حتى عشرة أضعافه فهو على أية حال عدد قليل وقليل جدا لا يفي . على أن هذا العدد أو أضعافه لم يجد من يواصل خطاه من بعده . فماتت أعمال كل واحد بموته تقريبا . لأن الفكرة ان لم تجد التطبيق فهى

ميتة أو في حكم الميتة .

فالفرق بين المجال العملي والمجال النظري عند المسلمين أمران أولهما أن معظمهم أو قل ان شئت كلهم عدا نذر يسيراتجه نحو العلوم النظرية ، وأفراد معدودون هم الذين اتجهوا نحو العلوم العملية . ثانيهما : أن من اتجه منهم نحو العلوم العملية لم يجد الخلف الذي يحمل نظرياته من بعده لم يجد اليد الأمينة التي ترعى هذه النظريات وتستخدمها وتطورها بعكسها في العلوم النظرية حيث كان الواحد منهم يضع رأيا في مسألة فتجد العشرات من بعده يناقشونها تأييدا أو معارضة . هذا الى أن كثيرا ممن اتجهوا نحو العلوم العملية لم يتجهوا لها كليا بل كان لهم الى جانبها اهتمامات بالعلوم النظرية فابن سينا مثلا فيلسوف قبل أن يكون طبيبا . وكذا البيروني وهكذا . والغريب بعد ذلك أن ترى اللاحقين يتبنون أعمال ابن سينا النظرية اكثر من تبنيهم أعماله العملية ففلسفة ابن سينا قتلت بحثا الى يومنا هذا في الوقت الذي أهمل فيه طبه أو كاد . ولو وجد طب ابن سينا مثلا العناية والاهتمام من المسلمين مثل ما وجدتها فلسفته لكان للطب عند المسلمين مقام غير مقامه الأن ... وهكذا ...

نستطيع أن نقول باختصار ان السبب في تأخر المسلمين هو اتجاه علمائهم نحو العلوم النظرية ، وقطعهم حبل الود وقطيعتهم التامة للعلوم العملية . من ثم برعوا في العلوم الانسانية وكسدوا في العلوم العملية ـ ربما يقول البعض ان هذا رأي سبق به ريغان من قبل عندما رأى أن الشعوب السامية تهتم بالعلوم الانسانية النظرية وبالرؤية العامة الكلية بينما تهتم الشعوب الآرية بالعلوم العملية وبالنظرة التفصيلية . هذا رأي ريغان . والمتأمل يجد فرقا واضحا بين ما ذهب اليه ريغان وبين ما أدلينا به هنا . فريغان يرى أن الجنس هو العامل المميز بين الشعوب الآرية والسامية وأن لكل شعب خصائصه ومميزاته . وعلى ذلك يرى أن العامل في تأخر الشعوب السامية ومنها الشعوب العربية عن الشعوب الآرية هو عامل داخلي فطري وهو الجنس . أما ما ذهبنا اليه فيرى أن العامل في تأخر المسلمين ليس عاملا أساسيا داخليا فطريا ـ ليس هو الجنس ـ وانما هي عوامل خارجية وأيا ما يكن فقد انتقدت نظرية « ريغان » بما فيه الكفاية مما يعفينا من اعادة نقدها هنا .

فاتجاه المسلمين نحو العلوم الانسانية لا لعجز عن العلوم العملية . ولكن لأسباب أخرى . دينية واجتماعية وسياسية . والمسلمون لو اتجهوا للعلوم العملية لأنتجوا . وبعضهم اتجه وأنتج . الا أنهم يمموا ـ لسبب أو لأخر ـ شطر العلوم الانسانية . وربما كان السبب في ذلك هو شدة تعلقهم بالدين وحبهم له الأمر الذي جعلهم يقيمون من أنفسهم حماة ومدافعين عن كتابهم المقدس « القرآن الكريم » . ومن أجل تلك الحماية وهذا الدفاع نشأت علوم اللغة والدين

على أوسع نطاق وأعمقه . فكل المصنفات الاسلامية من لغة وشريعة وفلسفة وتاريخ وأدب نشأت أصلا لحماية الدين بل حتى علوم الفلك والطب والهندسة نشأت نشأة دينية . وقل باختصار ان نشاط المسلمين الثقافي كان وراءه من قريب أو بعيد دوافع دينية . والحماس الديني الذي اندفعوا معه الى هذا الاتجاه حجبهم عن النظر الى الجانب الأخر من العلوم وهو الجانب العملي التطبيقي . فكانوا جميعا في اتجاه واحد وكان هذا هو الخطأ الذي وقعوا فيه لا الذي أوقعهم فيه الدين . لأن الدين لم يحجر عليهم دراسة العلوم العملية بل على العكس كثيرا ما حث عليها . والاشارات العلمية في القرآن اكثر من أن تحصى . بل ان الرسول صلى الله عليه وسلم عندما قال : « اطلب العلم ولو في الصين » يريد أن يشير من قريب أو بعيد الى العلوم العملية لأن العلم الذي يمكن أن يطلب في الصين ليس هو علوم اللغة أو الشريعة . فالخطأ اذن خطأ منهجي من المسلمين وليس من الاسلام . ومما شجع علماء المسلمين على التمادي في هذا الخطأ والاستمرار في الاهتمام بالعلوم الانسانية نظرة المجتمع فقد كان المجتمع يحترم ويجل أمثال هؤلاء العلماء في الوقت الذي كان لا يعطي مثل هذا الاحترام والتقدير لمن يشتغل بالعلوم العملية ويهتم بتطبيقها .

وليس المجتمع فحسب بل الحكام أيضا كانوا يرعون العلوم الانسانية أكثر من رعايتهم للعلوم العملية وبلاط الخلفاء خير شاهد على ذلك .

ويمكن أن نضيف الى ذلك بساطة حياة المسلمين الأولى وسذاجتها التي جعلتهم لا يفكرون في العلوم العملية لأن الحاجة أم الاختراع وهؤلاء كانت حاجاتهم قليلة جدا .

وعلى ذلك فالوقت الذي كان من الممكن أن ينتج فيه المسلمون شيئا أنتجوا فيه أشياء كثيرة . ولكنها علوم نظرية وليست عملية . وبعبارة أوضح ان عهد الاستقرار السياسي والاجتماعي والاقتصادي للمسلمين الذي كان يمكنهم أن يصنعوا فيه حضارة وتقدما علميا عمليا لم يستغلوه في هذا المجال وانما اتجهوا فيه نحو العلوم النظرية فكان ذلك الانتاج الرهيب الذي خلفوه . ثم ضاع هذا الوقت بالنسبة للمسلمين عندما ضعفوا واستعمروا وضاعت فرصتهم للقدرة على الاختراع ردحا من الدهر . ثم عادت أو ها هي تعود اليهم ثانية فهل يا ترى ينتهزونها هذه المرة أم يتركونها تفلت من أيديهم كما فلتت من قبل ؟!! لا .. انهم تعلموا درسا قاسيا واستفادوا منه كثيرا وها هم الأن يعملون قدر جهدهم ليلحقوا بالركب . ومبعوثوهم في الدول المتحضرة خير شاهد على عزمهم وإصرارهم . وما هى الا فترة أو زهاؤها حتى تنتهي خلافاتهم وتتوحد كلمتهم وجهودهم وعندئذ يقودون العالم كما قادوه من قبل وينتجون له هذه المرة حضارة عملية انسانية معا هدفها سعادة الانسان ، سعادة حقيقية .



تمهيد :

من أهم حاجات الفرد والمجتمع في كل النظم والفلسفات الحاجة الى الأمن ، وهذا ينطبق على الانسان في كل زمان وفي كل مكان ، كما ينطبق على المجتمع في كل زمان وفي كل مكان .

وكل أمة تضع من الأسس التربوية ومن التشريعات القانونية ما يساعدها على تحقيق الأمن ـ وهذا حسب تصور المربين فيها وحسب تصور رجال القانون ورجال السياسة ، وهذا يتأثر إلى حد كبير بالمصادر التي يستقون منها نظمهم وقوانينهم .

وقد جربت المجتمعات الأصول التربوية المختلفة والتشريعات القانونية المتباينة في جميع عصورها وفي جميع دولها .

ويأتي سؤال : وهل نجحت هذه الدول في تحقيق الأمن للفرد وفي تحقيقه للمجتمع ؟

إذا كان الجواب ما قرأناه في كتب التاريخ عن الماضي وما نراه وما نقرؤه وما

هدفها حماية مقوّمات الوجود الإنساني

طلبت جمعية العفو الدولية من الاطباء الامتناع عن تنفيذ عقوبة قطع يد السارق زاعمة ان قطع يد السارق لون من الوان التعذيب . ومن هنا يحق لنا ان نكتب عن العقوبات في الاسلام لنبين لهذه الجمعية انها خالفت الحق والعدل فيما طلبت ، وليعلم الناس كل الناس من طريق الحجة والبرهان ان العقوبات في الاسلام شرعت لصيانة مقومات الحياة الانسانية من الدين والعقل والعرض والدم والمال ، وانها دون غيرها سبيل الامن والطمأنينة .

للاستاذ : علي القاضي

نسمعه عن المجتمعات الحاضرة من فشل واضح في تحقيق هذه الحاجة للفرد والمجتمع فان سؤالا آخر يأتي :-

ولماذا كان هذا الفشل الواضح في تحقيق هذه الحاجة الأساسية ؟

والجواب : إن الذي يضع الأصول التربوية والقوانين التشريعية رجال علماء تربية وفقهاء في القوانين وهم يعرفون عن الأفراد جوانب ويجهلون جوانب ، ولذلك فانهم حسب علمهم يضعون ويظنون ان هذا كاف وعند التطبيق يظهر ألوان من القصور فيغيرون ويغيرون وهكذا ـ ثم إنهم حسب استعداداتهم الشخصية وحسب ثقافاتهم يتأثرون في بعض الجوانب فلا يرون إلا هذه الزوايا ، وأحيانا تتدخل المصالح الخاصة في وضع ذلك فتصبح القوانين أو تطبيقاتها في مصلحة الحاكم أو في مصلحة الحزب أو غير ذلك .

والمجتمعات الغربية تستمد أصول قوانينها من القانون الروماني القديم ، وهي تشيد به وبما فيه من امتيازات ـ ولكنها لا ترى غيره ـ ومع وجود الكثير من المميزات في القانون الروماني القديم إلا أن به أيضا ألوانا من الخلل مثل وجود

قوانين تطبقها على أفراد مجتمعها وقوانين لغيرها ، يقول محمد أسد في كتابه (**الاسلام على مفترق الطرق**) : إن الفكرة التي كانت تسيطر على الأيدلوجية الرومانية هي احتكار القوة لها ، واستغلال الأمم الأخرى لمصلحة الوطن الروماني فقط ـ لم يكن رجالها والقائمون عليها يتحاشون من أي ظلم أو قسوة في سبيل حصول خفض العيش لطبقة ممتازة ـ أما ما اشتهر من عدل الرومان فلم يكن إلا للرومان فقط .

إن استقرار المجتمعات هدف أساسي لجميع النظم وجميع التنظيمات الاجتماعية التي تحاول أن تبلغه بشتى الأساليب والمناهج ـ بل وتقوم بتجريب ما تسفر عنه الدراسات والأبحاث ليساعدها ذلك على استقرار المجتمعات ، ومع ذلك فهل وصلت إلى النتيجة المرجوة ؟ **والجواب** : لا ، بل إن كل المجتمعات تشكو من فقدان الأمن للفرد والمجتمع ـ ومع ذلك فان هذه المجتمعات التي تفتقد الأمن في نظمها وتشريعاتها البشرية يحلو لها أن يهاجموا الاسلام في النظم التربوية والتشريعات الحدودية حتى يثبتوا لأنفسهم ـ وربما للمسلمين أيضا ـ أن الاسلام دين قد انقضى عهده ، ولم يعد صالحا للتطبيق في عهود الحضارة والمدنية ، إذ كيف يكون من المعقول أو المقبول أن يمشي بين الناس بيد واحدة لمجرد أنه سرق أو أن يجلد لمجرد أنه زنا ـ مع أن هذا قد يكون برضا الطرفين ـ فالاسلام بذلك يصادر الحرية الشخصية ـ وكيف يكون من المقبول أن يجلد شارب الخمر مع أنه يريد أن ينسى همومه أو يتلذذ بشربها وهكذا ..

يقولون هذا وهم يعانون ما يعانون من المتاعب والمشكلات وفقدان الأمن للأفراد والجماعات ـ ولو أن أساليبهم في التربية وتشريعاتهم القانونية نجحت لكان من الممكن أن يقولوا هذا ـ ولكنهم يقولون ما يقولون في كبرياء لأنهم لا يكلفون أنفسهم دراسة التربية الاسلامية ولا التشريع الاسلامي بحثا دقيقا حتى يعرفوا ما فيهما من امتيازات وما وصل إليه التطبيق من نجاح ، فيكونون هم المستفيدين بما يتوصلون إليه من معرفة .. ولكن متى كان للمستكبر نظرة موضوعية يفيد بها نفسه وغيره ؟

والاعجب من هذا أن بعض المسلمين الذين تثقفوا ثقافة غربية يسيرون على هذا النهج وهم لا يعرفون شيئا عن دينهم ولا عن ثقافتهم ولا عن عقيدتهم ، فصادفت هذه المعلومات قلبا خاليا فتمكنت منه .. وساعدهم على ذلك أنهم مكنوا بوساطة الغربيين من استعمال أجهزة الدعاية والاعلام فأخذوا يعيدون ويزيدون ويكررون هذه المعاني ، ويحاولون أن يأتوا بقانون من هذه الدولة أو تلك ـ وفي الوقت نفسه يواجهون من يطالب بتطبيق الشريعة الاسلامية باتهامات شتى مثل الرجعية والتأخر ومصادرة الحريات وما إلى ذلك ـ مع أن النظرة الخاطفة ترينا أن المدنية الحديثة هي التي صادرت الحريات وأهدرت كرامة الانسان ، ولاقى الانسان تحت لوائها ما لاقى من متاعب وأهوال .. ثم هل معنى أن الشيء قديم أنه غير صالح ؟ وهل الرجوع إلى الوراء كله سوء ؟ فلماذا يرجعون إلى الآداب الاغريقية

وإلى القوانين الرومانية ليستمدوا منها الكثير في آدابهم وفي قوانينهم وتشريعاتهم مع أنها أسبق بكثير من الاسلام ؟

إن قوة الغرب المادية أعمت بصيرته عن أن ينظر بعين الانصاف فشقى هو بذلك ، وشقى الكثيرون معه من الذين يسيرون على نهجه .

هل الحدود الاسلامية قسوة ؟

من الذي شرع الحدود الاسلامية ؟ إن الذي شرع هذه الحدود هو الله سبحانه وتعالى خالق البشرية وهو أدرى بما يصلحهم وما يصلح لهم ـ **ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير** ؟ أترى رب العزة يميل إلى القسوة على عباده أم أنه بهم رؤوف رحيم ؟ يحدثنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا بامرأة من السبى قد وجدت صبيا في السبى فأخذته فألصقته ببطنها وأرضعته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أترى هذه المرأة طارحة ولدها في النار ؟ قلنا : لا والله وهي تقدر على ألا تطرحه فقال عليه الصلاة والسلام : الله أرحم بعباده من هذه بولدها » البخاري ومسلم .

والناس في الزمن الحاضر ـ وفي كل زمن ـ ينظرون نظرة جزئية إلى مصلحة خاصة أو مصلحة عامة في فترة زمنية محدودة ـ ولو أنهم نظروا إلى مصلحة الفرد على المدى الطويل وعلى مستوى المجتمع كله أو على مستوى الجماعات والأمم لغيروا .. ولكن الانسان بطبيعة تكوينه قاصر عن أن يحيط بكل الزوايا التي تفيد المجتمع والفرد ـ وخالق البشر هو وحده الذي يحيط بكل ذلك ـ وهو المنزه عن كل نقص أو قصور ـ كما أنه المنزه عن أن يكون له غرض خاص او مصلحة خاصة ..

ومع هذا ، فان المجرم في المجتمعات التي لا تطبق شرع الله ينال عقوبات أقسى مما يناله في ظل الحدود الاسلامية ـ إذ أن المجتمع يقف أمام المعتدي محاولا أن يمنعه من جريمته ـ وبالتالي فان المجرم يستخدم ذكاءه ـ ويستخدم القوة في صورة أقسى ضد المجتمع فينال المجرم من صراعه مع المجتمع أضعاف العقوبة الالهية ـ ويلاقي المجتمع الذي لم يسر على منهج الله تعالى ألوانا من المتاعب الجسمية والنفسية إلى جانب اعداد من الضحايا وفقدان الأمن والاطمئنان .

ومن يبحث في أحوال المجتمعات الانسانية المعاصرة ويرى ما تطبقه من أدوات وأجهزة ووسائل وما تستخدمه من فلسفات ومناهج وأساليب تقف من ورائها مؤسسات ضخمة بعضها علمي وبعضها تربوي وبعضها فني ـ إلى جانب ما تضع السياسة العامة لهذه المجتمعات من مؤسسات بعضها سياسي وبعضها تشريعي وبعضها تنفيذي وبعضها قضائي ـ ثم يرى ما تعانيه هذه المجتمعات مع هذا كله من فقدان للأمن يصاب بخيبة أمل .

نعم ، إن المجتمعات الحديثة تعاني ما تعاني من اضطرابات اجتماعية ـ وعدم وجود أمن واستقرار فيها ـ ومن ينظر إلى ألوان الجرائم التي تنتشر هنا وهناك

بصورة مخيفة يجد الجرائم بكل صورها ـ بكل عنفها ـ بكل ما فيها من حنق على المجتمعات ـ ويتمثل هذا في عصابات السرقة والسطو والسلب بالاكراه والاغتصاب بالقوة ، ثم إلى الاختطاف والتهديد والاغتيالات الفردية والجماعية ـ وهذه العصابات تتسلح تسلحا قويا ، وتخطط وتنفذ في تحد لكل أجهزة الدولة الأمنية ـ بل والشرطة العالمية في كثير من الأحيان .

وإلى جانب هذا جرائم اخرى هي في نظر القوانين الوضعية محققة ولكن آثارها في المجتمعات كبير من ذلك السكر وما يقترف بسببه أحيانا تحت شعاره ـ واصبحت كل أجهزة الأمن الحديثة قاصرة عن تحقيق الأمن لمواطنيها .

والحدود الاسلامية حينما تصبح تشريعا نافذا يلتزم به الأفراد ويطبقه المجتمع ويصبح معلوما للناس جميعا أنه من قتل يقتل وأن من سرق يقطع وهكذا ، فان كل شيء سيسير على النظام الذي يحقق الأمن والاستقرار ـ هذا إلى جانب التربية الاسلامية التي تقوي الضمير وتربط الفرد بالله تعالى على امتداد الأزمان والأماكن ، فالتربية والتشريع الحدودي يرسمان للمجتمع الاسلامي الأمن والهدوء والاستقرار ـ وذلك أعز ما في هذه الحياة .

فالأمن أهم شيء في هذه الحياة ، ولا يحس به أو بأهميته وبقيمته إلا من افتقده في هذه الحياة .

والعصر الحديث يتميز بافتقاد الأمن ، وهذا ما دعا إلى إنشاء لجنة في باريس لدراسة العنف برئاسة وزير العدل بيريفيت ، وقد جاء في هذه الدراسة ما يأتي : العنف الناتج عن الشعور بعدم الأمان الذي ساد في الفترة الأخيرة هو العنف الاجرامي والاقتصادي ـ العمل ـ الرياضة ـ الحروب ـ الارهاب السياسي ـ وسبب أعمال العنف : الضغط السكاني ، والمعدل الكبير للحياة المعاصرة وإغراء المال ـ وعدم وجود القيم ـ وقد ظهر أن ٦٩٪ من العينات لا يلجأون إلى الشرطة لحل مشكلاتهم لأنهم لا يثقون في إمكاناتها ، وأن ٢٠٪ من أفراد العينة تدرب على الكاراتيه والجودو ليدافعوا عن أنفسهم ، وأن ١٢٪ أحكموا إغلاق أبوابهم ، وأن ٦٠٪ يملكون أسلحة مرخصة للدفاع عن أنفسهم ـ وظهر أن بعض الناس يطلقون النار على بعض الأشخاص لمجرد قيامهم ببعض الضوضاء وذلك بسبب الضيق والتوتر والقلق .

ويستمر التقرير قائلا : والعنف أخذ في النمو بمعدلات متقاربة في جميع الدول الصناعية ما عدا اليابان ـ وقد ظهر أن ٢٥٪ تواتيهم الرغبة في ضرب إنسان أي إنسان مرة على الأقل كل أسبوع .. وأن نصف سكان باريس اعترفوا بأنهم يتعاركون بشكل مستمر مع أحد أفراد العائلة ـ وقد سجل عام ١٩٧٦ أن ٣٥,٤٠٠ جهاز تلفزيون تم تحطيمها وأن ١١٥١ جهازا قد سرقت ـ وأن نسبة الانتحار تأتي في المرتبة الثانية بعد الوفاة الناتجة عن الحوادث ـ وتعاطي الخمور والادمان يماثلان الانتحار ـ وهناك احصاءات تستحق الدراسة الدقيقة لرسم العلاج فقد جاء في هذه الدراسة تحت عنوان : المجتمع الفرنسي يخشى شبابه انه في

عام ١٩٧٥ سجل أن ٨٦٪ من مقترفي الجرائم وبخاصة جرائم السطو والسرقة باستخدام الأسلحة من الشباب أقل من ٣٠ عاما . وأن ٦٤٪ من هؤلاء يقل عمرهم عن ٢٥ عاما وأن ٢٤٪ من هؤلاء يقل عمرهم عن ٢٠ عاما وقالت الدراسة ان عدم العدالة ظاهرة منتشرة وتمتد إلى مجالات الثقافة والبيئة والفراغ ـ وتوجد علاقة مباشرة بين عدم العدالة والعنف ـ وقد يكون تعبيرا عن عدم الرضا عن الظلم ومحاولة لتحقيق العدالة .

الغش الضريبي وتهرب الأثرياء القادرين من دفع التزاماتهم الضريبية مما ينتج عنه عدم المساواة وينعكس هذا على النفوس ـ وقد ظهر من هذا التقرير أن ١ من ٢ ممن يرتكبون جرائم القتل يقبض عليه ـ وأن ١ من ٤ ممن يرتكبون جرائم السرقة يقبض عليه وأن ١ من ٦ ممن يرتكبون جرائم السطو يقبض عليه ـ كما ظهر أن ٧١٪ من السكان يرون أن العدالة تسير بشكل سيء ـ وظهر أيضا من نتائج هذه الدراسة ـ أن ظهور حالات العنف داخل الكثافة السكانية تسبب نوعين من رد الفعل أحدهما سلبي يتمثل في الخوف والتوتر النفسي عند المواطنين والآخر إيجابي يتمثل في مقابلة العنف بالعنف ـ كما ظهر أن نسبة الجرائم عام ٧٧/٧٦ كانت على النظام الآتي :

- من تقل اعمارهم عن ١٣ سنة ٦٪
- من ١٣ ـ ١٤ سنة ٤,٩٠٪
- من ١٤ ـ ١٥ سنة ٩,٩٠٪
- من ١٥ ـ ١٦ سنة ١٥,٥٠٪
- من ١٦ ـ ١٧ سنة ٢٥٪
- من ١٧ ـ ١٨ سنة ٣٨,٧٪

على أن العجب العجاب يظهر في التوصيات التي أوصت بها اللجنة المسؤولين والتي تتلخص في العناية بالهوايات وفي تنظيم العطلات المدرسية بحيث تؤدي إلى امتصاص الفراغ ـ وفي الاهتمام بتكوين المعلم وفي الحماية القضائية للشباب الذي ارتكب الجرائم وفي إقامة روابط بين الشباب والمؤسسات التي تخدمهم ، وفي العناية برسالة التلفزيون ..

أو ليس من العجيب أن تكون كل هذه هي كل التوصيات التي توقف هذه الجرائم ؟ أين أسلوب التربية التكويني ؟ وأين الاسلوب العلاجي الذي يقف أمام هذه التيارات ؟ إنه أسلوب قاصر لن ينجح في إصلاح ما فسد ؟ وهذا نوع من الجرائم فأين أنواع الجرائم الأخرى ؟ لكن الاسلام له أسلوب في التربية وأسلوب في العلاج .

الأسلوب الاسلامي في التربية :

والاسلام ـ لأنه من الله سبحانه وتعالى ـ يتوخى في تشريعاته مواءمة الفطرة

الانسانية ـ وقد اتخذ لذلك أسلوبين يسيران جنبا إلى جنب حتى يتحقق بذلك الأمن للفرد والمجتمع .

الأسلوب الأول : **تكويني** : وهو مهمة التربية الاسلامية ـ وهو عبارة عن بناء الفرد المسلم من جميع جوانبه الجسمية والعقلية والوجدانية والخلقية والاجتماعية وربطه بالله سبحانه وتعالى فيقوى بذلك ضميره على محاسبته نفسه ومراقبته لله تعالى ، ثم في رسم الطريق الذي ينهجه وفي سلوكه الذي يسير عليه في هذه الحياة ، وبذلك يستنفد طاقاته في مسالك سليمة لا يضل من يلتزمها ـ وتعود بذلك الفائدة على الفرد وعلى المجتمع في وقت واحد .

ثم إن الاسلام يقوم على أساس متين من العدالة الاجتماعية والتكافل الاجتماعي الكامل بين أفراد المجتمع الاسلامي على نحو يتيح لكل فرد أن ينال حقه كاملا في الحياة الانسانية التي تليق بالبشر سواء أكان ذلك من الناحية الاقتصادية أم من الناحية النفسية أم من الناحية الاجتماعية .

والتكافل في الاسلام يفرض منذ البداية أن يقوم كل إنسان بواجبه أولا فاذا ما تمت هذه الخطوة فليس هناك من يحتاج إلى المطالبة لحق لأن في أداء الواجبات من الأفراد ومن المجتمع اتياناً للحقوق ـ حقوق كل فرد ـ فلا يجد نفسه في حاجة لأن يطلب شيئا ـ فاذا لم ينل حقوقه أمكنه أن يطالب بها وسيجد آذانا صاغية وأعذارا واضحة تبين له سبب عدم حصوله على حقوقه .

وإذا ما غابت العدالة الاجتماعية أو التكافل الاجتماعي لسبب أو لآخر فانحرف بعض الأفراد في هذه الظروف الطارئة استتبعها إعادة النظر إلى المواقف في ضوء الوضع القائم .

والأسلوب الثاني : **علاجي** : ويظهر في مواجهة ما يبدو من شذوذ خارج عن الفطرة أو انحراف طارىء على استقامتها ـ وذلك يظهر حين يكون هناك خلل في بناء الفرد أو نتيجة لعوامل أتاح لها ضعف الانسان تأثيرا وقتيا لا يلبث أن ينتهي متى ووجه بما وضعه الله تعالى خالق الانسان من طرق العلاج التي تبدو قاسية ـ وإن كانت في حقيقة الأمر هي الرحمة بعينها .

والحدود الاسلامية لابد وأن تدخل ميدان التربية الاسلامية حتى تصبح جزءا أساسيا في تكوين أفكار الناشئة وفي ضمائرهم وتنفعل بها وجداناتهم ـ وهذا كله يحقق معنى التقوى التي يطلبها الاسلام من كل فرد من افراد المجتمع الاسلامي ـ والتقوى معناها ان يفعل المسلم كل ما يأمره الله به وان يجتنب كل ما نهاه عنه ـ ومعنى هذا أن يستجيب ضمير المسلم للخير والحق والعدل ـ وهذا أعظم ركيزة في المجتمع الاسلامي لأن المسلم يسير على النهج السليم الذي يقربه من معاني القوة والفضيلة ويبعده عن الانحراف واقتراف الآثام التي تحدث الخلل في المجتمع .

والحدود وحدها لا تنشىء مجتمعا آمنا سليما ـ ولا تبعث في النفوس الهدوء والاطمئنان وإنما دورها الاسهام في المحافظة على أمنه واستقراره اللذين قاما أصلا نتيجة لبنائه على أصول الاسلام ومبادئه .

وليس من المعقول أن يؤتي بالحدود الاسلامية لاقامتها في مجتمع لا يسير على نظام الاسلام .. ولا يعني فيه بالتربية الاسلامية ، ولا يحقق في النفوس التقوى ، ولا يقوي الضمير ، ولا يربطه بالله تعالى إنه إذن الخلل بعينه ـ الخلل الذي يظهر الحدود الاسلامية بمظهر القسوة على المنحرفين ـ لأن الانحراف بكل ألوانه منتشر في المجتمع ـ ومن هنا تزداد المخاوف وتظهر آثار ما يقولون .. ولكن الحدود الاسلامية في ظل المجتمع الاسلامي الذي يقوم على أسس التربية الاسلامية الذي يطبق تعاليم الاسلام مفيد إفادة هائلة في إيقاف الانحراف ، وفي ضمان الأمن للفرد والمجتمع .

والحدود الاسلامية هدفها حماية مقومات الوجود الانساني ، وهي الدين والنفس والعقل والعرض والمال والأديان السماوية تلتقي حول تقديس هذه المقومات ـ ذلك لأن الدين هو غاية هذه الحياة وهو الذي يجعل الانسان يحقق خلافة الله في الأرض ـ فيعمرها وينشر العدالة والأمن فيها ـ كما أن النفس بها قوام الوجود ـ وبغيرها لا يكون هناك حياة ، وبالتالي لا يستطيع الانسان أن يحقق رسالته في هذا الكون ، والعقل لأن به قوام إنسانية الانسان الكامل ـ وبغيره يصبح الانسان كالحيوانات ـ والذين لا يستطيعون أن يحققوا لأنفسهم ولا لمجتمعهم شيئا يقوم على التفكير والفهم والبناء ـ والعرض لأنه جماع ما يمدح به الانسان أو يذم ـ وهو مناط الكرامة والاحترام بين الناس ـ والمال لأنه قوام الحياة في بعدها المادي القائم على إشباع حاجات الجسد ـ ثم إنه أداة لتطهير الروح وتزكية النفس .. وإذا أمن الفرد في المجتمع على هذه الأشياء كلها فقد استراح قلبه ، وهدأت نفسه واطمأنت روحه وبالتالي أصبح المجتمع كله مجتمع أمن وسلام واطمئنان .

ولهذا كله كانت الحدود الاسلامية حقا لله عز وجل لا يجوز للحاكم أن يتنازل عنها حتى ولو تنازل المجني عليه عن حقه ـ ومن هنا ، فان المجرم يعرف أن أحدا لن ينفعه في منع توقيع الحد عليه ولا يساومه على ذلك ـ وبذلك يحدث توازن نفسي بين الدوافع للجريمة ، والموانع التي تقف أمامها وسيبقى بعد ذلك الشرير الشاذ الذي لا يبالي بالمجتمع ، ولا يفكر في عاقبة عمله ـ وهذا الصنف هو الذي يتعامل الاسلام معه بالحدود .

الحدود تقيم التوازن بين الفرد والمجتمع :

يتحدث الدكتور الذهبي رحمه الله عن هذه الناحية فيقول : إن الحدود تقام على مبدأين : المبدأ النفسي والمبدأ الاجتماعي .

والمبدأ النفسي بحكم طبيعته مسرح لصراع مستمر بين دوافع الخير ونزعات الشر فيه ، وهو معرض لعوامل كثيرة قد تميل به إلى هذه الناحية أو تلك ، فاذا ما كان متوازنا - بأن تكون عوامل الخير فيه مسيطرة أو أن هناك عوامل مناهضة لعوامل الشر فيه - أمكنه أن يبتعد عن الانحراف - والحدود من العوامل التي تحقق هذا التوازن إلى جانب التربية السليمة ، والبيئة الصالحة ، والرغبة في ثواب الله - فعامل الرغبة وعامل الرهبة كلاهما يؤثر على النفس إيجابا أو سلبا في ناحيتين مختلفتين - فاذا ما هم مسلم بشرب الخمر مثلا فتماثل له ما أعده الله للمتقين فينشط الوازع النفسي فيه فيكف عن شرب الخمر ، فاذا لم يفد هذا فعامل الرهبة يؤدي الى نفس النتيجة من طريق آخر وهو الخوف من عقاب الله في الآخرة ، أو من عقاب المجتمع في الدنيا - فهو يوازن بين ما ينال من لذة شرب الخمر وما يصيبه من عقاب بالحد عليه وسوف يصرفه ذلك عن شربها - وهذا يثمر اذا كان العقاب رادعا يزيد عن اللذة الوقتية والا توافرت الجرأة على الاقتراف - وفي مجال الترغيب بالثواب ، يقول الله تعالى : (**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا**) الكهف/١٠٧ وفي الترهيب بالعقاب يقول الله تعالى : (**فويل للمصلين . الذين هم عن صلاتهم ساهون**) الماعون ٤/٥ ، ولا يغني واحد منهما عن الآخر - ومن هنا كان اهتمام القرآن في مزجه وربطه الوثيق بين عنصري الترغيب والترهيب في كل الأحوال أمرا أو نهيا - ولأن المزج يتيح للنفس من عوامل التوازن والسيطرة على بواعثها ودوافعها ما تتمكن به من شحذ إرادتها في مجال الاختيار والترجيح - ذلك لأن الدوافع التي تحرك لارتكاب الذنوب الموجبة للحد هي دوافع بالغة المدى من حيث تأثيرها في الغرائز والميول الفطرية الأولى التي جاء الدين وكل المقومات الفطرية لتهيئتها في الانسان - ودور الحدود دور بنائي يسهم في تكوين الفرد وتنشئته من جهة ، ودور وقائي يمنع الكثرة الغالبة من الأفراد على جرائم الحدود من جهة أخرى .

والمبدأ الثاني هو المبدأ الاجتماعي فالحدود حق الله - ومعنى ذلك أنه لا يجوز للمتخاصمين إسقاطه بالعفو أو التراخي - والى جانب هذا فللحد قدسيته وهيبته حين جعله الله تعالى حقا له - وجعل العدوان عليه عدوانا على حمى الله ، كما جعل تعظيمه تعظيما لأمر إلهي (**ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه**) الحج/٣٠ هذه القدسية « حق الله » متى استقرت في نفس مؤمنة كانت حاجزا قويا يحول بين صاحبه وبين الاقتراب منها - ثم إن العدوان الذي وقع وهو موجب لحد من الحدود هو عدوان على الجماعة كلها - وهذا واضح في قوله تعالى : (**من أجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا**) المائدة/٣٢ ، ولعل ما يحدث الآن في المجتمعات الغربية من اجتراء على القتل يشرح لنا هذه الآية شرحا يبين لنا أبعادها والخطورة التي تترتب على الاجتراء على القتل .

والخطاب في آيات الحدود موجه للجماعة وهذا يوضح واجبها في إقامة الحد والمحافظة على ذلك فهي ليست منازعات شخصية ، وليست حقوقا شخصية خاصة ، إنها حق المجتمع ، إنها حدود الله التي يجب على المجتمع الاسلامي إقامتها .

إن الحدود الاسلامية هدفها حماية مقومات الوجود الانساني وهي الدين والنفس والعقل والعرض والمال ـ وفي حماية الدين أوجب الله تعالى حد الردة ، وفي حماية النفس أوجب حد القصاص ، وفي حماية العقل أوجب حد الخمر ، وفي حماية العرض أوجب حد الزنا وحد القذف ، وفي حماية المال اوجب حد السرقة والحرابة .

حد الردة :

الاسلام يعطي الحرية الكاملة لأي إنسان في أن يعتنق الاسلام أو لا يعتنقه ، وقالها الاسلام صريحة : **(لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها)** البقرة/ ٢٥٦ ـ ولكن الانسان إذا دخل الاسلام فليس من حقه أن يرجع بعد ذلك لأنه قد التزم بدخول الاسلام بالتزامات أمام الله تعالى وأمام المجتمع الذي يعيش فيه وفي العصر الحديث الانسان الذي يلتزم ويخل بالتزاماته أمام الدولة له عقوبات قد تصل إلى الاعدام وفي الدول الملحدة المعاصرة يعتبر أن من يعود إلى دين كان عليه قبل ذلك بل أن يترك الحزب فقط خائنا للحزب رافضا لفلسفته وينال ألوانا من التعذيب وتوقع عليه عقوبات قد تصل إلى الاعدام ومع ذلك فان هذه الدول تنكر على مجتمع مؤمن يريد أن يؤمن حقه في حماية نفسه من عبث العابثين المتلاعبين وخطر الخارجين عليه ـ هذا من زاوية ـ ومن زاوية أخرى فالمرتد قد قام بجريمة أخرى هي الاستهزاء بدين الدولة والاستخفاف بعقيدة أهلها ، ورسم طريق الجرأة لغيره من المنافقين ليظهروا نفاقهم ويشككوا الضعاف في عقيدتهم وهذه كلها جرائم .

وقد قص علينا القرآن الكريم من مواقف أهل الكتاب ما يؤكد هذه المعاني **(وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون)** آل عمران/ ٧٢ .

وحد الردة يغلق الباب أمام من يريد إفساد الاسلام من داخله أو التجسس عليه ، وقد عانى الاسلام كثيرا ممن أخفوا الكفر وأظهروا الايمان .

حد القتل :

عقوبة الاعدام من أقدم العقوبات ـ ومنذ القرن الثامن عشر ـ بدأ بعض الكتاب

يعترض عليها ويطالب بالغائها ـ ثم تراجعت حركة الالغاء في بعض الدول تحت تأثير العوامل السياسية ونظم الحكم الداخلية والاعتبارات المحلية ـ ولا يزال كثير من التشريعات يقرر عقوبة الاعدام مثل التشريع الفرنسي والتشريع السوفييتي ـ وهناك تشريعات ألغت عقوبة الاعدام مثل التشريع النرويجي والسويدي والنمساوي والدانمركي ولكن كثيرا من التشريعات التي الغت عقوبة الاعدام عادت فقررتها حينما شعرت بالحاجة إليها ـ ومن ذلك التشريع الايطالي الذي ألغاها عام ١٩٣٠ ثم عاد إلى اقرارها مرة أخرى عام ١٩٤٧ ، والتشريع السوفييتي الذي ألغاها عام ١٩٤٧ ثم عاد إلى إقرارها عام ١٩٥٨ في قانون العقوبات الاتحادي .

وهكذا تضطر التشريعات البشرية إلى التغيير ـ لأن نظرتها قاصرة ولأنها تتأثر بأوضاع المجتمع المختلفة على عكس التشريع الالهي ـ وإذا كان الأعدام كما يرى بعض المتحضرين وهو يوقع على مجرم يتسم بالقسوة والبشاعة ، فان الاعتداء على المجني عليه وهوشخص برىء يكون اشد قسوة واكثر بشاعة .

والاسلام يبين السبب في صورة واضحة بقوله : (**ولكم في القصاص حياة يا أولى الألباب**) البقرة/١٧٩ · ويبين فرض حد القصاص في قوله : (**يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى**) البقرة/١٧٨ ..

والقرآن الكريم يعتبر القتل جريمة كبرى ويتوعد فاعله بأشد ألوان العذاب والعقاب فيقول : (**من أجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا**) المائدة/٣٢ ، كما بين أن قتل النفس جريمة كبرى جزاؤها جهنم عند الله (**ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما**) النساء/٩٣ .

والرجل الذي يريد ان يقتل ـ حين يعلم أن جزاءه القتل ـ فانه سيتردد مرة ومرات قبل أن يقدم على جريمته .. والقرآن نص على أن القصاص فيه حياة للناس لـ (أنهم كانوا يعقلون هذه المعاني ، ولكن القاتل إذا علم أنه سيعاقب بعقوبة أقل فانه سيندفع الى ارتكاب الجريمة باصرار وعنف أكبر حتى ولو كانت العقوبة هي السجن المؤبد ـ وقد أصبح من الأقوال المأثورة في بعض البلاد الاسلامية « **سأقتلك وأروح فيك مؤبد** » أي أن هذه العقوبة هينة وهو مستعد لأن يتحملها .

وفي بعض البلاد الاسلامية التي لا تطبق القانون الالهي نجد أن أهالي القتيل يتولون الأخذ بالثأر عندما يجدون أن العدالة لم تقتص لهم ، وإعتقادا منهم بأن الأحكام التي وردت في القوانين الوضعية لا تشفي غليلهم ـ ويستمر الثأر من هذه الأسرة ومن تلك ـ وتحدث مجازر يتولى الجيش أحيانا الوقوف بين الفريقين المتنازعين لوضع حد لهذه الأمور ، وقد يدخل معهم في معركة يقتل فيها العديد من

جميع الأطراف .

ولكن القصاص في الاسلام يحقق العدالة بين الناس ـ كما يحقق الأمن للفرد والمجتمع الى جانب الراحة النفسية ـ والرسول الكريم يبين لنا رأي الاسلام في قتل فرد واحد بدون حق وذلك حين يقول : « لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم » رواه مسلم ـ بل إن تخويف المسلم حرام يقول الرسول الكريم :« لا يحل لمسلم أن يروع مسلما » رواه الطبراني .

والقتل من الحدود الاسلامية التي راعى الاسلام فيها حق الله وحق ولي الدم ، وقد رجح الاسلام جانب مصلحة ولي الدم على جانب مصلحة المجتمع ، ولهذا فقد أعطى الاسلام ولي الدم حق توقيع العقوبة أو العفو عنها ـ وفي هذه الحالة يجوز للقاضي التعزير ـ ويكون لأولياء الدم الدية ـ والتشريعات الحديثة تعتبر القتل حقا للمجتمع ، مع أنه أساسا يقع على المجني عليه وعلى أهله ـ وتمكينهم من القصاص أو العفو يطفىء غلتهم ويريح أنفسهم .

حد الخمر :

الاسلام يحترم عقل الانسان الذي يتميز به على سائر مخلوقات الله ، وبوساطته يحقق رسالته في هذه الحياة ، والمسلم ليس حرا في نفسه يفعل بها ما يشاء لأنه ليس ملكا لنفسه ـ بل هو ملك للرسالة التي يؤديها في عمارة الكون باعتباره خليفة لله في الأرض ، على عكس المجتمعات البشرية التي ترى أن الانسان حر في نفسه يفعل بها ما يشاء ، ومن هنا فقد حرم الاسلام على المسلم استعمال كل ما يغيب العقل من شراب مسكر أو مخدرات أو غير ذلك حتى يحتفظ بهذه النعمة الكبرى ـ ومن زاوية اخرى فان الانسان إذا غاب عقله ارتكب اشياء تعود بالضرر على الفرد وعلى الأسرة ثم على المجتمع كله ـ ولو تصورنا شعبا من السكارى لأدركنا ما يكون عليه حال هذا الشعب من فقد الأمن والسعادة والطمأنينة ـ إلى جانب الاصابة بالجنون والأمراض العصبية والنفسية والجسمية .

وكثير من الدول ادرك هذه الخطورة ، وقامت محاولات شتى لمنع هذا الشراب أو الاقلال من استخدامه ولكن دون جدوى .

وأمريكا قامت في هذا المجال بتجربة تتلخص في أنها شرعت قانونا يحرم الخمر عام ١٩٣٠ ـ بعد دعاية واسعة عن طريق أجهزة الدعاية والاعلام مدعومة بالاحصاءات الدقيقة والبحوث العلمية والطبيعية ـ واشترك في هذه الحملة كثير من الخبراء في جميع المجالات الصحية والنفسية والاقتصادية والاجتماعية وأنفق على الدعاية ٦٥ مليونا من الدولارات ـ وقتل في سبيل تنفيذ القانون حتى عام ١٩٣٣ مائتا شخص وبلغت الغرامات التي جمعت من المخالفين مليونين من الدولارات ، كما صودرت ـ أموال ـ بسبب المخالفات ـ تقدر بستمائة مليون

دولار ، ومع هذا كله فقد فشلت الولايات المتحدة في تنفيذ هذا القانون فشلا ذريعا الأمر الذي جعلها تقوم بالغائه في أواخر عام ١٩٣٣ .

ولكن التجربة الاسلامية نجحت نجاحا رائعا بدون إراقة دماء أو حبس للشاربين أو تحصيل غرامات ذلك لأنها بدأت بتقوية الوازع الديني عند الفرد وعند المجتمع ، فأصبح للضمير سلطان كبير على النفوس ، وهم يريدون إرضاء ربهم ولذلك فحين نزلت الآية الكريمة (**يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والانصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون**) المائدة/ ٩٠ ، ٩١ كان جواب المؤمنين على هذه الآية الكريمة : انتهينا ربنا انتهينا ربنا ، ولم يكن الكلام باللسان بل إنهم أراقوا زجاجات الخمر امتثالا لأمر الله ـ وكان الواحد منهم إذا كان الكأس في يده وقد شرب بعضها نزع الكأس من فيه وأفرغها على الأرض .

وبعد ذلك يأتي الحد للمنحرفين حتى يحميهم من انحرافهم وحتى يحمي المجتمع أيضا من انتشار هذه الظاهرة الخطيرة على الفرد والمجتمع وفي الحديث الشريف « من شرب خمرا فاجلدوه فان عاد فاجلدوه » .

ولكي يسد الاسلام هذا الباب نهائيا فانه لم يحرم شرب الخمر فقط ، بل إنه حرم كل ما يتصل به من بيع أو شراء أو صناعة أو غير ذلك ، ولذلك فقد لعن النبي صلوات الله وسلامه عليه في الخمر عشرة عاصرها ومعتصرها وشاربها وحاملها ـ والمحمولة اليه وساقيها وبائعها وآكل ثمنها والمشتري لها والمشتراة له) الترمذي وابن ماجة .

بل أكثر من هذا ، فقد حرم بيع العنب لمن يعرف أنه سيعصره خمرا ـ كما حرم مجالس الخمر وفي ذلك روى عمر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقعد على مائدة تدار عليها الخمر) رواه احمد .

ولا تزال الاكتشافات الحديثة تظهر لنا أضرار تعاطي الخمر ، ومن ذلك أن استاذا فرنسيا حاضر طلبة كلية طب الدار البيضاء بالمغرب عن مرض تشمع الكبد ، وهو مرض خطير يعتبر الخمر من أسبابه القوية وكان مما قاله : « إنكم أيها المسلمون سعداء الحظ لنهي دينكم عن شرب الخمر ، بينما أصبح شربها في بلدي مأساة وطنية تتكلف الدولة نحوها مليارات الفرنكات سنويا لمعالجة عواقبها الوخيمة من صحية واجتماعية واقتصادية ، وليكن مسك الختام أن اقول لكم ابتعدوا عنها ما استطعتم » وقد أوردت الوزارة الامريكية تقريرا اقتصاديا يشير إلى أن تناول الشعب الأمريكي للخمور يسبب خسائر باهظة للاقتصاد الأمريكي قيمتها ٧٦ بليون دولار سنويا بين خسائر مادية ونقص في الانتاج وقيمة علاج الأمراض التي تنتج عن تعاطي الخمور ، وأكد التقرير أن الخمور تسهم بشكل أو بآخر في الاصابة بالسرطان واضطراب وأمراض القلب ..

والعلم الحديث يبين لنا أن مضار الخمر تأتي من أنه عقب شربها مباشرة تمتصها الامعاء الدقيقة بسرعة كبيرة وترفعها إلى مستويات عالية بالدم في وقت قصير جدا ، وعن طريق الدم يتم توزيع مادة الكحول على جميع اجزاء الجسم بما فيها المخ والرئتين ، ويبقى الكحول بعد ذلك لمدة ثماني عشرة ساعة بعد شرب الخمر ـ وبذلك يتأثر جسم شارب الخمر وعقله دفعة واحدة في آن واحد .

فمن الناحية البدنية تتغير خلايا الجسم لتكيف نفسها مع الكحول ، وتصبح عاملة بأقل من طاقتها الطبيعية ـ كما يصاب الشارب بعسر الهضم وضعف الأعصاب وألمها وبخاصة أعصاب الساقين ـ والكبد يعاني من التغيرات الكثيرة ويبدأ به مرض التليف الكبدي الذي يؤدي الى الاغماء والموت ، ويصاب شارب الخمر بصداع قاس ودوار وغثيان وقيء ، وتتأثر الأذن الوسطى فيفقد الجسم اتزانه ثم يعتاد شرب الخمر فتزداد الجرعات إلى أن يصل إلى فقد كامل للذاكرة ، وفي الصباح ينسى كل ما قاله او فعله ـ وقد ينتهي به الحال إلى أن يتلف عقله ويهمل نفسه وأسرته فلا يشعر بمسؤولياته الاجتماعية ثم يصبح غير خجل من أي فعل يرتكبه ، وهذه أعراض مرض التسمم الكحولي الذي يعتبر أخطر ما يتعرض له شارب الخمر وهذه الأمراض غير مرتبطة بالانتظام فقد يصاب بها من يشربها لأول مرة في حياته ، ومرض التسمم الكحولي من الأمراض غير القابلة للشفاء ، وقد وصلت نسبة الاصابة بها في الولايات المتحدة الامريكية إلى ٤٪ من السكان وتليها فرنسا والسويد وسويسرا والدانمرك وكندا والنرويج وفنلندا واستراليا وانجلترا وايطاليا .

وشرب الخمر ينشر الفساد والاعتداء على الأموال والأنفس والأعراض ، ولم ينج من ذلك أمهات وأخوات المخمورين ، ولذلك فان الاسلام لا يرفع المسؤولية عن شارب الخمر عند ارتكابه لأية جريمة وهو تحت تأثير الخمر كما تفعل التشريعات الحديثة .

العرض :

أجمعت الأديان السماوية على تحريم الزنا لما فيه من الحط بكرامة الانسان وجعله كالبهائم ، مع أن بعض البهائم تأبى هذا السلوك ، وإلى جانب هذا انحلال الأسر ، وتفكك الروابط وانتشار الأمراض وطغيان الشهوات بين أفراد المجتمع ، وبالتالي إنهيار الأخلاق وإختلاط الأنساب ، ومن هنا فقد حرم الاسلام الزنا ، بل لقد حرم كل المقدمات التي توصل إليه **(ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا)** الاسراء/٣٢ ـ والاسلام يعني بنظافة المجتمع وطهارته وسلامة الأعراض والأخلاق ، فاذا كانت هذه الأمور مطلوبة فالوسائل التي توصل إليها مطلوبة ـ ولو ترك الاسلام ذلك فان إنتشار هذا الانحراف قد يؤثر في المجتمع الاسلامي في رؤية المنكرات فتبعده عن الحمية الدينية والعصبية الاسلامية وفي

هذا خطورة على المجتمع الاسلامي ، والفواحش هي السبب الأساسي للعدوى بالأمراض الزهرية وما ينتج عن ذلك من تعطيل للعمل وصرف للأموال في العلاج ، ثم عزوف الشباب والشابات عن الزواج وبناء الأسرة واستنفاد الطاقة التي خلقها الله في هدف واحد قريب وإهمال النواحي الأخرى .

ومن اهتمام الاسلام بالعرض أنه جعل عقوبة أدبية للزاني إلى جانب العقوبة المادية ، ذلك أنه حرم زواج الزاني أو الزانية من غير صنفهما فقال : (**الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين**) النور/٣ ـ وذلك لون من ألوان الحرمان من الحقوق الأدبية ـ فالنكاح سبب المودة والرحمة فكيف يكون الخبيث زوجا للطيب ؟ وكيف يمكن أن يكون أحدهما سكنا للآخر ؟ ومنه أيضا أن يشهد عذابهما طائفة من المؤمنين ، وفي هذا إيلام لنفسيهما بعد إيلام جسميهما ، فضربهما أمام الناس يجعل العار أبلغ ـ وفي هذا شهادة عامة بين الناس جميعا بأنهما قد تجردا من إنسانيتهما فلا حق لهما في إعادة الاعتبار ، وشهادة مجموعة من الناس للحد ضروري لتحقيق أثره وغايته في الزجر ـ وقد شددت العقوبة على الزاني المحصن ذلك لأن الاحصان يصرف الشخص عادة عن التفكير في الزنا فاذا ما فكر فيه بعد ذلك فانما يدل تفكيره فيه على قوة اشتهائه للذة المحرمة ، فوجب أن تكون العقوبة فيها من قوة العذاب ما يجعل الانسان إذا ما فكر في اللذة المحرمة وذكر معها العقوبة المقررة تغلب التفكير في العقوبة على التفكير في اللذة المحرمة .

والقذف كما يرى الاسلام هدم معنوي للمسلم الذي يوجه إليه ـ والألم الذي يصيب المقذوف من جرائه ألم نفسي بالغ الأثر ، والقذف عادة تضعف لديه الضوابط الخلقية التي تجعله يقف عند حدوده والعقاب البدني الذي قرره الاسلام وقتي لا تلبث آثاره ان تزول بينما آثار القذف النفسية مستمرة لفترات طويلة ، ولهذا تضمن حد القذف عنصرا يمثل الايلام النفسي ، ويصم القاذف وصمة أخلاقية باقية تطارده في المجتمع الاسلامي إلى أن يتوب ، ويتجلى هذا في إهدار أهليته للشهادة في أي وقت فهو وصف غير مباشر بأنه كذاب .. ولا تعاقب الشريعة على القذف إلا إذا كان محض إختلاق ، فان كان تقريرا للواقع فلا جريمة ، كمن يقذف امرأة بالزنا وقد سبق أن وقعت عليها عقوبة الزنا أو كان معها ولد لا يعرف له أب .

السرقة :

الاسلام كفل لكل فرد من أفراد المجتمع ما يكفيه سواء أكان مسلما أم غير مسلم ، وقد كفل عمر بن الخطاب لكل مولود ما يكفيه من بيت المال ، كما كفل لكل فرد غير قادر ما يحتاج إليه وأسرته وقد وجد عمر يهوديا ضريرا يسأل الناس ،

وحين سأله لماذا تفعل هذا ؟ قال اليهودي : الحاجة والجزية فأخذ عمر بيده وذهب به إلى خازن بيت مال المسلمين وقال : انظر هذا وضرباءه فأعط لهم ما يكفيهم ثم قال : ما أنصفنا هذا وضرباءه إن أخذنا شبيبته وتركناه عند الكبر ، وقد كتب عمر ابن عبدالعزيز إلى عدي بن أرطاة عامله بالبصرة قائلا : (وانظر من قبلك من أهل الذمة قد كبرت سنه وضعفت قوته وزالت عنه المكاسب ، فأجر عليه من بيت مال المسلمين ما يصلحه فقد بلغني أن عمر بن الخطاب مر بشيخ من أهل الذمة يسأل فقال له : ما أنصفناك إن أخذنا منك الجزية في شبيبتك ثم ضيعناك عند الكبر ، ثم أجرى عليه من بيت المال ما يصلحه ..

ومن هنا فان السارق بعد ذلك يعتبر خائنا ، والسارق الخائن لابد وأن يلقي جزاءه ، وجزاء اليد التي تخون قطعها كما قضى بذلك رب العزة ، والحد في الاسلام مقصود به الزجر والاصلاح واستقرار المجتمع والأمان ـ ولو أن علماء النفس في مجتمعاتنا المعاصرة قاموا بالدراسات الكاملة لنفسية الانسان وعقليته وصالح الجماعات لوجدوا أن الحدود هي أعدل العقوبات ، ومن الطرائف التي تروى في هذا الصدد : أن أبا العلاء المعري لفت نظره الفرق بين دية اليد والمبلغ الذي تقطع فيه فقال :

يـد بخمس مئـين عسجـد وديت　　　مـا بالهـا قطعت في ربـع دينـار؟

فأجابه القاضي عبدالوهاب المالكي اجابة تدل على الفهم العميق لحكمة الاسلام :

عـز الأمانـة أغـلاهـا وأرخصهـا　　　ذل الخيانة فـافهم حكمة البـاري

على أن ظروف الجريمة قد تدعو للنظر في إقامة الحد ، وذلك إذا كان السارق مضطرا إلى السرقة ولذلك فان عمر بن الخطاب لم يقطع غلمان حاطب بن بلتعة الذين سرقوا ناقة لرجل من مزينة ، إذ أن عمر أدرك علة الحكم وفهم حكمته وشروط تطبيقه ـ والقاعدة الفقهية المعروفة (الضرورات تبيح المحظورات) باقية ـ ولم يكتف عمر بعدم القطع بل قال يخاطب عبدالرحمن بن حاطب : والله لولا أني أعلم أنكم تستعملونهم وتجيعونهم حتى أن أحدهم لو أكل ما حرم الله عليه لقطعت أيديهم وغرمه ضعف ثمن الناقة تأديبا له .

كما أن الظروف العامة إذا كانت غير كافية لاعطاء كل فرد من أفراد المجتمع كفايته فان هذا يدخل في الباب السابق ، ولذلك أوقف عمر حد السرقة في عام المجاعة لاضطرار الناس إلى ذلك .

والمجتمعات الحديثة المتحضرة لازالت تتخبط في تقنين العقوبة المناسبة للسرقة ، ذلك لأن التشريع البشري يتأثر بأشياء كثيرة ، أما التشريع الالهي فهو ثابت لا يتأثر بشيء ، وقد اضطر الاتحاد السوفييتي إلى تشديد عقوبة السرقة فقرر

إعدام السارق رميا بالرصاص ، وهي أقسى عقوبة ممكنة ، وقد ورد في الأهرام القاهرية عدد ١٤/٨/١٩٦٣ ان الاتحاد السوفييتي أعدم ثلاثة أشخاص رميا بالرصاص لاتهامهم بالسرقة .. ومع ذلك فلم يتهمه أحد بالقسوة أو الوحشية .
والسجون التي تستخدمها بعض الدول عقابا للسارقين أصبحت مدارس يتعلم فيها الصغار أنواع السرقة ، ويتبادل فيها الكبار خبراتهم في هذا الميدان ، وحتى الذين لم يدخلوا السجن بسبب هذه الجريمة فانهم يتعلمونها عن طريق اختلاطهم بأصحاب هذه المهنة .
وقطع يد السارق يعني تعطيل أداة رئيسية من أدوات الجريمة وتجريده من سلاح العدوان والمقاومة إذا أضيف إليه ما يحدث قطعها من تنبيه وتحذير .. ومعنى السرقة الأخذ عن طريق الاستخفاء والمال في حرز وقدره عشرة دراهم أو ربع دينار ـ وإذا كان السارق يريد زيادة الكسب عن طريق حرام ، فان قطع اليد لازمة لأنها ستمنعه من ذلك .

الحرابة :

الحرابة معناها الخروج على المارة لأخذ المال منهم مجاهرة بالقوة ، مما يؤدي إلى امتناع الناس عن المرور ، وانقطاع الطريق ، سواء ارتكب هذه الجريمة فرد أو جماعة بسلاح أو غيره ، ويسمى مرتكب هذه الجريمة بالمحارب وتسمى الجريمة بالحرابة .. والعقوبة المحددة أن يقتل الجاني أو يصلب إذا قتل وأخذ المال ، والقتل بلا صلب إذا قتل ولم يأخذ المال ، وقطع يد المحارب ورجله من خلاف اذا أخذ المال ولم يقتل ، والنفي من الأرض إذا خاف الطريق ولم يقتل ولم يأخذ مالا .. وهذه العقوبات مقررة في قوله تعالى : (**إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض**) المائدة/٣٣ .

والحرابة إنما تكون من الشواذ الذين لا يبالون بالمجتمع ولا يفكرون في عاقبة ، وهؤلاء المنحرفون لا يستحقون الرحمة ، يروى أنس رضي الله عنه أن رسول الله قدم عليه نفر من عكل فأسلموا واجتوروا المدينة فأمرهم أن يأتوا إبل الصدقة فيشربوا من أبوالها وألبانها فأضحوا وارتدوا وقتلوا رعاءها واستاقوا الابل ، فبعث النبي في آثارهم فأتى بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسبل أعينهم ثم لم يحبسهم حتى ماتوا .. ذلك لأنهم سرقوا وقتلوا وكفروا بعد إيمانهم وحاربوا الله ورسوله ، ولذلك فقد فعل الرسول الكريم بهم ذلك بدون رحمة مع أن الله تعالى سماه الرؤوف الرحيم ، وهو حد يغلب فيه الطابع الاجتماعي لأنه يتصل بأمن الجماعة وهيبة سلطانها وسلطاتها الشرعية ، وأي تهاون أو تفريط يجر إلى عواقب لا تقف عند حد .

وفي عصرنا ، في الحجاز ـ كانت الدول ترسل مع رعاياها من الحجاج قوات مسلحة لرد الاعتداء عنهم من العصابات التي كانت تهاجمهم ، ومع ذلك فان هذه القوات لم تكن قادرة في كثير من الأحيان على المحافظة على الأمن ، مع أنها مشتركة مع القوات الحجازية ، وكان الحجاج أو الرعايا من الحجازيين يخطفون ويفتك بهم ـ إلى أن طبقت الحدود فساد الأمن ، بل وأصبح مضرب الأمثال في العالم كله وأصبحت الأموال تنتقل إلى السعودية من مصرف إلى مصرف دون حراسة ، وفي الدول الغربية تنتقل الأموال بسيارات مصفحة وحراسات ضخمة ومع ذلك فهي لا تسلم من الهجوم عليها وسرقة ما فيها وقتل الحراس .

ومن الأشياء التي تذكر في هذا الصدد في البلاد المتحضرة ما روته الصحافة عن (ولاس ويرت) رجل الأعمال الأمريكي الذي له نشاطات تجارية في جميع أنحاء العالم وهو لا يتحرك إلا ويحيط به رجال مسلحون لحمايته ويتبعه رجال الحرس الخاص به في كل مكان يذهب إليه ، وسائق سيارته يحمل سلاحا وقد تلقى تدريبا خاصا حول وسائل الدفاع المختلفة وكيفية المقاومة والمراوغة بالسيارة هربا من أي هجوم تتعرض له ، وعند سفر السيد/ويرت إلى الخارج يزداد عدد حراسه حيث يسبقه بعضهم إلى البلد الذي سيسافر إليه للتأكد ممن سيقومون بخدمته ، ومن المكان الذي سينزل فيه ، كما يقومون بوضع عدد من المدافع الرشاشة حول الفيللا ، ومما هو جدير بالذكر أن السيد/ويرت وزوجه وابنه يجيدون استعمال هذه المدافع فقد تلقوا تدريبا مكثفا عليها ، واسم ويرت ليس هو الاسم الحقيقي ، وهذه الاجراءات الأمنية رد فعل للتهديدات المتزايدة من بعض المنظمات الارهابية السياسية ضد رجال الأعمال الامريكيين ، ومما هو جدير بالذكر أن عدد رجال الأمن في المدن الامريكية يفوق عدد الارهابيين ، ومع ذلك فان خبراء مكافحة الارهاب في الولايات المتحدة يعتقدون بأن المؤسسات الامريكية معرضة لخطر المهاجمة بشكل دائم ومستمر في الخارج ، وبخاصة تعرض هذه الشركات أو المؤسسات أو فروعها في الخارج لعمليات خطف كبار المسؤولين فيها ، أو القيام بعمليات التخريب في المصانع والأجهزة .

وفي إيطاليا تطالعنا الأنباء دائما بأن رجال الأعمال قد أصبحوا هدفا لجماعات سياسية على درجة كبيرة من الاعداد والتنظيم ، وبالرغم من إجراءات الأمن المختلفة والمكثفة حيث يقوم جهاز خاص للمخابرات برصد وحصر المعلومات الخاصة بجماعات الارهاب السياسي ، بالاضافة إلى الاحتياطات الكثيرة الأخرى إلا أنه مع ذلك فان رجال الأعمال الآن في صراع كبير مع الارهاب السياسي .

وإذا ما انتقلنا مرة أخرى إلى الولايات المتحدة لنطالع الاحصاءات الواردة منها ، فاننا نجد أن ٢٩١ هجوما تعرض لها المواطنون هناك خلال الفترة من ١٩٦٨/١٩٧٦ ، وكانت ١٥٠ منها تتم باستعمال القنابل ، وقام الارهابيون باعتقال ١٢٢ امريكيا واختطاف ٦٤ ـ واجراءات الأمن هناك تعتبر سرية ..

ويذكر دكتور (روبرت كوبرمان) كبير العلماء في وكالة نزع السلاح بالولايات المتحدة وأحد خبراء مكافحة الارهاب الرئيسيين في واشنطون (أن أي مؤسسة متوسطة الحجم تحتاج إلى مليون دولار لانفاقها على الأبحاث والدراسات الخاصة بمكافحة الارهاب . وانه يجب الاهتمام بتعليم قائدي السيارات العاملين في المؤسسة طرق وسائل المناورة الدفاعية مع تدريب المسؤولين وشاغلي المناصب الكبرى في المؤسسة او الشركة على كيفية اكتشاف ما إذا كان هناك من يتبعهم ، أو يقتفي أثرهم مع ضرورة تغيير الطريقة والوسيلة التي يتبعونها عادة في سفرهم أو تنقلاتهم - واستخدام السيارات المصفحة التي لا ينفذ إليها الرصاص وارتداء الملابس الواقية من الرصاص .

ويلاحظ أن مؤسسة (ميامي واكت هت) مثلا تقدم خدمات خاصة مثل التأكد من الخدم الذين يعملون في خدمة رجال الأعمال الامريكيين بالخارج - ومراقبتهم - إلى تزويد رجال الأعمال بحرس خاص وتركيب آلات التنبيه والتحذير إلى المنازل والمصانع .

ومع ذلك كله فهل نجحت هذه الأساليب في منع الجرائم ؟ هناك الكثير من عمليات الخطف - وهناك التزايد السريع في عدد بوالص التأمين ضد الخطف التي تعقدها شركات التأمين .. ويشير الدكتور كوبرمان الى أن جماعات الارهاب في العالم قد نجحت في ابتزاز حوالي مائتي مليون دولار من شركات ومؤسسات متعددة الجنسية ويقول : إن عمليات الخطف تعود بالربح الوفير على جماعات الارهاب .

وقد تبين أن من كل مائة حالة خطف في ايطاليا وألمانيا قتل منها اثنتا عشرة ضحية خلال محاولات الشرطة إنقاذ هذه الضحايا .

وتشير الاحصاءات التي قامت بها مؤسسة (راند) إلى أن ثلاث ضحايا من كل مائة ضحية عمليات الخطف قد لقوا مصرعهم عمدا على أيدي مختطفيهم وأن ٨٥٪ من كل مائة ضحية قد تم إطلاق سراحهم بعد دفع الفدية في الغالب ، وقد لوحظ أن أهم عنصر في إنقاذ الضحايا كان هو القيام بعمليات التفاوض مع الجماعة الارهابية بطريقة ناجحة تضمن إنقاذ حياة الضحية - ففي أغلب الاحيان يتطلب تدبير مبلغ الفدية المطلوب وقتا يستغرق في عمليات التفاوض بين الجماعة الارهابية وأصحاب الشأن - فحياة الضحية تعتمد في الواقع على مدى نجاح هذه المفاوضات .

ماذا يريد الغرب :

تبين لنا من العرض السابق ما يلاقيه الغرب من المتاعب التي ترتب عليها فقد الأمن بالنسبة للفرد وبالنسبة للمجتمع إلى جانب الخسائر المادية والمعنوية التي

يفتقدها كل شعب من الشعوب الغربية . ولقد فشلت كل التشريعات التي أقامتها المجتمعات الغربية في بعث الأمن والاستقرار وفي تلافي الاضرار الناتجة عن عدم استعمال العقوبات المناسبة ..

يقولون إن الحدود الاسلامية عقوبات قاسية ، وفيها إيلام شديد لا يتناسب مع الجريمة مما يجعل هذه الحدود ظالمة .. يقولون هذا وهم يلاقون ما يلاقون من فشل في تأمين الافراد والمجتمعات في دولهم من زاوية ومن زاوية أخرى فهم يذيقون الافراد ألوانا من العقوبات لأشياء سياسية أو شخصية .

والاسلام الذي أقام الحدود حرم أن يضرب إنسان بغير حق وأن يجلد ظهره إلا في حد وأنذر باللعنة من ضرب إنسانا ظلما ومن شهده يضرب ولم يدفع عنه .

بل أكثر من هذا .. فقد حرم الاسلام الايذاء الادبي للانسان عن طريق اللمز والهمز والتنابز بالالقاب والسخرية والغيبة وسوء الظن بالناس يقول الله تعالى : **(يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون)** الحجرات/ ١١ . ثم كفل الاسلام للانسان الاحترام بعد مماته ـ ولذلك أمر بغسله وتكفينه ودفنه ـ والنهي عن كسر عظمه أو الأعتداء على جثته إلا لضرورة ـ وقد قام النبي عليه السلام حين رأى جنازة فقالوا : إنها ليهودي فقال عليه الصلاة والسلام : (أليست نفسا) رواه البخاري ـ كما حرم عرضه وسمعته بعد موته فقال عليه السلام : (لا تذكروا موتاكم الا بخير) رواه أبو داود .. بل أكثر من هذا فالاسلام يحترم كل ذى روح من غير بني الانسان والحديث الذي يتحدث عن المرأة التي دخلت النار في هرة حبستها حتى ماتت جوعا فلا هي اطعمتها وسقتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض والحديث الشريف الذي يروى الناحية المقابلة عن رضا الله عز وجل عن رجل سقى كلبا حين رآه فعرف أنه يلهث من العطش فنزل البئر وملأ خفه وسقاه فغفر الله له بذلك ، ومن ذلك ما يروى من أن رجلا أضجع شاة وهو يحد شفرته فقال عليه الصلاة والسلام : أتريد أن تميتها مرتين هلا أحددت شفرتك قبل أن تضجعها) الطبراني ، وقد نهى رسول الله عليه الصلاة والسلام أن يتخذ شيء فيه الروح غرضا ونحن في البلاد المتمدينة نرى صراع الديكة والثيران وما إلى ذلك ..

وفي بني الانسان « نهى رسول الله عن الضرب في الوجه وعن الوشم في الوجه والكي تكريما للانسان » رواه مسلم وقد روى مسلم عن أبي مسعود الخدري رضي الله عنه قال : كنت أضرب غلاما لي بالسوط فسمعت صوتا من خلفي : أعلم أبا مسعود فلم أفهم الصوت من الغضب فلما دنا مني إذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول : أعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام فقلت يارسول الله : هو حر لوجه الله تعالى فقال : أما لو لم تفعل للفحتك النار » فاذا

كانت الرحمة تصل إلى هذه الدرجة لغير بني الانسان وللانسان فكيف يتهم الاسلام بالقسوة في حدوده .

إن الحد في الاسلام يقام مرة ليحمي المجتمع من فقد الأمن ومن القسوة التي يلقاها أفراد المجتمع بين أفراده وجماعاته من انتشار الفوضى على ما نرى في المجتمعات الغربية في العصر الحديث ، ومن هنا فقد حرص الاسلام على تمكين الاثر المترتب عليه سواء من الناحية النفسية أم من الناحية الاجتماعية .

وقانون العقوبات حين يوضع إنما يقصد به أن يكون جزاء على عمل الشر والافساد فلابد وأن تكون العقوبة رادعة ـ ولو قرن الغربيون هذه العقوبة وتأثيرها ـ بالجريمة وآثارها ـ لو استحضروا فعل السارق وهو يسير ليلا ويشهر السلاح ويروع الآمنين في بيوتهم ـ لو أنهم نظروا إلى هذه الأشياء وقارنوها بقطع يد السارق الآثمة لغيروا رأيهم ـ ولعلموا أن هذا هو الجزاء العادل .

ويتهم الغربيون الحدود الاسلامية بأنها لا تراعى أحوال المجرم النفسية ـ وأن المجرم مريض يحتاج إلى علاج لا إلى عقوبة ـ وهذا كلام ليس له ضابط وليس من السهل تحديده وقد جربوا ألوانا من العلاج الذي يقولون به فلم يفدهم ذلك شيئا وازدادت الجرائم ولا تزال تزداد في كل مجتمع من المجتمعات المتحضرة ـ والاسلام يرى أن هذه الأشياء لا تصلح مبررا لارتكاب الجريمة ، ولا يصح أن يفلت المجرم من العقاب ـ والحدود الاسلامية هي علاج حقيقي للمنحرف ـ حقيقة إنه عقاب قاس ولكنه عقاب لجرم قاس ايضا بعد أن أحاطه الاسلام بالضمانات الكافية في التربية الاسلامية التي تربط المسلم بالله تعالى ، وفي التكافل الاجتماعي والعدالة الاجتماعية وما إلى ذلك ـ نعم هو عقاب قاس ولكنه ناجع وفي الوقت نفسه مفيد للشخص نفسه ـ هو كبتر الجزء المريض من جسم الانسان فانه مع قسوته الظاهرة هو الرحمة بعينها لأنها ستبقى على الجسم كله سليما يؤدي رسالته في هذه الحياة فالذي لا يصلح فيه كل هذا لابد من بتره فذلك خير له وللمجتمع .. ثم إن المجرم حين لا يوقع عليه الحد فانه سيتمادى في إجرامه وسيقوم صراع بينه وبين المجتمع وأجهزة الأمن وسيصيبه من جراء ذلك أضعاف الحد ..

ومع هذا فقد راعى الاسلام شخصية المجرم فأعفى غير المسؤول من العقاب كالمجنون والمضطر وما إلى ذلك ـ وجعل المسؤولية تبدأ من البلوغ ـ والاسلام أيضا راعى أحوال المجرم في عقوبة الزنا فالزاني المحصن عقوبته الرجم ـ وغير المحصن عقوبته الجلد ـ وقد سد الاسلام بذلك أبوابا كثيرة من الفساد الذي لم تستطع المجتمعات المعاصرة سدها أو إيقاف تيارها فمع أن الدول الغربية تبيح الاتصال الجنسي من غير حدود مادام ذلك يتم برضا الطرفين فأننا نلاحظ أن الاغتصاب ـ وهو الذي لا يتم برضا الطرفين بل يتم عن طريق العنف ـ هذا الاغتصاب يمثل في أمريكا أحد الجرائم الثلاثة الكبرى التي تحدث كل ثلاث ثوان ـ وهو القتل وسرقة البنوك والاغتصاب ـ وقد بلغ عدد الفتيات اللاتي

اغتصبن في امريكا خلال عام ١٩٧٥ ٥٥ ألف فتاة أمريكية طبقا للتقريرات الرسمية ـ ومع ذلك فان التقريرات غير الرسمية ترفع هذا العدد إلى ثلاثة أضعاف ـ وبعض المهتمين بهذه النواحي يؤكدون أن العدد يصل إلى نصف مليون فتاة علما بأن بعض الفتيات يقتلن بعد عملية الاغتصاب ..

وفي عقوبة السرقة راعى الاسلام ظروف المتهم فالسرقة العادية عقوبتها القطع ولكنها في الحرابة قطع اليد والرجل .

ومع هذا كله فان الشك في الحدود الاسلامية يفسر لصالح المتهم ـ وفي الحديث الشريف « إدرءوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم » رواه الترمذي والحاكم والبيهقي . وعمر بن الخطاب يقول : لأن أعطل الحدود بالشبهات أحب إلي من أن أقيمها بالشبهات » ومنها شبهة الملكية في السرقة ـ ومن ذلك قول النبي عليه الصلاة والسلام : « أنت ومالك لأبيك » رواه الطبراني ـ وفي شهادة الزنا لو شهد ثلاثة وتراجع الرابع فان حد الزنا لا يقام على المتهم بل يقام حد القذف على الشهود لأنهم في هذه الحالة يعتبرون كاذبين .

وفي القوانين الحديثة قاعدة تقول : « لأن يفلت مجرم من العقاب خير من أن يدان برىء » وهي تماثل القاعدة الفقهية : (لأن يخطىء الامام في العفو خير من أن يخطىء في العقوبة) ومعنى ذلك أن القاضي إذا تشكك في ارتكاب الجاني لجريمته أو في انطباق النص المبين للعقوبة على الفعل الذي أتاه وجب تبرئة المتهم .

ثم ان في اقامة الحد على المجرم في الاسلام ـ مصلحة مؤكدة له لأنها تخلصه من العقوبة في الآخرة وفي معاقبته إذا أجرم تطهير له من الخطيئة في الدنيا لأن عقابه يوقظ فيه معاني الايمان الدفينة وتحسسه بعظم تقصيره في جنب الله مما أدى به إلى هذا العقاب وهذا يجعله غالبا يتوب إلى الله تعالى .

وتتميز الحدود الاسلامية في أن القانون يصل إلى كل إنسان في الدولة مهما كان مركزه ـ فلا ترتفع المسؤولية الجنائية عن وزير أو رئيس دولة ـ ولا يملك رئيس الدولة حق العفو لغيره أو لنفسه ـ والتاريخ يحدثنا أن امرأة مخزومية سرقت فأهم أمرها المسلمين ووسطوا في شأنها أسامة بن زيد حب رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فغضب غضبا شديدا وصعد المنبر وقال للمسلمين : « انما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد » رواه احمد .

والقضاء في الاسلام جزء من الولاية العامة التي يتولاها الخليفة بنفسه أو ينيب عنه من يتولى القضاء ويحدد له اختصاصاته ـ وفي تنفيذ الأحكام كان القاضي يتولى بنفسه تنفيذ ما يصدره من أحكام ـ ومن الجدير بالذكر أن القاضي كان لا يحتاج إلى معونة في تنفيذ الأحكام لأنهم كانوا ينفذونها من تلقاء أنفسهم والشريعة الاسلامية لم تأخذ بمبدأ الفصل بين السلطات .

وتمتاز العقوبات الاسلامية بأنها تجعل المسؤولية شخصية على عكس بعض

الأنظمة الحديثة والقرآن الكريم يحدد ذلك في قوله تعالى : (**ولا تزر وازرة وزر أخرى**) الأنعام/ ١٦٤ .

ولعل هذا كله هو الذي جعل مؤتمر مكافحة الجريمة المنعقد في جامعة دمشق عام ١٩٧٢ يقرر أن (**التشريع الاسلامي هو أجدى تشريع في مكافحة الجريمة**) وان المؤتمر يهيب بالدولة أن تقترب في تشريعاتها من التشريع الاسلامي لمكافحة الجريمة .

والدول المتمدينة في العصر الحديث اهدرت حرية الانسان وحطمت كرامته لانه يعترض على رأي الزعيم مثلا مما لا يكون اي لون من الوان المخالفات في الاسلام الامر الذي جعل انسان العصر الحديث يلاقي من الاهوال ما لم يلقه انسان على مدى التاريخ ذلك لان الذي يحدد العقوبة هو الانسان الحاكم الذي يهمه ان يعمل لمصلحته وان ينتقم لكرامته والانسان قد يكون في قلبه بغض او حقد او استعلاء فهو ليس مؤتمنا في وضع العقوبات ، والحاكم يستخدم كل أجهزة الدولة في سبيل مصلحته وفي المحافظة على ملكه .. ومع هذا كله فهم يقولون ان الاسلام اهدر كرامة الانمسان وآدميته حين قرر الحدود مع ان الانسان الذي ارتكب عقوبة تستوجب الحد هو الذي اهان نفسه وتعدى على غيره .. وهم يتكلمون كثيرا في الزنا وفي قسوة عقوبته والاسلام له رأي في الزنا تظهر اهميته في الآثار التي ترتبت على الزنا في المجتمعات الغربية فحطمت الفرد ـ كما حطمت المجتمع وان كانوا لا يقرون بهذا صراحة ولا يدخل الزنا في باب الحرية الشخصية لان فيه اضرارا بغيره واعتداء على الاسرة الاسلامية المتماسكة وهدم لكيانها ـ وهي في نظر الاسلام ـ الخلية الاولى التي يتكون منها المجتمع ـ وفيه اشاعة للريبة في النساء والزوجات وتشكك في الانساب وتضييع للاطفال ـ وهذه كلها اخطار تصيب المجتمع يضاف اليها نشر العزوف عن الزواج وانتشار الامراض المختلفة الى غير ذلك من الاضرار التي نراها منتشرة في المجتمعات التي تبيح هذه الانحرافات لذلك كان من حق المجتمع الاسلامي ان يحمي نفسه من هذه الاضرار التي يسببها الزنا . مع انها لذة وقتية كان يمكن للزاني أن يحصل عليها بالزواج واذا كان متزوجا فانه يحصل عليها من زوجه ـ وتعسر الزواج ان وجد لا يعتبر مبررا للزنا فهناك مآرب اخرى لطاقة النشاط الجسمي في العمل المستمر وفي الصيام وما الى ذلك .

والزنا برضا الطرفين لا يجعله مشروعا في الاسلام لانه لا يزيل الاضرار المختلفة المترتبة عليه والاعراض ليس فيها بذل كالاموال لان الاثار المترتبة عليها تصيب الافراد والجماعات ـ ومن هنا كان الحد حقا لله عز وجل لا حق الافراد .

ومن تمام صيانة الاعراض في الاسلام انه حفظها حتى من الحديث عنها بغير دليل ومن هنا كان القاذف الذي يتهم غيره بالفاحشة بدون ان يستطيع اقامة الدليل يعتبر كاذبا وقاذفا ـ ويقام الدليل على كذبه بجلده علانية فهو الذي اهدر كرامة نفسه بتعريضها للجلد حين اتخذ هذا الاسلوب في اتهام الناس ... وهكذا تحرص

التربية الاسلامية على طهارة المجتمع وصيانته بالتربية المتكاملة ثم يتمم ذلك القانون الاسلامي بايجاد العقوبة التي تساعد على تحقيق هذه الطهارة .. والمعترضون بعضهم يرى ـ من وجهة نظره ـ انها ليست بجريمة وبعضهم لا يرى هذه الخطورة أو أنهم يرونها ولكنهم لا يهتمون بها ..
والحضارة الحديثة تحكم بالاعدام على جرائم قد تكون وهمية ـ ومع ذلك فهم يقولون إن قطع يد السارق وحشية قد انقضى عهدها فهي لا تليق بالفرد وفيها إضرار بالمجتمع لأنها تجعل المقطوع عاجزا وفي الحبس كفاية .. والحبس لا يكفي بل انه ينشر اساليب الجرائم عن طريق من فيه كما بينا ـ ثم ان وجود المقطوع عالة على المجتمع خير من ابقائه سليما وهو يعيث في الارض فسادا .
والمدنية الحديثة ترى ان الانسان حر في نفسه ـ ومن حريته الشخصية ان يشرب الخمر فلا فرق بين شرب الخمر وشرب الماء والاسلام يرى ان الانسان ليس حرا في نفسه لان له رسالته في هذه الحياة ولن يستطيع أن يؤديها كاملة إلا إذا كان سليم الجسم سليم العقل سليم النفس ، ومن الذي قال ان الانسان يعرف مصلحة نفسه ونحن نرى اعدادا من الناس يتصرفون تصرفات تعود عليهم بالضرر البالغ ومن ذلك شرب الخمر الذي يضر بالجسم ويضر بالعقل ويقلل الانتاج ، وليس هذا فقط بل ان الاضرار المختلفة ستنسحب على المجتمع من نواح كثيرة .

والمدنية الحديثة فيها الوان من التصرفات التي تدل على عدم احترام الانسان او المحافظة على كرامته ، ونحن نرى ونسمع عن الاجهزة المختلفة التي تقوم بالتجسس على الافراد في بيوتهم وفي محال اعمالهم لترى مدى اخلاصهم للحزب او للقائد ـ وترسل وراءه رجالا في كل مكان يكتبون تقريرات عنه في ذلك ـ ولادنى شبهة يعذبونه بألوان من التعذيب النفسي والجسمي ـ وقد يبقى في المعتقل سنوات يلاقي ما يلاقي ـ وقد يقتل او يموت من التعذيب ـ وتتبعه اسرته واصدقاؤه في ملاقاة المتاعب على ايدي رجال الحزب والمباحث والمخابرات ـ ولكن الاسلام يرفض كل هذه الاشياء ، ويترك كل انسان آمنا في بيته وفي عمله ـ والمرتد لا يتجسس عليه احد ولا ترسل وراءه المباحث والمخابرات ـ ومن هنا فانه اذا كتم ردته فلا سبيل لاحد عليه ـ ولكن اذا اعلنها ففي ذلك تشجيع للمنافقين وتشكيك الضعاف العقيدة وهذا يؤدي الى اضطراب المجتمع واهتزاز نظامه .. ومن الواجب القضاء على جرثومة الفساد .. ومع هذا فان الاسلام يعطي المرتد فرصة للتوبة ويحبس ثلاثة ايام فان تاب فبها ونعمت ، والا وقعت عليه العقوبة وقطع دابره واصبح المجتمع سليما منه .
والاسلام يحدد المواطن التي يعاقب فيها بالقتل وقد حددها النبي الكريم في قوله : (لا يحل دم امرىء مسلم الا باحدى ثلاث : النفس بالنفس والثيب الزاني والتارك لدينه المفارق للجماعة) متفق عليه وبهذا التحديد صار المسلم في المجتمع الاسلامي الذي يحكم بالاسلام يعيش في امن وامان ولكنه تحت لواء المدنية

الحديثة يلاقي ما يلاقي لسبب او لغير سبب ـ واذا كان المسلم في ظل المجتمع الاسلامي حرام على الجميع انتهاك ماله أو عرضه أو دمه فانه تحت لواء المدنية الحديثة لم يعد يحس بشيء من ذلك كله .
وحين نطبق الحدود الاسلامية وتسد المنافذ امام الشفاعة والمحسوبية فاننا نكون بذلك قد أقمنا سورا منيعا لا يفكر في اقتحامه الا صنف شاذ التكوين من البشر او شاذ الدوافع وهم قلة وحينئذ تقوم الحدود بعلاجهم العلاج المناسب لجرائمهم .

خاتمة :

تهتم كل دولة بأن يسود الأمن مجتمعها ، وهذا يدل على نجاحها في ادارة دفة الأمور ، وفي صلاحية القوانين السائدة فيها ولذلك فانها تعلن عادة في نهاية كل عام عن حالة الأمن فيها ، وحين ينخفض معدل الجريمة تهلل الحكومة ومعها كل وسائل الدعاية والاعلام لان الدولة قد تمكنت من زيادة الامن فيها للافراد وحماية حرمات الناس وضبط المجتمع .. ومعنى ذلك انها نجحت في عملها بمقدار ما حققت من الامن ، والا فان النظام الموجود في الدولة قاصر عن تحقيق الامن للافراد والمجتمع فتزيد في اجهزة الامن وفي الوسائل التي يستخدمونها لمراقبة المجرمين والتصدي لهم والامر لا يقتصر على اجهزة الامن بل ان المجرمين بدورهم يقيمون أجهزة مضادة لأجهزة الامن ـ! ترصد حركاتها وتقاومها وتصيب من افرادها بمقدار تعرضها له ، بل انها قد تقف احيانا متحدية لكل أجهزة الأمن ، ولعل هذا هو الذي جعل عصابات النشل والسرقة بالاكراه والاختطاف والتعصب والسطو الجماعي والاغتيالات التي تعرف اسبابها او التي لا تعرف مما هو موجود في المجتمعات المعاصرة ، ولا يوجد في المجتمعات التي تطبق الحدود في قديم الانسانية او حاضرها .
وقد لوحظ ان المجتمع الذي تطبق فيه الحدود الاسلامية يتمتع افراده بتوازن نفسي من نوع يريح ويطمئن ، ويجعل طاقات الافراد تتحول الى البناء والعمل المنتج اذ لا يوجد للافراد ما يصرف القوى الجسمية والنفسية عن مسالكها السليمة ، وبذلك تصبح قواهم الجسمية والنفسية والمالية سليمة فيقبلون بها على البناء .. وبذلك تهيىء الحدود الاسلامية مناخا حرا يتنفس فيه من عرف كيف يحترم حريات الآخرين وفي الوقت نفسه تضيق الخناق وتطارد من يحدثون انفسهم بالعدوان على الناس كما تروع الخارجين على القوانين الاسلامية التي تعمل على احاطة المجتمع والامن والاطمئنان .. ومن هنا كانت الحدود الاسلامية من مظاهر رحمة الله بعباده لانها تزجر الانسان عن ارتكاب الجريمة فيتخلص من الأثم ، واذا وقع في الجريمة فان العقوبة بالنسبة له بمنزلة الكي بالنسبة للمريض او بمنزلة قطع العضو الفاسد بالنسبة للمجتمع .. والحرية الشخصية مشروطة بان لا تؤدي الى اي نوع من الاضرار بالنفس او الاضرار بالمجتمع .

والاسلام يدرأ الحدود بالشبهات ومن هنا فان بعض الجرائم لا يمكن ان تثبت الا بالاعتراف كالزنا والاعتراف من خصائص الاسلام لانه ناتج من التربية الاسلامية ومن تقوية ضمير المسلم وربطه بالله تعالى ومن هنا فان من الطبيعي ان يأتي رجل الى النبي عليه الصلاة والسلام ليقول له : يا رسول الله طهرني بالحد وكلمة طهرني تبين الى اي مدى كان ضمير المسلم قويا وكيف انه يريد ان يذهب الى ربه طاهرا سليما وذلك بعد ان ضعفت ارادته في فترة من الفترات .

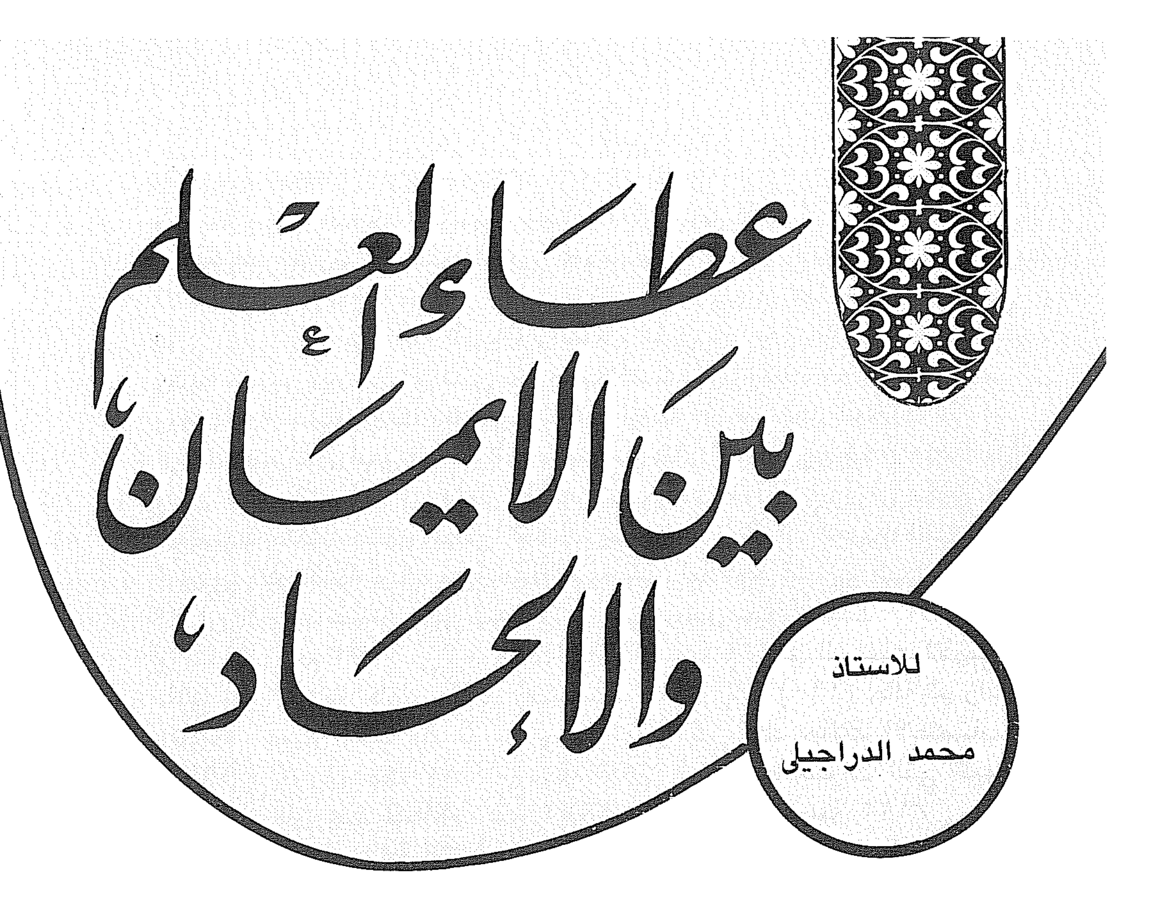
ان المجتمع الذي ليس فيه جرائم هو مجتمع مثالي لا يتوفر وجوده في هذه الحياة ، ولكن هناك فرق بين ان يكون الانحراف حوادث فردية وبين ان يكون ظاهرة اجتماعية منتشرة تفقد الناس احساسهم بالامن . والبلاد العربية التي لا تطبق الحدود الاسلامية تزداد فيها الجرائم بصفة دائمة وقد اشارت الدراسة العربية الى ان الكويت سجلت اعلى نسبة في جرائم الجنس حيث سجلت ٣٢٠ حالة بغاء واغتصاب عام ١٩٧٢ وزادت هذه الحالات بنسبة ٤٩٪ في السنوات الأربع التي تلتها وفي الجزائر كانت حالات الاغتصاب عام ١٩٧٢ (١٩٠) حالة ثم زادت في الاربعة اعوام التالية بنسبة ٥٤٪ وفي تونس كان عدد حالات الاغتصاب عام ١٩٧٢ (٢١٨٠) حالة زادت بنسبة ٨٣٪ في الاربع سنوات التي تليها وفي السودان كان عدد الحالات عام ١٩٧٢ (٨٦٥) زاد بنسبة ١٢٣٪ .

ولعل الاحصائية الآتية التي اعدتها هيئة الامم المتحدة عن معدل الجريمة في بلاد تطبق احكام الشريعة الاسلامية بالمقارنة بمثيله في البلاد الغربية ترينا الفرق الهائل في نسبة الأمن في البلاد التي تطبق الحدود الاسلامية مع ملاحظة ان هناك اشياء تعتبر جرائم في التشريع الاسلامي ولا تعتبر جرائم في التشريعات الوضعية مثل شرب الخمر والزنا ـ وقد اذيعت هذه الاحصائية في مؤتمر وزراء العدل الذي عقد في القاهرة في يناير عام ١٩٧٩ تقول احصائية المنظمة الدولية انه من بين كل مليون نسمة يرتكب الجريمة في السعودية ٢٢ شخصا ، وفي فرنسا ٣٢ الف شخص وفي كندا ٧٥ الف شخص

وفي فنلندا ٦٣ الف شخص وفي المانيا الغربية ٤٢ الف شخص .

ومن يتأمل هذه الاحصائية جيدا يدرك الى أي مدى كانت الحدود الاسلامية هي هدية الله الى البشرية الضالة التي تريد ان تتمتع بالامن والاستقرار ولكنها اخطأت الطريق .

فالى هذا العالم الحائر الذي يريد ان يعيش في ظلال الامن والاستقرار اهدى هذه الكلمات عله ينظر بعين العدل والانصاف الى الحدود الاسلامية فيكف عن مهاجمتها ويحاول ان يستفيد بها في حل مشكلاته المتزايدة والله الذي حددها هو الله الذي خلق البشر والذي يعلم السر وأخفى والذي يحيط علمه بكل شيء وهو ادرى بما يصلح لعباده الذين خلقهم وكرمهم وفضلهم على سائر مخلوقاته ليحققوا خلافته في عمارة الارض ونشر العدالة والامن والسلام فيها .



إن كان لا بد لكل موضوع من مقدمة تعرف بغرضه ومنهجه ، فأرجو ان اصنع هذا في كلمات سريعة .

اولا : ان ما نطرحه هنا ـ عبر مجلة الوعي ـ من فكر مؤمن ليس الا حقائق راسخة أثبت التطبيق العلمي والعملي نجاحها ـ فهي بالحق وللحق ليست موضع جدل او نقاش ، وما دور القلم إلا تعميق مفاهيمها في ضمير الأمة بأسلوب لا يخفي وراءه زخرفا من قول ، أو ادعاء من فراغ ، عل عناصر الحق والصدق فيها تستميل شبابنا ، فتصبح حداء للركب المتأهب ، ونشيدا للنصر المؤمل ، وشعاعا ينير الى الطريق المنشود .

ثانيا : ليس لدي قدر يسير او كثير من الرغبة في أن ترتدي كلماتي ثوب الناصح أو رداء العالم الذي يلقي معارفه من خلف منصة الأستاذية ، انما هي انطباعات صادقة أسرعت للتعريف بها ـ إيمانا مني بقدرتها على العطاء والبذل في المعركة المحتومة بين الايمان والالحاد .

العلم في منظار الاسلام :

العلم في نظر الاسلام قيمة من القيم الرفيعة التي كرمها الحق ـ سبحانه ـ وفضلها على سائر القيم نلحظ ذلك في هذا الحوار الذي قصه علينا القرآن الكريم والذي دار بين نبي من أنبياء بني اسرائيل وقومه في قوله تعالى : (**وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا أنى**

يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم) البقرة/ ٢٤٧ فبسطة العلم هنا فاقت سعة المال كما نرى .

وإذا كان القرآن قد فضل العلم على المال ، فاننا نراه أيضا ـ قد شرف العلم ، وكرمه وارتقى به إلى ما هو أجل من عرش الملوك ، وجاه السلاطين ، وأي ملك هذا الذي نتحدث عنه إنه ملك سليمان الذي لا ينبغي لأحد من بعده ، فضل القرآن العلم على هذا الملك حين امتن على داود وسليمان بالعلم .. لا بالملك ـ في قوله سبحانه : (**ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين**) النمل/ ١٥ .

وذلك الفضل العظيم لا يمنحه الله إلا لأناس من صفوة خلقه ، حدد السمات التي يتحلون بها من صفاء القلب ، ونقاء الضمير والخشية لله ، في قوله جل وعلا (**أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون**) الزمر/ ٩ فاذا انتقلنا الى السنة النبوية واجهنا حشد هائل من الاحاديث التي تفيض بالثناء العاطر على العلم وتكرم العلماء نقتطف منها قوله صلى الله عليه وسلم « طلب العلم فريضة على كل مسلم » رواه البيهقي وابن عبد البر وقوله « وان طالب العلم يستغفر له كل شيء حتى الحيتان في البحر » رواه ابن عبد البر والحديث الاول مبدأ من مبادىء حقوق الانسان في الاسلام لم يستطع عالمنا المعاصر تحقيقه حتى اليوم ، فاذا كان التعليم الزاميا في المرحلة الابتدائية ، فانه عند المسلمين الزام وفريضة في كل مراحل العمر .

وبالنسبة للحديث الثاني فان تعليقا للامام الغزالي رحمه الله يقول فيه أي منصب أعلى ممن تشتغل الملائكة بالاستغفار له ؟ هذا التعليق يكفينا مؤونة الحديث عنه ، او التعليق عليه ولقد شجع صلوات الله عليه وسلامه العلماء ، وحث الناس على الاخذ بالعلم ، والتفقه فيه بالقول والعمل ، فجعل فداء الاسرى تعليم بعض ابناء المسلمين ، وجعل صداق المرأة تعليمها . والانصاف يقتضينا ان نقول ان رسول الله ـ عبأ كل القوى المؤمنة ودفعها لنشر العلم وتيسيره بين الناس في مدرسة الأرقم بن أبى الأرقم في مكة ، وفي مدرسة مصعب بن عمير في المدينة بل وفي خارج الجزيرة في الحبشة في مدرسة جعفر بن أبي طالب .

أما أداء المؤمنين ، وتكريمهم للعلم والعلماء ، فان من الخير ان نعيد الى ذهن القارىء هذه القصة ففيها كل الغناء بل وفيها الاشارة التي تغنى عن العبارة عما كان يتمتع به العلماء من شرف عظيم في نظر الملوك والامراء . مما يستحق ان يكون مضرب المثل عن حضارة الانسان المسلم ورقيه .

ومضمون تلك القصة ان المأمون اختار الفراء لتأديب ولديه ، وحين كان

يجلس الفراء لالقاء درسه كان يخلع نعليه ، فاذا انتفض قائما تسابق الولدان في حمل نعله اليه ـ وعلم بذلك الخليفة ، فسأله يوما من اعز الناس يا فراء ـ قال الفراء : أمير المؤمنين أعز الناس ، فقال : لا والله إن أعز الناس من يتسابق وليا عهد المسلمين في حمل نعله اليه .

فهل عطاء هذا العلم يستحق فعلا هذا التكريم والتبجيل ؟ نعم . نعم لأن العلم الذي يعنيه الاسلام هو العلم بمفهومه الشامل الذي ينتظم الحياة كلها كلياتها وجزئياتها العلم النظري الذي يشير اليه قول الله سبحانه : (**اقرأ باسم ربك الذي خلق**) العلق/ ١ والعلم الواقعي الذي يتخذ من الواقع والكون كتابا له والذي يلفت القرآن النظر اليه في قول الله : (**وفي الأرض آيات للموقنين . وفي أنفسكم أفلا تبصرون**) الذاريات/ ٢١ و ٢٢ (**أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت . والى السماء كيف رفعت . والى الجبال كيف نصبت . وإلى الأرض كيف سطحت**) الغاشية/ ١٧ ـ ٢٠ هذا كله في الوقت الذي عرفنا فيه علم الآخرين يدين بالنظرة التجريدية للفلسفة اليونانية ، ولم يعتمد المذهب الواقعي التجريبي إلا حين عرف حضارة الاسلام وانتقلت إليه بواسطة الأندلس وعن طريقها ـ يقول « بريفولت » مؤلف كتاب بناء الانسانية « ان الحضارة الأوروبية مدينة بالضرورة في كل نهضتها للثقافة الاسلامية التي نقلتها عن الاندلس » .

ان هذا العلم المؤمن علم موصول بالله ، مقترن بنية العبادة ، يؤكد ذلك ما جاء على لسان حجة الاسلام الغزالي ؛ فقد كان رحمه الله يرى ان الغرض الاسمى من العلم هو التقرب الى الله وليس طلب الرياسة او الفخر والمباهاة ، ومن هنا فانه علم بناء استهدف رخاء الانسانية وصلاحها ، ولم يحدث ان اتجه الى تخريب او تدمير او عدوان او بغي ، حتى في اعز فترات تطوره ، ويوم ان كان يقود قافلة البحث والمعرفة علماؤه الاجلاء امثال ابن الهيثم الذي الف ما يربو على مائتي كتاب في الفلك والكيمياء والطبيعة ، والذي ترجم له كتاب « المناظر » الى اللاتينية في القرن السادس عشر الهجري فلما انتقلت قيادة العلم الى الآخرين اذاقوا الدنيا مرارة القتل والقهر والرعب والتسلط ، في الحروب العالمية وما بعدها وحتى يومنا هذا . فالفارق كبير والبون شاسع لان الأول ينطلق من قاعدة الايمان التي يستمد منها المسلم فكره وعلمه وسلوكه : (**واتقوا الله ويعلمكم الله**) البقرة/ ٢٨٢ .

اما الآخر فانه علم يتخذ المادة أساسا ، والغلبة شعارا وفرق بين الثريا والثرى .

ان العلم في الاسلام يطلب لذاته ، فهو في نظر العلماء المسلمين ألذ شيء في الحياة فقد تعلموا راغبين ، وكتبوا والفوا محبين عابدين ، وخير مثل على ذلك ما كان يقوم به الجاحظ من اكتراء دكاكين الوراقين والمبيت فيها طلبا للعلم وبحثا عن المعرفة ، ويسأل

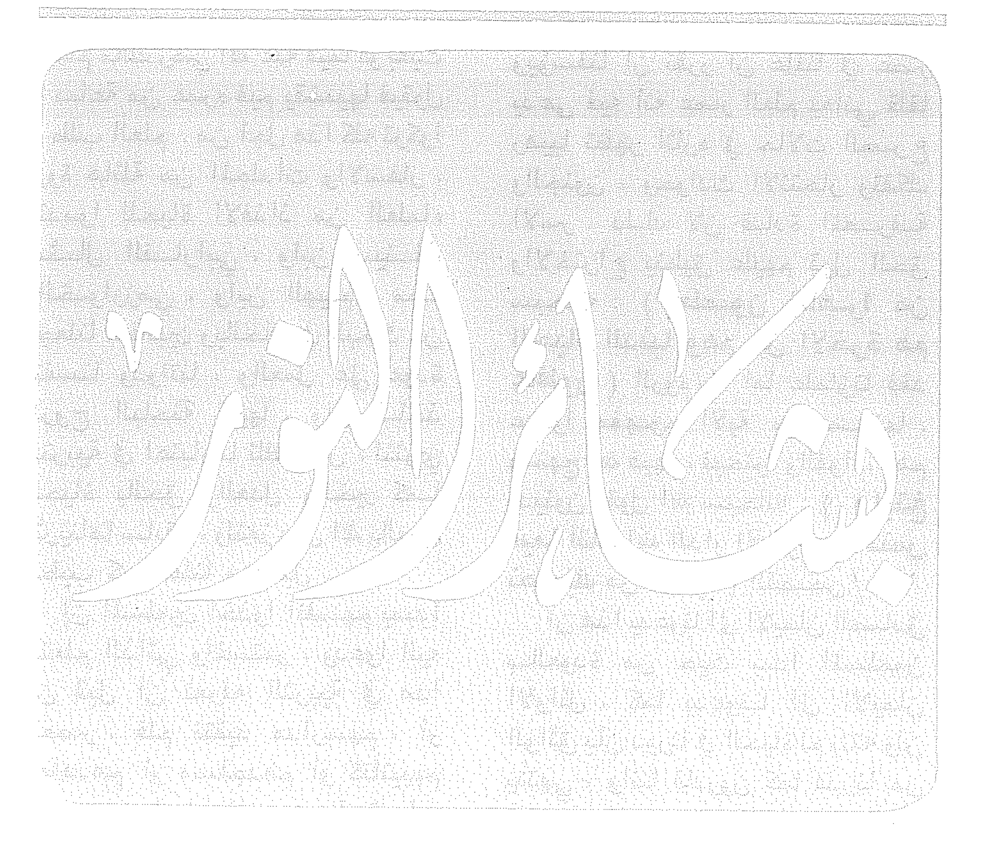
الامام مالك رضي الله عنه فيما لو بقيت له ساعة من عمره فيم يقضيها فيقول في طلب العلم . من أجل هذا كله تركوا ثروة هائلة من المجلدات والاسفار ، وقدموا للحياة الافذاذ من العلماء امثال الفارابي ، وابن سينا ، والخوارزمي ، وابن الهيثم ، مما يجعلنا مطالبين وبالحاح في البحث عن انفسنا وذواتنا ، والعمل على عودة الروح الباحثة اليها ، وان تأخذ التربية في اعتبارها تلك المثل ، لنثري الحياة بالحق والعدل والخير كما اثريناها سابقا ، ولنعز دين الله بالعمل الطيب كما فعلنا من قبل .

إن المسلمين اخذوا انفسهم بمبدأ التعلم الذاتي والمستمر ، ودعوا اليه من قبل أن تعرفه التربية في هذا العصر ، فلم تتقيد مدارسهم ، أو معاهدهم أو مساجدهم أو كتاتيبهم بسن معين او نبوغ معين ، أو قدرات أو مهارات بل يسرته للجميع وأباحته لكل راغب ، يسأل ابو عمر وبن العلاء ـ هل يحسن بالشيخ ان يتعلم فأجاب إذا حسن له أن يعيش ، فأحسن منه أن يتعلم .

إن العلم المؤمن في أزهى عصوره ؛ وأعظم فتراته التزم بمنهج الله في عمارة الحياة واثرائها ، ومنحها الرخاء والسكينة والرفاهية والأمان .

واذا كنا ننبهر ـ الآن ـ أو البعض منا بما حققه العلم الكافر في هذه العصور من الكشوف والمخترعات ، فاننا نحمد له ما التزم به من علم نافع ، وننعي عليه عجزه عن توفير الامن والطمأنينة في النفوس ، ويؤسفنا ان نقرر ان عالمنا في عصر يدعى فيه أنه عصر العلم يعاني قلقا رهيبا تظهر آثاره في حالات الصرع والجنون ، وحوادث الانتحار وتفكك الاسر . ذلك لان قادة المعرفة والاختراع ينطبق عليهم قول الحق سبحانه : (**يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون**) الروم/٧ اما علماؤنا فقد عرفوا مفهوم الآية ومضمونها ، ومنهج الله فيها ، فبحثوا والفوا ، وهم يدينون بقول الله سبحانه : (**وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا**) القصص/ ٧٧

ان هذا يدعونا الى الايمان الصادق بالعودة من حيث بدأ المسلمون الأوائل ، كما يدعونا الى الايمان الواثق بأن دورنا في الحياة لم ينته ولن ينتهي ، وأننا قادرون كما قدرنا من قبل على أن نضيف الجديد من الخير والحق وقادرون على أن نأخذ الراية ونستلم الركب ونتقدمه ولن يكلفنا ذلك اكثر من أن نصطلح مع الله ونعود اليه ، ونعلم انه عند التطبيق نجح علمنا ، وبنى وأسس ، وبالتطبيق انتكس علمهم ودمر وخرب ، وأن الحياة اليوم تذرع الخطى وتتلهف في معاناة . لنأخذ بيدها لانقاذها مما اصابها ، ونحن مهيأون لذلك . بعون الله ـ وهو قدرنا لأن مشيئة الله اقتضت وقضت بأن الأرض لن يرثها دعاة الفتك ، ولا حملة الكراهية بل سيرثها عباده الصالحون بناة الحق ، أولياء الايمان والعقل ، أصدقاء الانسان والحياة .



للأستاذ : محمد عبد الله القولي

خفق الفؤاد وظل في تهيام ... مذ اشرقت من ذكره أيامي

وتطلعت نفسي لتلتمس الرجا ... ترجو النجاة من الضلال الطامي

فاذا السماء تألقت أنوارها ... واذا السماء تفيض في انعام

كل الخلائق يومها قد سبحت ... لله يهدي الكون خير امام

جاء الربيع فجنة أيامهم ... ومع النعيم هداية الاسلام

وتدفقت أنوار ربك للورى ... تحيي القلوب بأطيب الأنسام

عودي لنا يا فرحة في بعثه ... نشوى الفؤاد بعاطر بسام

عودي لنا وأتى بعطرك سائغا ... يغنى الحياة ونبعه متنامي

هزي لنا جذع النخيل بمكة ... تساقط الثمرات كالألهام

تتعانق الآيات من تذكارها ... تغشى القلوب برحمة العلام

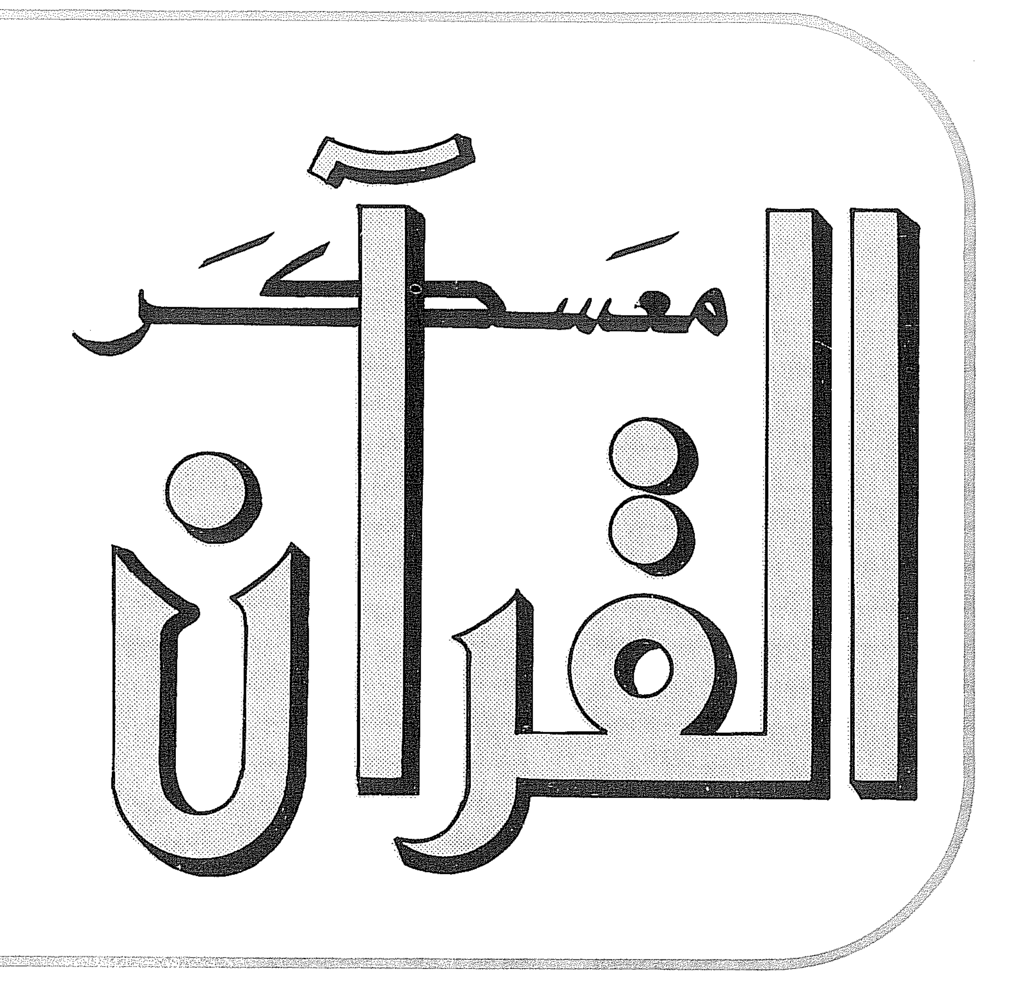
تزهو على سفر الوجود وما حوى ... في طيه من أعظم الأيام

تهمي كما الغيث الهتون بفيضها ... للظامئين الى هدى الاسلام

تعلو على الخلق الكريم على الدنى ... قدسية التعظيم والاكرام
ترنو اليك الكائنات بأسرها ... مثل الوهاد تتوق للأعلام
هزي لنا جذع النخيل بمكة ... تتعانق الآيات في إحكام
تروي لنا عن جد أحمد (شيبة) ... ما جاش في الأذهان والأفهام
ساد العشيرة كابراً عن كابر ... بالعدل والاحسان والاقدام
سقي الحجيج تقرباً من ربه ... وقراهم في موطن الاحرام
يسعى و « حارثة » المطيع بقوة ... كي لا يرى من جائع او ظامي
أمضى بجمع الماء أطيب يومه ... لكن جمعاً لا يفي بتمام
قد شاء في الساح المقدس منهلا ... يروي الحجيج على مدى الأعوام
فاذا قريش غصة في قلبه ... تأبى عليه ، تصده بتعام
لو كان من أبنائه في كثرة ... لم يرغموه بأيما إرغام
فدعا الاله وحسرة في نفسه ... تكوي الفؤاد عظيمة الايلام
ربي لئن أنجبت عشراً صبية ... لأضحين بواحد صمصام
لبى المجيب لعبده ما شاءه ... وحبا بعشر كالبدور كرام
حتى اذا كان الوفاء أهمه ... اي العيون يساق للاعدام ؟
نذر على « الفياض » يذبح واحداً ... والنذر للفياض وعد ذمام
أي الأحبة من بنيه فداؤه ؟ ... والولد نبع دائم الانعام
والولد للشيخ المسن جوارح ... بل اضلع تحمي من الأيام
هم بهجة لأبيهم وسعادة ... هم أنجم تقضي على الاظلام
أي البنين سينتقيه ضحية ؟ ... أي الجوارح تنتهي لحمام ؟
لم ينجه من حيرة غير اللجو ... ء لجعبة الأقداح والأزلام
يا ليتها الأقداح ظلت صُمة ... ما أخبرته بحكمها الهدام
أيكون « عبد الله » ذبح فدائه ... خير النجوم وأرفع الاعلام
زاغت عيون المشفقين بمكة ... هل يقبلون بأصعب الأحكام ؟
نور لعبد الله يطفح حوله ... سر به يعلو على الأفهام
تبكي له بالبيت « ابنة نوفل » ... وفؤاد « آمنة » كذبح حمام
تلك الرقيقة تبتغيه لنفسها ... حتى تكون نذيرة الأقوام
وكأن آمنة تظن بأنها ... أم النذير الطاهر المقدام
كم أخبرتهم « سودة » بنبوءة : ... في آل زهر حكمة العلام
هتفت بشارة كاهن من يثرب ... أن يفتدى بالقدح في الأنعام
حتى اذا رضي الاله فداءه ... نزلت عليه عظائم الانعام
كم قد فدى الرب العظيم عباده ... وأقال عشرة « شيبة » بغلام
بالأمس « اسماعيل » جيء بفدية ... ووفى ابوه بحلمه بسلام
فرح بمكة يحتوي ابياتها ... قد عاد « عبد الله » في إكرام
زاد الفداء جلاله وجماله ... علقت به الأبصار في اعظام

قد عاد للكبد الصدوع شفاؤه ... رجع الحبيب الى الفؤاد الدامي
ما بال عبد الله حتى انه ... فرحت له الآساد في الآكام
لاقت بفديته العظيمة مطعما ... حتى الطيور تصيب من إطعام
فرح لشيبة كم يطول طوافه ... بالبيت يدعو ربه بهيام
لن يهنأ الشيخ المسن بنجله ... حتى يزوجه ببنت كرام
في آل « وهب » أخبروه نبوءة ... فطوى عليه السر في احكام
صدحت أهازيج النساء تزفه ... من بنت « كبشة » كافر الأصنام
ما بال مكة جنة في عرسها ... قد أشرقت نوراً بغير ضرام ؟
ما سرها والكون في آياته ... يرنو لها في وجهه البسام
عرس تحلقت البشائر حوله ... وسمت به في فارس والشام
قمر لشمس بالزواج تلاقيا ... كي يهديا للكون خير إمام
كم أشرقا في إلفة ومودة ... كم أمضيا في الحب من أيام
قد أسلما لله في أقداره ... وتناجيا في فرحة ووئام
لم يدريا أن الفراق مقدر ... سيغيب بدر لم يعش لدوام
لهفي على البدر المودع شمسه : ... سأعود في رزق كفيض غمام
سأعود كي أرعى حبيباً قد دنت ... أيامه ونقوم خير قيام
أنت الحبيبة والحليلة والمنى ... أنت السعادة منتهى الأحلام
يحميك رب البيت في عليائه ... تفديك نفسي ، مهجتي وعظامي
غاب الحبيب وقلبه في مكة ... يرعى الحليلة عاطر الأنسام
طال البعاد ولم يؤب لعروسه ... قد عذبت في الخوف والأوهام
لكن حملا في الضلوع تجنه ... يشفي لما تلقاه من آلام
هو حلم آمنة العظيمة حظها ... هو أنسها النامي مع الأيام
« سمعت برؤياها العجيبة هاتفا : ... أن قد حملت بسيد الأقوام
يا ليت عبد الله يسمع حلمها ... يدري بمن قد غاب في الأرحام
تدنو الى أعلى السماء برأسها ... أغصانها في الخافق المترامي
أبهى من الشمس العظيمة نورها ... سطعت على الأعراب والأعجام
فيها تعلق من قريش ثلة ... وسعى لها رهط على إصرام
« آبت تجارة مكة ورجالها ... قد حملت من خير ما في الشام
وصلت بشائرها لكل حبيبة ... طال الزمان تعد في الأيام
« واها لآمنة تحدق في الربى ... لم تلق عبد الله في الأقوام
قد غاب عنها في المدينة ميتاً ... وجنينه في عالم الأرحام
لهفي على الشيخ المفارق نجله ... هل يفتديه لأشهر من عام ؟
لهفي على النذر الذبيح كأنه ... لا يفتدى الا لأمر هام
لا يفتدى إلا لنسل محمد ... ليجيء منه المصطفى بسلام
« عجبا قريش تحتمي بجبالها ... تأنى عن الأخطار خوف حمام

قد جاء « أبرهة » البغيض بجيشه ... بالفيل يجعل بيتها كركام
أبدا فرب البيت يحمي بيته ... ويرد كيد المعتدي بضرام
طير ابابيل تفرق جمعهم ... فكأنهم في الساح طحن طعام
سر لبيت الله يدفع خصمه ... ان جاء في وهم من الأوهام
حفظ لبيت الله مهد نبيه ... الصادق المصدوق خير همام
« جاء الربيع الى الديار فهللت ... واستبشرت بالخير والانعام
حمل الأثير بشائرا من مكة ... وسرى بها في السهب والآكام
ولد اليتيم محمد في فرحة ... يا مرحبا يا سيد الأيتام
ولد اليتيم ونوره متألق ... شمل الوجود وكان في إظلام
لم تلق آمنة المصون بحمله ... او وضعه شيئا من الآلام
« هو رحمة للناس ، كيف بأمه ؟ ... سعدت به واستبشرت بسلام
حلمت بعبد الله يرقب طفله ... ويضمه للصدر في تهيام
فرح حوى أبيات « هاشم » عمها ... فتهللت لوليدها البسام
فدموع « شيبة » بللت وجناته ... فمضى لشكر الله ذي الانعام
« هذي حليمة ترتجي من ربها ... طفلا ثرياً سيد الأقوام
قبلت يتيما وهي جد فقيرة ... فتدفقت خيراتها بزحام
قد شرفت بمحمد وبفضله ... وأحلها الرحمن خير مقام
يا مرحبا بالمصطفى وقدومه ... للمرسلين أتيت خير ختام
قد كان عرساً للسماء وبهجة ... في اعظم الأفراح والأيام
غنى له الكون العظيم وغردت ... ذراته في أعذب الأنغام
طربت له الأرواح في عليائها ... اذ حررت من ربقة الأوهام
اذ طهرت من كل ما تشقى به ... وتخلصت من ظلمة الآثام
صعق الطغاة المجرمون بمولد ... قد أنقذ المظلوم من آلام
قد اعتق الانسان من اغلاله ... ونأى به عن ساحة الاجرام
وسما به للخير في أفعاله ... للحق والتوحيد والاسلام
زكاه من ادرانه وعيوبه ... وأقامه في الكون خير مقام
ورعاه من دين الاله بحكمة ... وحماه من اهوائه بنظام
قد فضل الله العظيم محمداً ... ليكون للأديان خير امام
قد جئت تهدينا لكل فضيلة ... صرنا بدينك افضل الأقوام
إنا رسول الله أعظم أمة ... ان نعتصم بكتابنا الاسلامي
نحن الأعزة والكرام على المدى ... ان ننتصر بالخالق العلام
ان نستجب لله في أحكامه ... ونعد للأعداء في إحكام
ان نتحد صفاً على أعدائنا ... ونرد كيد عصائب الاجرام
اشفع لنا يا رحمة من ربنا ... أنت الشفيع وذو المقام السامي
واقبل رسول الله حسن تحيتي ... واقبل حبيب الله طيب سلامي



ربما كانت أشد لحظات التاريخ الاسلامي في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، هي تلك اللحظات الرهيبة في معركة أحد ، التي انكشف فيها المسلمون بعدما أوشكوا على تحقيق انتصار كامل على قريش ، حيث أولى القرشيون ظهورهم للمسلمين ، وتخلوا عن معسكرهم فارين ، فاغرى ذلك معظم رماة المسلمين باعلى الجبل في احد بالمسارعة الى الغنيمة ، فعصوا امر قائدهم ، وتناسوا امر الرسول صلى الله عليه وسلم لهم ، فافسحوا المجال لخيالة قريش بقيادة خالد لاحتلال موقعهم ، فانقلب ميزان المعركة رأسا على عقب وتنادت قريش الى القتال فعاد المنهزمون ، فاختل امر المسلمين واضطرب امرهم ، وفشا القتل فيهم ، وتخلى عن القتال اكثرهم ، وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم يواجه بفئة قليلة جدا من



للاستاذ/ أحمد العناني

حوله جيش قريش بكامله ، وارجف المرجفون من قريش بمقتل الرسول صلى الله عليه وسلم واستبدت الحيرة بنفر من خيرة المسلمين بينهم ابو بكر وعمر ، وهم يظنون ان الرسول عليه الصلاة والسلام قد لقي حتفه ، ويرون الحال الموحشة التي آلت اليها الامور حين مر بهم أنس بن النضر رضي الله عنه فهتف بهم « ما يجلسكم ؟» .

قالوا « قتل رسول الله » ؟

قال انس : « فما تصنعون بالحياة بعده ؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه ! وبأثر من ذلك المنطق السديد ، والحضور الذهني الرائع ، انطلق القوم مع انس الذي اندفع يقاتل حتى اثخن بالجراح الى ان استشهد رضي الله عنه وقد قدر ان ما اصابه كان في حدود سبعين طعنة بحيث خفيت معالم جسده الطاهر فلم تتعرف عليه قبل

دفنه سوى اخته وكان لكل سيف عائد الى المعركة من سيوف المسلمين اثره الكبير ، حيث كان الرسول عليه الصلاة والسلام يقاتل وهو جريح قتالا لا نظير له في الثبات ومن حوله نفر من اماثل الابطال من الرجال والنساء كابي دجانه وسعد وعلي وام عمارة والزبير ، وكانت عودة العائدين الى الرسول عليه الصلاة والسلام في اشد لحظات الحرج مما مكن له عليه الصلاة والسلام وسلك الفئة من الابطال ان يشقوا طريقهم للنجاة ، وبذلك فوت على قريش اعظم ما كانت تتمناه ، وتتنزى شوقا اليه ، الا وهو قتل الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم .

وفي ذلك الموقف الضنك وصف القرآن الكريم عودة أنس والعائدين بقوله تعالى : (**الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا**) آل عمران/ ١٧٣ .

ان الحرج الذي يواجهه المسلمون اليوم في العالم يجعل من موقف الرسول عليه الصلاة والسلام والمسلمين في تلك اللحظات الرهيبة من أحد موضعا للقدوة اللازمة . وهناك طائفة من المسلمين اليوم يصرون على التنكر للوجود الذاتي للاسلام والمسلمين ككيان متفرد بذاته ومواصفاته ، ويسلكون مسلكا هروبيا ذليلا ، وكأنما زال الاسلام ورفع القرآن وطويت صحائف التاريخ .. وهم يصرون على ان الانضواء تحت احد المعسكرين الرائجين لروسيا وامريكا حتمية لا مفر من قبولها ونحن مع هؤلاء في ان الناس من الفريقين قد جمعوا لنا وان كليهما يريد بنا شرا .

ولكننا مع الله جل جلاله ، في ان ذلك جدير بأن يعيدنا الى المعركة وان يزيدنا ايمانا ، واننا لن نلقي الا مثل المصير الزاهر لانس بن النضر رضي الله عنه ، او النجاة الممهدة لنصر لاحق عظيم جعل من ابي بكر وعمر رضي الله عنهما في نفس المكان من يثرب اعظم حاكمين في زمانهما ؛ وجعل من طيبة اعظم مدائن الدنيا قاطبة .

والواقع الذي لا يستطيع ان ينكره اي كان من المتصدين للتحدث باسم الاسلام هو انه لا حاجة لنا بالحياة بعد القرآن الكريم وسنة الرسول الامين ، تماما كما لم يجد انس بن النضر رضي الله عنه حاجة للحياة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والواقع الذي لا مفر من الاعتراف به او نموت جميعا من دونه هو ان القرآن الكريم هو معسكر غير معسكر امريكا او روسيا ، وانه لا يمكن ان يندغم او يتوافق مع ما تدعو له امريكا او روسيا ومن لف لفهما من السائرين في فلك كل منهما .

ان الحقيقة الخطيرة الكبرى هي ان القيمة الاساسية لحياة المسلم هي توجيه الدنيا لخدمة الاخرة .

فليس هناك فوز في الاسلام الا الفوز الذي حدده القرآن الكريم : (**فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز**) آل عمران/ ١٨٥

وليست هناك طريقة سهلة الى ذلك الفوز بنص القرآن الكريم : (**ام**

حسبتهم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله قريب) البقرة/ ٢١٤ . والمعسكران الامريكي والروسي كلاهما يبعد الدين عن الحياة ، ولا خلاف بينهما في السعي من اجل الحياة وحدها ، سوى ان احدهما يطلق حرية الافراد في التزاحم على الهدف الدنيوي ، وليتخم من يتخم بشبعه ، وليجع من يجوع في فقره وعريه فيما الاخر يجعل الحرية لحزب تقوم عليه الدولة بدعوى تأمين الجميع من الجوع وليرض من يرضى وليسخط من يسخط .

لكن القرآن الكريم يحكم الناس بقانون الله جل جلاله فيؤمن بأمر الله شبع كل مسلم فيما يترك الباب مفتوحا للتنافس على رضوان الله والفوز بالجنة والزحزحة عن النار ، بالإيثار والتطوع والمحبة ، مكرما ارادة الانسان ، ورافعا شأن التقوى فوق كل شأن .

فكيف يمكن تسليم زمام القرآن وهذه رسالته الى معسكر من هؤلاء او اولئك ـ.

ان الذين يقولون بفصل الدين عن الحياة ، وإفراغ الحكم من حكم الشريعة . والذين يقولون لا سياسة في الدين ولا دين في السياسة ، والذين ينادون بتسيير الحياة بغير الحكم بما نزل الله ، والذين يرفعون رابطة الوطن او اللسان او العرق فوق رابطة الله ، والذين يعتبرون العامل الاقتصادي ، وحيازة ادوات الانتاج المقرر الوحيد لحركة الحياة .

والذين يجعلون من مواصفات الحرية الانفلات من اوامر الله ورسوله ونواهيهما ، هم جميعا قوم جهلوا وطغوا وآثروا الحياة الدنيا وجعلوا الجحيم لهم مأوى ..

وبرغم انف المضللين والضالين معا .

وانوف المعتدين على حقائق الاسلام وصريح القرآن ، يظنون انهم بذلك يرضون المتنفذين في الارض ليرضوا عن استبدالهم بالمسلمين ، وليديموا ترفيه انفسهم على حساب المقهورين ، رغم انوفهم جميعا تسري دعوة الحق في الوطن الاسلامي الواحد كله ..

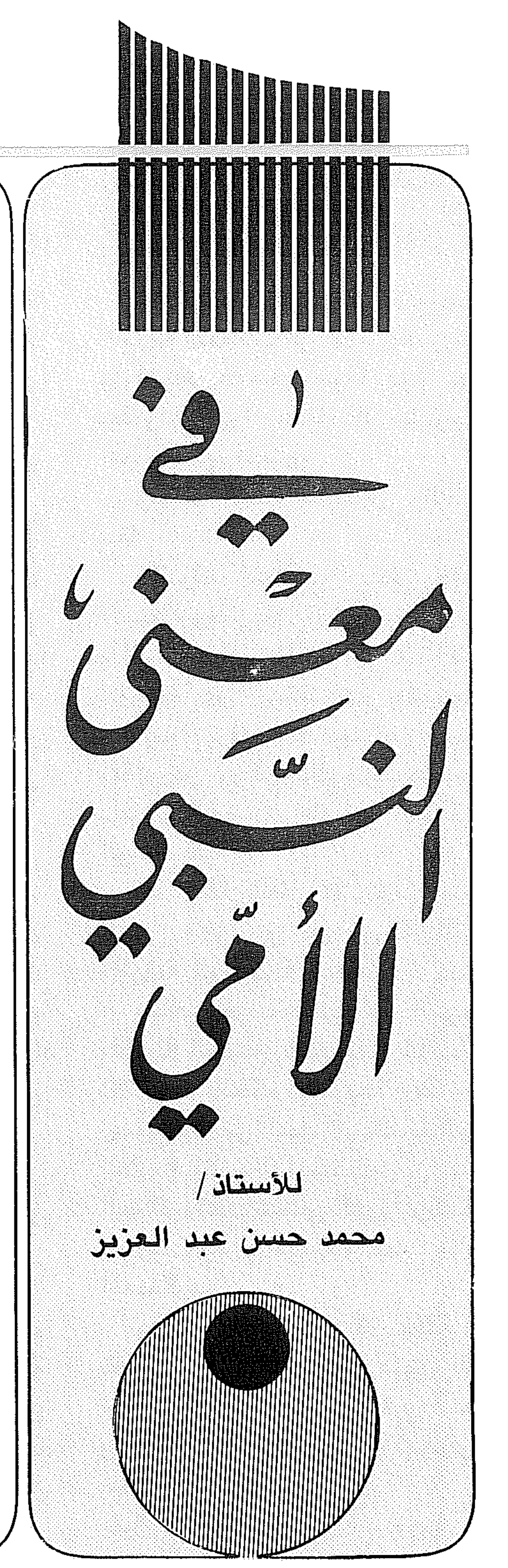
لقد قطع العقل الاسلامي مرحلة الوعي الاولى ودخل مرحلة التركيز والرؤية الواضحة للحقائق ..

وبات يعرف الطريقة الوحيدة المقبولة للوضع السليم في الاسلام ، الا وهي الحكم بشريعة الله وسنة رسوله والعمل الجاد لاستنباط الصيغ اللازمة لتسيير المستجد من شئون الحياة ، تحت شمس القرآن والسنة .

وبات يعرف موقفه واضحا من كلا المعسكرين .

ولا يمكن لاية فكرة دخيلة ، ان تجد وسيلة للنمو في عمق الذات الاسلامية المتميزة الفريدة في اسسها وتوجهاتها ، وإن الزمن ليجري في صالحنا .

وقبل ذلك وبعده فإن الله معنا .



في معنى النبي الأمي

للأستاذ /
محمد حسن عبد العزيز

« شاع استعمال كلمة « أمي » بمعنى جهل القراءة والكتابة مع أنها تعني معنى قوميا اعتقاديا لسائر الناس من غير سلالة بني اسرائيل ... »

اعتقد بنو اسرائيل انهم وحدهم أصحاب الحظوة عند الله الجديرين بتلقي خطابه بما دسه أحبارهم على التوراة بجعل النبوة حكرا على اسحق ونسله والى الأبد وحرمان شقيقه اسماعيل ونسله من عهد الله . وهو ما يعرف عندهم بشعب الله المختار أو الشعب الذي اختاره الله وفضله على سائر خلقه .

وتحكي التوراة سبب هذا الاختيار بخطأ ارتكبه حام بن نوح عليه السلام حين لم يغط عورة أبيه الذي شرب خمرا وسكر وغطاه ولداه سام ويافت . فلما أفاق وعلم بذلك قال : « ملعون كنعان عبد العبيد يكون لاخوته . وقال يبارك الرب اله سام . وليكن كنعان عبدا لهم ليفتح الله ليافت فيسكن في مساكن سام وليكن كنعان عبدا لهم »

(تكوين ٩)

وقد ارتبطت الديانة اليهودية بسلالة معينة كالهندوكية والشنتية وان امتازت هاتان الديانتان بأن المؤمنين بهما لم يتعرضوا للشتات .

وتحت تأثير أكذوبة الشعب المختار اعتقد اليهود ان أرواحهم تتميز على باقي الأرواح لأنها جزء من الله عزيزة عليه والأرواح الأخرى شيطانية

شبيهة بأرواح الحيوانات وأطلقوا على الشعوب الأخرى صفة « الغويم » وترجمتها العربية « الأميين » وهم الذين خلقهم الله على هيئة الانسان ليكونوا لائقين بخدمة شعب الله الذي خلقت من أجله الدنيا .

واعتبرت المسيحية غير المسيحيين « أميين » ذلك بأن المسيح عليه السلام جاء لخراف بني اسرائيل الضالة ، وحذر من دعوة الغرباء الى هذا الدين « .. الى طريق أمم لا تمضوا والى مدينة للسامريين لا تدخلوا ولكن اذهبوا بالحرى الى خراف بني اسرائيل الضالة » (متى ١٠) ولذلك أطلق على بولس الرسول « شاءول » رسول الأمم لأنه اتجه بدعوته الى غير بني اسرائيل بعد أن يئس منهم .

واذن فالسلالات الأخرى من غير بني اسرائيل من الأمم أو الأميين التي لا ترقى الا لمستوى الحيوان والمسخرة لخدمة شعب الله .

وعلى أساس نعرة الاستعلاء هذه وعقدة الانفراد والتفرد ، اتخذ بنو اسرائيل من نبي الاسلام عليه الصلاة والسلام موقفا مؤسفا مع أنه جاء مصدقا لما بين أيديهم من التوراة والانجيل ، وكانوا من قبل يبشرون ببعثه بالرسالة الأخيرة الخاتمة للرسالات . لكنهم رفضوا الايمان به لاعتقادهم ان النبوة لا تكون الا منهم .

أما هو فقد جاء من العرب « الأميين » أي من الأمم الأخرى .

ومن هنا جاء اشتقاق كلمة أمي التي شاع تفسيرها بمعنى جهل القراءة والكتابة على غير ما يستوجبه اشتقاق الكلمة في سياق الآيات القرآنية . ومدلولها اللغوي على لسان العرب .

فبعض المفسرين ينسب كلمة أمي بمعنى جهل القراءة والكتابة الى الأم وقد كان الجهل بهما شائعا في العرب رجالا ونساء . كما كان في غيرهم مثل اليهود وان كان في العرب أكثر منه في غيرهم وان عرف عنهم فصاحة اللسان وبلاغة البيان وقرض الشعر بالسليقة وحفظ الانساب ، وكل ذلك غير منوط بقراءة وكتابة فتلك طبيعة أهل البادية .

وكان النبي عليه الصلاة والسلام على عادة قومه . وقد نزل عليه جبريل عليه السلام بأول آيات الوحي (**اقرأ**) فقال : ما أنا بقارىء أي أنا لست ممن يقرأون لأني لا أعرف القراءة .

ويرى البعض ان الكلمة جاءت بمعنى « عِربي » وهو أقرب المعاني لمقصد ا لآيات بل هو معنى جزئي للكلمة التي تعني في اجمالها غير اليهود لأن الكلمة بمعنى قومي اعتقادي . وجاء في سيرة ابن هشام جـ ٢ صـ ٢٠٩ بمعنى من لا كتاب لهم وهو أوفق المعاني لاشتقاق الكلمة .

وعلى كثرة ما افترى المفترون على رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفتر أحد عليه أنه كان يقرأ ويكتب . ولم يرد بالقرآن الكريم آية واحدة ترد

على ذلك .

ولا ينكر أحد انه عليه الصلاة والسلام لم يشارك قومه فيما ألفوه من قرض الشعر (**وما علمناه الشعر وما ينبغي له**) ٦٩/يس ، وان كان بليغا فصيحا .

ولأنه لم يكن قارئا كاتبا محبا للعزلة ميالا للفكر . فانه لم يطلع على كتب السابقين التي ظهرت أول ترجمة عربية لها على يد سعديا الفيومي عام ٩٤٢م أي بعد وفاته بأكثر من ثلاثمائة عام ومن ثم فان ما اخبر به القرآن الكريم من أنباء الأمم السابقة انما مصدره الوحي من الله .

(**وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون**) ٤٨/العنكبوت

(**وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير**) ٤٤/سبأ

(**أم لكم كتاب فيه تدرسون**) ٣٧/القلم .

ولم يعرف عن العرب دراية بزراعة ولا صناعة ولا تجارة ولا علم ، وغاية جهدهم الاشتغال بالنقل البري يحملون التجارة على ظهور الابل في رحلتي الشتاء والصيف : (**قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان أنتم الا تخرصون**) ١٤٨/الأنعام

(**لايلاف قريش . ايلافهم رحلة الشتاء والصيف**) ١ و٢/قريش

وقد شاع بينهم انتظار نبوة ودين وتطلع الى شريعة الهية تعيد لهم مجدهم ووحدتهم ومنهم من تطلع الى دين ابراهيم عليه السلام بعد أن خاب أمله في دين اليهود الذي تحول على يد العبرانيين الى دين خاص بأبناء اسحق وتحولت شريعتهم الى جيتوفكري .

وقد كذب القرآن دعوى اليهود بأن الله لا يخاطب الأمم ولا يبعث أنبياء الا منهم : (**هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين**) ٢/الجمعة .

وان محمدا عليه الصلاة والسلام قد بعث للناس جميعا بما فيهم بنو اسرائيل : (**الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون . قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الذي له ملك السموات والأرض لا اله الا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون**) ١٥٧و١٥٨/الأعراف .

« فالنبي الأمي هو المبعوث من غير سلالة بني اسرائيل . وهو أيضا أمي بين الرسل المبعوثين من سلالة اسحق وهو من سلالة اسماعيل عليهما السلام ، والقرآن العربي أمي بين

الكتب التي نزلت باللسان العبراني ، فالرسالة الخاتمة لا يجوز لها أن تستأثر بأمة ولا تحجب عن أمة خلافا لما زعم اليهود .

ويقول أستاذنا العقاد رحمه الله في كتابه « حقائق الاسلام وأباطيل خصومه » ولعله من علامات الخير ان تدول الدول وأن يذهب ما أفسدت من أمور الدين والدنيا وتبقى للمسلم عقيدته في حقوق أمته مصونة في قلوب المحافظين والمجددين ملحوظة في آراء الوادعين والثائرين .

فالأمة بمعنى الناس جميعا ، فلا تمايز بين خلق الله ولا استعلاء ، وحسب المرء أن يفضله علمه وعمله . فالأمة الواحدة هي موضع خطاب الله وهي الوعاء الذي تصب فيه نتائج التكاليف .

وقد ورد لفظ الأميين مقابلا لأهل الكتاب أو من ليس لهم كتاب .

(ومن أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك الا ما دمت عليه قائما ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل) ٧٥/آل عمران .

(فان حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فان أسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد) ٢٠/آل عمران .

وقد أنصف القرآن بعض أهل الكتاب ممن يعرفون حقيقة كتابهم وهم من اذا أؤتمنوا على قنطار من الذهب ردوه ، أما أولئك الذين يتبعون ما لحق كتابهم على يد كهانهم من تحريف وتزييف ، فانهم اذا اؤتمنوا على دينار لا يؤدونه لصاحبه لأن شريعتهم المحرفة لا تلزمهم في معاملاتهم مع غيرهم من الأمم برد تلك الأمانات .

جاء في التلمود : ان الله لا يغفر ذنبا ليهودي يرد للأمي ماله المفقود وغير مصرح لليهودي أن يقرض الأجنبي الا بربا .

« من رأى أحد الأميين يقع في حفرة لزمه أن يسدها بحجر »

« يحرم على اليهودي ان ينجى أحدا من باقي الأمم من هلاك أو يخرجه من حفرة وقع فيها » .

ولا يمكن أن ينصرف معنى لفظ « الأميين » الى من لا يعرف القراءة والكتابة حيث لا يستقيم المعنى مع سياق الآيتين المتقدمتين من القرآن الكريم ، وأهل الكتاب شأنهم شأن غيرهم في جهل القراءة والكتابة والتكليف لا يناط بعدم الجهل بهما : **(ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا أماني وان هم الا يظنون)** ٧٨/البقرة .

والأميون هنا جماعة من العرب تهودوا وكانوا لا يعرفون ما يتلى عليهم من التوراة بلغة لا يفهمونها ولا يعرفون معناها ، وكل حظهم اتباع الظن والتحريف الذي دسه الاحبار على كتاب موسى عليه السلام ، فهم جاهلون بحقيقة الكتاب ومع ذلك اعتبرهم اليهود من الأميين لأنهم ليسوا من سلالة بني اسرائيل .

فكل من ليس يهوديا من سلالة اسحق هو أمي أو من الأمم الأخرى لأن اللفظ يعني معنى قوميا اعتقاديا يخص السلالة الممتازة والشعب المختار ولا يتصل بحال بقراءة ولا كتابة ولا يمس من قريب أو بعيد شخص النبي عليه الصلاة والسلام .

أما الحديث الشريف « انا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب » متفق عليه فمعناه ان عبادات الاسلام من صلاة وصيام وحج لا تعتمد على كتاب وحساب انما تعتمد على رؤية القمر في تحديد أوائل الشهور : (**يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج**) ١٨٩/البقرة .

أما أوقات الصلاة فيعتمد في تحديدها على رؤية الشمس : (**أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل**) ٧٨/الاسراء .

ومعجزة نبي الاسلام لم تكن في عدم المامه بالقراءة والكتابة وانما كانت في نظم القرآن الكريم وبيانه وبهما كان التحدي ولا يزال ، وقد نزل باللغة الأولى التي علمها الله تعالى للانسان الأول : (**خلق الانسان علمه البيان**) ٣و٤ الرحمن . (**وعلم آدم الأسماء كلها**) ٣١/البقرة .

تلك اللغة الخصبة فائقة الثراء والملكات والقابليات ، المستجيبة بوفرة مفرداتها لدواعي الاشتقاق أو الميزان الصرفي لهذا الاشتقاق ، القادرة على البيان والايضاح وقد تعهد الله بحفظها ومهد بها للرسالة الخاتمة من يوم أن أمر خليله ابراهيم بالهجرة بولده اسماعيل عليهما السلام الى مكة ، ومع اتساع حركة أبناء اسماعيل صارت لغتهم لغة الثقافة والحكمة والأدب ، ثم تحقق دعاء ابراهيم وولده : (**ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم**) ١٢٩/البقرة .

ومن هذه السلالة الطيبة الطاهرة كان النبي الأخير بكتاب حافظ على لغتهم تتلى بها آياته فلا يصمت أبدا . وصار البيت الرمز المجسد لوحدتهم الفريدة يذكرهم باليوم الآخر الذي هو غاية الدين والايمان .

كان رسولا من الأميين الى الأميين والى الناس أجمعين ، هكذا علم منه أهل الكتاب والمشركون في مكة والمدينة وفي كل مكان بلغت الدعوة خارج الجزيرة وما وراءها ويثبتها الواقع العملي المتمثل في رد المقوقس ، وزواجه صلى الله عليه وسلم من مارية القبطية وخطابه الى هرقل والنجاشي .

نبي أمي لأنه ليس من سلالة الشعب المختار الذي ظن ان النبوة حكر عليه وانه اختار الاله واختاره الاله .

والأميون هم سائر خلق الله بما فيهم السلالة الممتازة المزعومة .

وهكذا استخدم القرآن الكلمة .

أما تفسيرها بجهل القراءة والكتابة ففيه ارهاق للنصوص وتحميلها بأكثر مما تحتمل واستنباط ما لا يفيد .



رؤية في عصمة الأنبياء

للدكتور/ محمد الانور حامد عيسى

أنبياء الله ورسله هم الصفوة الممتازة الذين اجتباهم الله من بين البشر واختصهم بصفات الكمال الخلقية والخلقية ، وجعلهم السفراء الامناء في حمل الشرع وتبليغه الى الناس .

واذا كانت وظيفة الرسول هي توصيل كلمة الله الى الناس وارشادهم بالقول والفعل والاقرار الى ما فيه النفع في الدنيا والآخرة ، كان لزاما ان يكون قدوة حسنة في كل ما يصدر عنه وان لا ينطق الا بكلمة السماء ، ولن يكون كذلك الا بالعصمة الباطنية من الحقد والغل والكبرياء والحسد والرياء والشح الخ ..

والعصمة الظاهرية من الذنوب مثل : الشرك والكذب والقتل وشرب الخمر والزنا الخ ..

ولعلك تسأل ما هي العصمة ؟

ونجيبك بأنها : حفظ الله ظواهر الرسل وبواطنهم من ارتكاب منهى عنه او ترك مأمور به ، او هي لطف من الله سبحانه وتعالى يجعل الرسل يتجهون الى فعل الخير ويبتعدون عن فعل الشر .

ولا يعني الحفظ او اللطف انهم عليهم السلام مجبورون بل يعني ان استعدادهم كامل في التمييز بين الخير

والشر ، وأن مراقبتهم لله في اعمالهم متحققة مع كل نبضة من نبضات القلب فهم يتحركون دائما في دائرة الاحسان والتي بينها رسولنا صلى الله عليه وسلم حينما سأله جبريل عليه السلام عن الاحسان فقال : « ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك » رواه البخاري ومسلم ، ومن كان امره كذلك كان اتجاهه بالعقل والقلب معا في كل قول او فعل او اقرار ملازما لاوامر الله ومبتعدا عن نواهيه .

ونأتي الى سؤال ـ هل الانبياء معصومون قبل البعثة وبعدها من الصغائر والكبائر ؟؟

لعلماء المسلمين مواقف متعددة الا انهم يجمعون على عصمة الانبياء من الشرك والكذب وما يشعر بالخسة كالزنا والسرقة وكل ذلك قبل البعثة وبعدها ، وجوز بعضهم فيما عدا ذلك من الكبائر والصغائر قبل البعثة .

يقول السنوسي : « أما حكمها قبل النبوة فالذي ذهب اليه اكثر الاشاعرة وطائفة كثيرة من المعتزلة الى انه لا يمتنع عقلا على الانبياء عليهم الصلاة والسلام قبل البعثة معصية كبيرة او صغيرة » ولعلنا لا نميل الى مثل هذا الرأي الاخير ونرى ان رسل الله معصومون عن الكبائر مطلقا قبل البعثة وبعدها عمدا او سهوا ، اما الصغائر فان كانت مشعرة بخسة او تؤدي الى نفور كسرقة دينار او تطفيف كيل مثلا ، فهم معصومون منها قبل البعثة وبعدها عمدا او سهوا ، واذا لم تكن مشعرة بخسة فهم غير معصومين منها قبل البعثة عمدا او سهوا ، اما بعدها فهم معصومون منها عمدا ، ويجوز الوقوع فيها على سبيل النسيان او الخطأ في التأويل ، واذا حدث مثل هذا فان المشرع الحكيم يوجههم الى الطريق الصحيح ويذكرهم بما وقعوا فيه من نسيان .

بعض الآيات التي يشعر ظاهرها ما يخالف عصمة الانبياء :

وقد وردت آيات في القرآن الكريم يشعر ظاهرها ان الانبياء قد وقعوا في بعض الذنوب فلنتأمل فيها لنقف على حقيقة الامر .

اولا : ورد في حق سيدنا آدم عليه السلام انه امر بعدم الاكل من شجرة معينة الا انه بعد وسوسة الشيطان خالف الامر وبذلك صار عاصيا ورجع الى الله بالتوبة فقبلها منه ، وهذا يؤكد وقوعه في ذنب والذنوب تخالف العصمة .

يقول سبحانه وتعالى : (**وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين . فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين . فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم**) البقرة/ ٣٥ ـ ٣٧ .

ويقول سبحانه : (**فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة**

وعصى آدم ربه فغوى) طـه / ١٢١ .

ويرد على هذا :

بأن ما حدث من آدم لا يخالف العصمة ، لانه كان قبل النبوة حيث لم تكن له أمة بعد ولم يكن في امر تشريعي ، ومثل هذا يعتبر صغيرة ، ولقد سماه الله سبحانا عصيانا لما سيكون من شأن عظيم لآدم فيما بعد وما صدر عنه عليه السلام كان نتيجة للنسيان ، والذي يؤكد هذا قـوله سبحانه : (**فنسى ولم نجد له عزما**) طه/ ١١٥ . ولقد غفر الله له هذا الذنب الصغير ثم جعله نبيا .

يقول تعالى : (**ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى**) طه/ ١٢٢ .

ثانيا : ورد ان سيدنا نوحا عليه السلام طلب من ربه ان ينجي ابنه قائلا : (**رب إن ابني من أهلي**) فأجابه سبحانه وتعالى : (**إنه ليس من أهلك**) وهذا يدل على ان نوحا عليه السلام قد كذب على الله والكذب كبيرة تخالف العصمة . يقول سبحانه وتعالى : (**ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين . قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين**) هود/ ٤٥ و ٤٦ .

ويرد على هذا :ـ

ان نوحا عليه السلام لم يكذب على ربه وان ما يطلب انجاءه هو ابنه من صلبه ، وقد رد الله عليه سبحانه وتعالى بما يفيد إنه ليس من اهلك الذين وعدتك ان انجيهم معك ، او هو ليس من اهل دينك بل هو كـافر مستحق للعقوبة .

ثالثا : وردت آيات في حق سيدنا ابراهيم عليه السلام ربما فهم من ظاهرها تردده في الاعتقاد حيث اعتقد ألوهية الكوكب ، ثم رجع عنه الى اعتقاد ألوهية القمر ، فلما طلعت الشمس ورآها اكبر ،اعتقد ألوهيتها وهذا التردد في الاعتقاد يفيد الشرك والشـرك من الكبائـر التي اجمع المسلمون على عصمة الانبياء منها ، ثم انه تبرأ بعد ذلك من كل هذه الاشياء واعتقد الوهية الواحد الاحد سبحانه ، يقول عز وجل : (**فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين . فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القـوم الضالـين . فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون . إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين**) الانعام/ ٧٦ ـ ٧٩ .

ويرد على هذا :

بأن ابراهيم عليه السلام يعتقد يقينا بوجود الله وبأنه سبحانه متصف بكل كمال ومنزه عن أي نقص ، الا ان

البيئة التي تحيط به تعبد الاصنام والكواكب ، ولقد اراد عليه السلام ان يهديهم الى الله الحق ، فتظاهر بالتسليم لهم بأن ما يعبدونه آلهة ، ثم اخذ يبين لهم بطلان اعتقادهم بالتدريج ، فالاله لا يتغير وما يعبدونه يتغير والاله لا يغيب وما يعبدونه يغيب والاله ليس بحادث وما يعبدون حادث .

وما قام به سيدنا ابراهيم عليه السلام من التظاهر بالتسليم للخصم ثم مناقشته لبيان بطلان اعتقاد هذا الخصم لا يتناف مع العقل في عصرنا الحديث وليس فيه اي شرك بل هو توجيه عقلي للايمان بالله وبتفرده بالكمال المطلق وتنزهه عن الحوادث .

رابعا : ورد ان سيدنا ابراهيم عليه السلام اقسم ليحطمن الاصنام وفعلا حطمها الا الصنم الكبير فقد تركه بعد ان وضع على كتفه المعول وحينما أتى القوم هالهم ما رأوا ثم سألوا سيدنا ابراهيم عن الذي حطم آلهتهم فأجابهم بأن الذي حطمها هو كبير الاصنام وطلب منهم ان يسألوه ، وعلى هذا فقد وقع سيدنا ابراهيم في الكذب حيث قال : ما ليس بحق ، والكذب من الكبائر التي تتناف مع عصمة الانبياء .

يقص القرآن هذا الحادث فيقول : (**وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين . فجعلهم جذاذا إلا كبيرا لهم لعلهم إليه يرجعون . قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين . قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم . قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون . قالوا أأنت فعلت هذا بـ هتنا يا إبراهيم . قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون**) الانبياء/ ٥٧ ـ ٦٣ .

ويرد على هذا :

بأنه عليه السلام لم يكذب ، لانه لم يقصد اسناد الفعل الى الصنم حقيقة ، بل الى نفسه وانما اراد الاستهزاء والسخرية بهم والتعريض بضعف فكرهم واعتقادهم واعلامهم بأن الاصنام لا تضر ولا تنفع ولا تملك الدفاع عن نفسها ، وكأنه عليه السلام اراد ان يقول لهم : اذا كان عندكم شك في ان الاصنام لا تملك شيئا فارجعوا اليها وأسألوها .

ولهذا يحكي القرآن عودتهم الى انفسهم واحساسهم بأنهم هم الظالمون ويصفهم بالخيبة لتأكدهم ان الاصنام لا تنطق . يقول سبحانه وتعالى : (**فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون . ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون**) الانبياء/ ٦٤ و ٦٥ .

خامسا : ورد ان سيدنا ابراهيم طلب من الله ان يريه كيف يحيى الموتى ، وهذا يشعر بشك سيدنا ابراهيم في قدرة الله على الاحياء وشك الانبياء من الكبائر التي تتناف مع عصمتهم .

يقول سبحانه وتعالى : (**وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى**

قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم) البقرة/ ٢٦٠ .

ويرد على هذا :

بأن سيدنا ابراهيم يعلم علم اليقين ان الله قادر على الاحياء ولكنه يريد ان ينتقل من علم اليقين ـ اي المبني على الاستدلال ـ الى عين اليقين اي المطبوع في القلب .

سادسا : ورد في حق سيدنا يوسف عليه السلام ان امرأة العزيز همت بارتكاب الفاحشة معه وهم هو بنفس الشيء وهذا يتنافى مع القول بعصمة الانبياء .

يقول سبحانه وتعالى : (**ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين**) يوسف/ ٢٤ .

ويرد على هذا :

بأن الذي يجري في النفس له مراتب خمس : الاولى : الهاجس ، وهو ما يمر سريعا على نفس الانسان ، والثانية : الخاطر ، وهو ما يبقى في النفس ويتحرك فيها قليلا ، والثالثة : حديث النفس ، وهو التردد بين الفعل او الترك . المرتبة الرابعة : الهم ، وهو توجه النفس نحو الفعل والميل اليه .

وهذه المراتب الاربع لا يتناولها التكليف ولا يؤاخذ عليها الانسان وانما يؤاخذ ويقع تحت التكليف اذا انتقل من المرتبة الرابعة ودخل في المرتبة الخامسة وهي : العزم والتصميم وسيدنا يوسف عليه السلام بحكم طبيعته البشرية ولكونه قبل البعثة دخل مرحلة الهم ، الا انه لم يتجاوزها فلا شيء عليه اطلاقا .

يقول صلى الله عليه وسلم : قال الله عز وجل : « اذا هم عبدي بحسنة ولم يعملها كتبتها له حسنة ، فان عملها كتبتها عشر حسنات الى سبعمائة ضعف ، واذا هم بسيئة ولم يعملها لم اكتبها عليه » رواه مسلم عن ابي هريرة .

سابعا : ورد ان سيدنا موسى عليه السلام حينما دخل المدينة مستخفيا وجد رجلين يقتتلان احدهما من شيعته من العبريين والاخر من المصريين ، وحينما استغاث به الذي من شيعته على الذي من عدوه قام موسى بدفع المصري بكفه المضمومة الاصابع فسقط الرجل قتيلا ، وعلى هذا يكون موسى عليه السلام قاتلا والقتل كبيرة تتنافى مع القول بالعصمة ، وقد اعترف موسى بأنه ظلم نفسه بقتله للرجل والظلم كبيرة .

يقول سبحانه وتعالى : (**ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين** .

قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم) القصص/ ١٥ ـ ١٦ .

ويرد على هذا :ـ

بأن ما حدث كان قبل النبوة وان ما فعله موسى في الرجل هو الوكز وهو الدفع والضرب بالكف المضمومة الاصابع ، ولم يقصد موسى عليه السلام قتله ، وانما قصد دفعه بعيدا عن الآخر ، الا ان اجل الرجل حان في هذا الوقت . ومثل هذا يعتبر من الصغائر التي تحدث قبل البعثة ولا تشعر بأي خسة ولا تتنافى مع عصمة الانبياء .

وقد وصف موسى نفسه بالظلم لاحساسه بترك الاولى فقد كان من الاولى ان يترفق بالرجل ويدفعه بالكلام لا باليد .

ثامنا : ورد في حق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قوله سبحانه وتعالى : **(ووجدك ضالا فهدى)** الضحى/ ٧ وظاهر الاية الكريمة اشعر بعض الناس انه عليه الصلاة والسلام ارتكب بعض الذنوب التي تخل بالعصمة .

ويرد على هذا :ـ

بأن الضلال يراد به : اما ضلال الشرك واما ضلال الهوى واما ضلال الطريق ، والرسول صلى الله عليه وسلم مبرأ عن الشرك وعن الهوى ، بقي ضلال الطريق فهو عليه الصلاة والسلام نشأ في بيئة جاهلية تعبد الاصنام في جانب وفي جانب ثان تقول بألوهية المسيح وفي جانب آخر تدعي ان عزيرا بن الله ، ولطهره وحبه للخير كان يتمنى هداية هؤلاء الضالين عن الحق ، الا انه لا يعرف المنهج او الطريق الذي يسلكه لهدايتهم ولهذا ظل متحيرا ، وآثر التحنث وحده في الغار بعيدا عن التخبط الجاهلي ، وكلما رجع الى القوم فزع ، وازداد حيرة في بحثه عن طريق لهدايتهم وظل الامر كذلك الى ان جاءه جبريل عليه السلام بالمنهج الرباني والطريق الحق الذي استطاع به اخراج الناس من ظلمات الجهالة والشرك الى نور الايمان والوحدانية . ويقول الفخر في تفسير الاية الكريمة : **(ووجدك ضالا فهدى)** أي : « وجدك ضالا عن النبوة فهداك اليها ، ووجدك ضالا عن المعيشة وطرق الكسب ، ووجدك ضالا في زمان الصبي في بعض المفاوز ».

تاسعا : يقول سبحانه وتعالى : **(ووضعنا عنك وزرك . الذي أنقض ظهرك)** الانشراح/ ٢ و ٣ والفهم الظاهري للآيتين الكريمتين يشعر بأنه عليه الصلاة والسلام ارتكب ذنبا عظيما وهذا يخالف العصمة .

ويرد على هذا :ـ

بأن المراد بالوزر ما يحسه الانسان من ثقل عظيم نتيجة للخوف او القلق او المعاناة الشديدة . ولقد فوجىء صلى الله عليه وسلم اثناء تحنثه بسيدنا جبريل ينزل عليه ويضمه

اليه ، ويطلب منه ان يقرأ ولم يكن لنبينا عهد بجبريل ولا بالقراءة ، ولهذا انتابه عليه الصلاة والسلام الخوف والقلق واحس برعدة في جسمه الشريف ، فخرج مسرعا من الغار وفي منزله طلب من السيدة خديجة رضي الله عنها ان تزمله وان تدثره - ومع تكرار نزول جبريل وعلمه بأنه من عند الله سبحانه وتعالى شعر بالانس والاطمئنان وزالت مخاوفه مثله تماما مثل من كان يحمل على كاهله ما لا يطيق ، ثم رفع عنه فانه يحس بالراحة . وفي بداية الدعوة لم يكن للقوم الف بالدين ، ولهذا تحمل عليه الصلاة والسلام كثيرا من الايذاء النفسي والجسدي ، واراد سبحانه وتعالى بعد هذه المعاناة الشديدة هداية القوم .

يقول الفخر الرازي : « الوزر في اصل اللغة هو الثقل . قال تعالى : (**حتى تضع الحرب أوزارها**) محمد/ ٤٠ اي اثقالها ، وانما سمى الذنب بالوزر لانه يثقل كاسبه ... وهو عليه الصلاة والسلام كان في غم شديد لاصرار قومه على الشرك ، وانه كان هو واصحابه فيما بينهم مستضعفين ! فلما أعلى الله كلمته وعظم امره فقد وضع وزره »

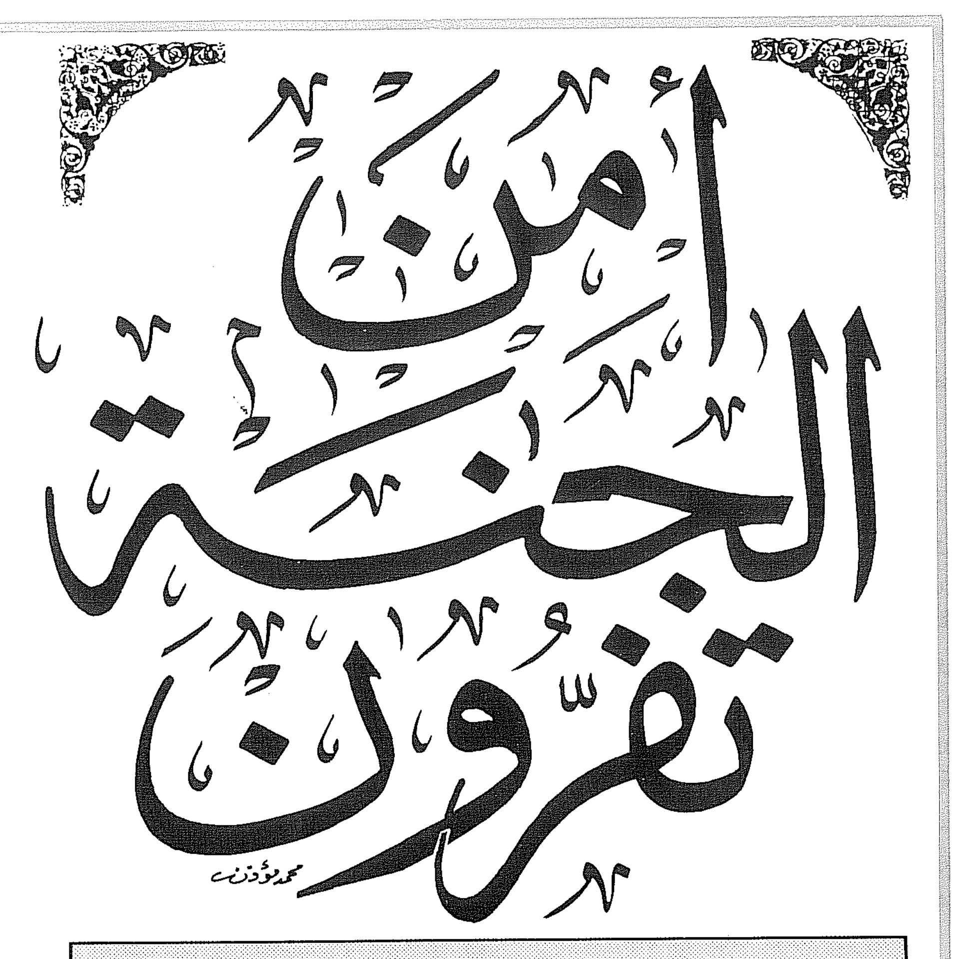
عاشرا : يقول سبحانه وتعالى : (**ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر**) الفتح/ ٢ يفيد الفهم الظاهر للنص الشريف انه حدثت مغفرة من الله سبحانه لرسوله عليه الصلاة والسلام والمغفرة لا تكون الا عن ذنب والذنوب تخل بالعصمة .

ويرد على هذا :-

بأننا قلنا : انه يجوز ان يصدر عن الانبياء قبل نبوتهم بعض الصغائر التي لا تشعر بخسة وعلى هذا فان المراد بما تقدم أي في صباك ، وما تأخر اي في شبابك او « ان المراد ما تقدم من ذنب امتك وما تأخر ، فان الرجل المعتبر اذا احسن بعض خدمه او اساء فانه يقال له انت فعلت ذلك وان لم يكن هو فاعله بنفسه » .

وفي تفسير آخر نستريح له ان المراد بالمغفرة لا مغفرة الذنب وانما المغفرة لترك الاولى ، ففي اسرى بدر مثلا قبل صلى الله عليه وسلم الفداء طمعا في هداية القوم فيما بعد ، وكان الاولى قتلهم حتى يذل الكفر ، ففي هذا الموقف ترك صلى الله عليه وسلم الاولى فعاتبه ربه سبحانه وتعالى واعلمه بما كان ينبغي ان يفعله في مثل هذه الحالة ، فمن حق الرسول ان يجتهد لكن المشرع سبحانه يصحح له الاتجاه في حالة ترك الاولى .

وأيضا فقد انشغل صلى الله عليه وسلم عن ابن ام مكتوم وهو من المسلمين السابقين وكان اعمى ، جاء يسأله عليه الصلاة والسلام في امر من امور الدين انشغل عنه بحديث مع كبير من كبراء قريش طمعا في هدايته للاسلام ، فعاتبه ربه سبحانه وتعالى لتركه الاولى . وقد سمي سبحانه ترك الاولى بالذنب ، لان محمدا خاتم الرسل ولا يجب ان يصدر عنه مثل هذا فعظم الموقف لعظمة صاحبه عليه الصلاة والسلام .

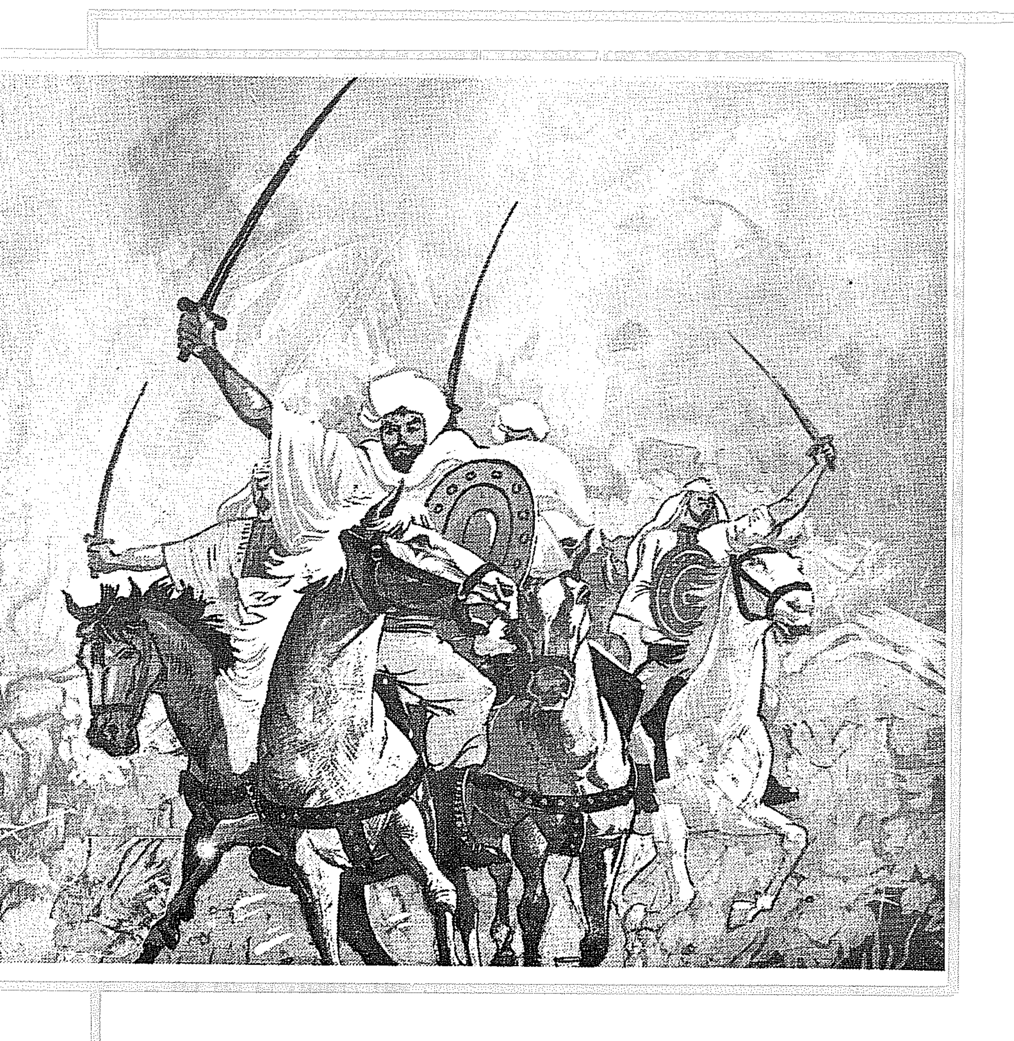


للاستاذ/ حسين القباني

كان من أوائل الشبان الذين بايعوا الرسول صلى الله عليه وسلم ، والذين صبروا على أذى قريش واضطهاد الكفار لهم والتربص بهم .. ولما أمر الرسول أصحابه بالهجرة الى الحبشة ، هاجر هو مع الفوج الثاني .

وكان يكنى « أبا العاص » ... ولكن الرسول عليه الصلاة والسلام .. لفرط حبه له واعتزازه به .. غير هذه الكنية وسماه « أبا مطيع » .

انه هشام بن العاص بن وائل بن هاشم القرشي .. أخو عمرو بن العاص من الأب — أما أمه .. فهي حرملة بنت هشام بن المغيرة ..



وقد دخل في الاسلام قبل أخيه عمرو .. ورغم أنه أصغر منه سنا ..
وكان عمرو بن العاص يقول عنه دائما : « أسلم قبلي واستشهد وبقيت ... » .
هذا يعني بوضوح أن عمرا كان يرى أن أخاه الأصغر أفضل منه ... لأنه أسلم قبله ، واستشهد قبله أيضا .
وعاد من الحبشة الى مكة ، بعد أن علم بهجرة المصطفى عليه الصلاة والسلام الى المدينة .. وقرر أن يلحق بالرسول ، ولكنه كان يعلم أن المشركين كانوا يتربصون بهم ، ويمنعونهم من اللحاق بالرسول في المدينة حتى لا يكثر عددهم وتقوى شوكتهم ... وكان هشام ملهوفا الى

الوقوف بجانب حبيبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ... فراح يلتمس السبيل للهرب الى المدينة ، ومن ثم اتفق مع عمر بن الخطاب وعياش بن أبي ربيعة رضي الله عنهما للهجرة معهما .. وتواعدوا على اللقاء سرا عند اضاءة - أي غدير - بني غفار على مسافة أميال قليلة خارج مكة .

وفي الوقت المحدد شرع هشام في تنفيذ المخطط ... ولكنه ما أن سار في الطريق الى مكان اللقاء ، حتى فطن أهله بأمره .. فلحقوا به وأمسكوه .. وكذلك فعل أهل عياش بن أبي ربيعة ... وأودعوهما السجن بمكة ... ليأمنوا هجرتهما ... أما عمر بن الخطاب .. فقد استطاع أن يهاجر في تلك الليلة .. وينجو من لحاق المشركين به ..

وظل هشام في سجن مكة بضع سنين ، يلقى من ألوان العذاب ما يهد الجبال .. ولكنه صبر وتجلد وقاوم وهو يؤمن بأن فرج الله قريب .. وكان الرسول كلما جاءته أنباء هذا العذاب الذي يصبه المشركون على سجناء المسلمين .. دعا ربه في قنوت الصلاة ، والمصلون من ورائه يرددون :

« اللهم انج الوليد ، وسلمة بن هشام ، وعياش بن أبي ربيعة ، والمستضعفين من المؤمنين » .

واستجاب الله لرسوله .. فنجا عدد كبير من سجناء المسلمين في مكة .. ولما طال السجن بهشام بن العاص .. وعياش بن أبي ربيعة ... قال الرسول عليه الصلاة والسلام لأصحابه :

- من لي بعياش بن أبي ربيعة وهشام بن العاص ..؟

وكان الوليد بن الوليد بن المغيرة ، قد نجا من سجنه ولحق بالرسول الكريم في المدينة ، فلما سمع هذا القول ، وثب واقفا وقد انتضى سيفه وقال :

- أنا لك يا رسول الله ..

ووضع الوليد خطة لانقاذهما .. فتنكر في ملابس وسمت غير ملابسه وسمته ، ومضى الى مكة كغريب جاء لبعض شأنه .. وراح يتلطف مع الناس ويسأل حتى عرف مكانهما ، فاذا هما في سجن تقوم عليه الأسوار ... مقيدان لا يستطيعان حراكا .. ولكنه لم ييأس .. ولم يهن .. وانما انتهز ليلة ظلماء هوجاء الريح .. فتسلق الأسوار في غفلة من الحراس .. وهبط الى السجن ، وتحسس الطريق الى السجينين حتى عثر بهما .. وسرعان ما فك قيودهما .. وخرج بهما مستخفيا الى بعير كان قد أعده سرا خارج مكة .. وعاد بهما الى الرسول الكريم ، الذي سر بنجاتهما سرورا كبيرا وحمد الله وأثنى على شجاعة الوليد وعلو همته ..

وتتحدث كتب التاريخ على مختلف مصادرها عن شجاعة هشام بن العاص في الحروب .. وفي اخلاصه وتفانيه لنشر دعوة الاسلام واعلاء كلمة الله في الأرض .. فما من مهمة عسكرية يرسله الرسول فيها الا ويعود مؤزرا بالنصر والتوفيق .... وقد روي عن الترمذي والنسائي ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال عن هشام وأخيه عمرو : « مؤمنان .. هشام بن العاص .. وعمرو بن العاص » ..

والايمان مرتبة أعلى من الاسلام .... وما من شك في أن كل مسلم يتمنى أن يشهد له الرسول الكريم شهادة كهذه ... وليس بعد شهادة الرسول شيء ..

ولم يكن هشام بطلا صنديدا في الحرب وحسب .. ولم يكن مؤمنا عظيم الايمان فقط .. وانما كان على رجاحة عقل وحسن تدبير وبلاغة قول .. فلا عجب أن وثق به أبو بكر رضي الله عنه ، بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فأرسله الى ملك الروم مندوبا عنه في التفاوض معه لشأن ما من شئون الدعوة الاسلامية ، فكان نعم المندوب ، وخير السفير .

ثم جاءت معركة أجنادين بين الروم والمسلمين في أرض فلسطين ... وشارك فيها هشام وأبلى بلاء حسنا .. وكان معه أخوه عمرو .. وقد أعان كل منهما أخاه استعدادا للمعركة ... وفي هذه المعركة ، لاحظ هشام بعض التراخي في صفوف المسلمين .. فاندفع الى قلب الأعداء ، وقد سيطرت عليه الحماسة ... وغلبه الشوق للاستشهاد مع النصر .... وأرسل صيحته المشهورة يحث بها اخوانه في الجهاد :

« أنا هشام بن العاص .. أمن الجنة تفرون » ..

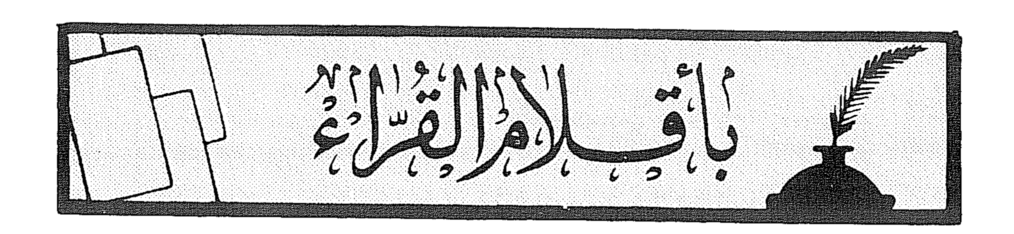
وتدافع المجاهدون وراءه يتسابقون الى الاستشهاد والجنة .. وكان لهشام ما أراد .. فانتصر المسلمون .. واستشهد هو .. وقال أخوه عمرو بعد أن جمع أشلاءه من أرض المعركة :

« أيها الناس .. ان الله قد استشهده .. ورفع من روحه » ..

وظل عمرو كما سبق القول ، يتحدث عن أخيه هشام ويذكر فضله ، ويقول :

- لقد شاركنا في المعركة .. وأعان أحدنا الآخر ، وعرضنا أنفسنا على الله .. وكلنا يسأل الله الشهادة ، فقبله وتركني .. وحرمتها ورزقها ..

ألا ما أعظم هؤلاء الرجال .. ألا ان في سيرتهم لعبرة ومثلا يحتذى .. وحسبهم مكانة عند الله .. أنهم كانوا يتسابقون الى التضحية بالنفس في سبيل الله ... ويتفاخرون ، لا بالأحساب والأنساب .. وانما بالسبق في الشهادة والفداء ...



تكريم المصحف

جاءنا من فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز الرئيس العام لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد هذه الكلمة في الحث على تلاوة القرآن الكريم وتدبره وتكريمه وعدم امتهان شيء من الاوراق والصحف التي تحمل آياته :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الاولين والاخرين نبينا محمد وعلى اله واصحابه اجمعين . اما بعد :

فان القرآن كلام الله تعالى انزله على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ليكون هدى ونورا للعالمين الى يوم القيامة وقد اكرم الله صدر هذه الامة بحفظه في الصدور والعمل به في جميع شئون الحياة والتحاكم اليه في القليل والكثير ولا يزال فضل الله سبحانه ينزل على بعض عباده فيعطون القرآن حقه من التعظيم والتكريم حسا ومعنى ولكن هناك طوائف كبيرة واعداد عظيمة ممن ينتسب الى الاسلام حرمت من القيام بحق القرآن العظيم وما جاء عن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم واخشى ان ينطبق بحق كثير منهم قوله تعالى (**وقال الرسول يارب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا**) اذ اصبح القرآن لدى كثير منهم مهجورا هجروا تلاوته وهجروا تدبره والعمل به فلا حول ولا قوة الا بالله . ولقد غفل كثير منهم عما يجب عليهم من تكريم كتاب الله وحفظه اذ قصروا في مجال الحفظ والتدبر والعمل كما لم يقوموا بما يجب من التعظيم والتكريم لكلام رب العالمين ولقد عمت بلاد المسلمين المنشورات والصحف والمجلات وكثيرا ما تشتمل على ايات من القرآن الكريم في غلافها او داخلها لكن قسما كبيرا من المسلمين حينما يقرؤون تلك الصحف يلقونها فتجمع مع القمائم وتوطأ بالاقدام بل قد يستعملها بعضهم لاغراض اخرى حتى تصيبها النجاسات والقاذورات والله سبحانه وتعالى يقول عن كتابه الكريم (**انه لقرآن كريم . في كتاب مكنون . لا يمسه الا المطهرون . تنزيل من رب العالمين**) والاية دليل على انه لا يجوز مس القرآن الا اذا كان المسلم على طهارة كما هو راي الجمهور من اهل العلم وفي حديث عمرو بن حزم الذي كتبه له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يمس القرآن الا طاهر . ويروي عن ابن عمر .. ان النبي صلى الله عليه وسلم قال (**لا تمس القرآن الا وانت طاهر**) وروى عن سلمان رضي الله عنه انه قال لا يمس القرآن الا المطهرون فقرأ القرآن ولم يمس المصحف حين لم يكن على وضوء . وعـــن سعد انه امر ابنه

بالوضوء لمس المصحف . فاذا كان هذا في مس القرآن العزيز فكيف بمن يضع الصحف التي تشتمل على ايات من القرآن العزيز سفرة لطعامه ثم يرمي بها في النفايات مع النجاسات والقاذورات لا شك ان هذا امتهان لكتاب الله العزيز وكلامه المبين .

فالواجب على كل مسلم ومسلمة ان يحافظوا على الصحف والكتب وغيرها مما فيه ايات قرآنية او احاديث نبوية او كلام فيه ذكر الله او بعض اسمائه سبحانه فيحفظها في مكان طاهر واذا استغنى عنها دفنها في ارض طاهرة او احرقها ولا يجوز التساهل في ذلك وحيث ان الكثير من الناس في غفلة عن هذا الامر وقد يقع في المحذور جهلا منه بالحكم رايت كتابة هذه الكلمة تذكيرا وبيانا لما يجب على المسلمين العمل به تجاه كتاب الله واسمائه وصفاته واحاديث رسوله صلى الله عليه وسلم وتحذيرا من الوقوع فيما يغضب الله ويتنافى مع مقام كلام رب العالمين والله سبحانه المسئول ان يوفقنا والمسلمين جميعا لما يحبه ويرضاه



خواطر من وحي المصطفى

جاءنا من الاستاذ عبد الرزاق حسن العائش هذه القصيدة :

وليننتصر جيش الاخاء ويرتفع ... فوق المآذن للصلاح اذان
إيوان كسرى قد تصدع خاشعا ... ولعرش قيصر زلزلت اركان
بسمات فجر مزقت ثوب الدجى ... ما عذر من اغوتهم الاوثان
يا ويحهم عبدوا الدمى من صنعهم ... سحقا لرب ربه انسان
يا رحمة للعالمين تحية ... ومن التحايا ملجأ وامان
فاليك يا هادي الانام خواطري ... ما شابها كذب ولا بهتان
جئت الوجود ولم يزل في عهده ... طفلا تولى امره شيطان
فاذا الحياة خلية موبوءة ... تنمو بها الاحقاد والاضغان
واذا السلام جرائم وحشية ... ينمى اليها الجهل والحرمان
واذا القصيدة دمية يعنو لها ... ملك الملوك وتنحني تيجان
مرض النفوس من العسير علاجه ... حتى اتى بشفائه القرآن
فاذا الحياة رياض حب صادق ... ثمراتها المعروف والاحسان
واذا السلام تآلف ومودة ... ينمى اليه العلم والعرفان
وطن رفعت من الحضيض كيانه ... بلغ المدى رفعت به اوطان
ورست على حب الوئام دعائم ... فتفيأت بظلالها الاكوان
وسرت على النهج القويم قوافل ... وحدت على نغم الهدى ركبان
فمن العجائب ان تفرق امة ... نادى بجمع صفوفها الفرقان

بريد الوعي الإسلامي

الاشتراك بالمجلة

إلى طالبي الاشتراك بالمجلة يمكنكم تأمين وصول أعداد المجلة إليكم بالاشتراك فيها عن طريق متعهد التوزيع في بلادكم ، وفي صفحة الغلاف الداخلية الأخيرة بالمجلة ثبت بأسماء متعهدي التوزيع ، وإن لم يكن بالقرب منكم متعهد توزيع فيمكنكم الكتابة إلى الشركة العربية للتوزيع ص . ب (٤٢٢٨) - بيروت . لبنان .

والشركة ستتولى تأمين وصول المجلة إليكم في موعدها إن شاء الله .

الاستطلاعات

الأخ جمال رمضان ثابت - ج. م.ع

يطلب أن تخصص المجلة صفحات أكثر لتفسير القرآن الكريم ، وأن تواصل جولاتها الاستطلاعية عن أحوال المسلمين ومآثرهم الحضارية ، لأنه لاحظ توقف ذلك .

ونقول للأخ جمال :

إن المجلة حريصة على أن تتصدر أعدادها مقالات ودراسات عن القرآن الكريم تفسيرا وشرحا واستنباطا للأحكام وإظهارا لحكم الله في أوجه حياتنا المختلفة ، ولا يكاد عدد يخلو من ذلك .

أما عن الاستطلاعات فان المجلة لا تألو جهدا في التعريف بأوطان المسلمين وأوضاعهم ودراسة الآثار الاسلامية كلما رأت ذلك مفيدا ، وهي إذ توقف نشاطها في هذا الميدان لبعض الوقت فلكي تثب وثبة أخرى فتستعرض أوضاعا جديدة لعالمنا الاسلامي .

ونشكركم لاهتماماتك الاسلامية ، وحرصك على مطالعة مجلتك ، والله يوفق للخير دائما .

الأهل وزواج ابنهم

نقول للأخ سعد عمار الثابت - من تونس :-

إن الزواج حالة اجتماعية ، ترتبط فيها أسرة بأسرة لتنشأ بينهما علاقة مصاهرة ، ومن هنا فان الاسلام حريص على أن يحظى الزواج بموافقة الأهل ورضاهم ، وأن يكون الزواج

مظهر فرح للجميع ، ولما كانت خبرة الشاب ـ أو الفتاة ـ في مثل هذه الأمور محدودة ، فان الوالد والوالدة يقدمان النصح ، ويرشدان ابنهما إلى من تصلح له زوجا ، ويكون ذلك من واقع حبهما لابنهما وحرصهما عليه .

وليس الحب ، أو العشق على حد قولك ـ هو كل شيء في الزواج، بل ذات الدين والأخلاق الفاضلة أولا ، والرغبة في إعفاف النفس ، وإنجاب النسل الصالح من زوجة صالحة ، وقد تغيب عنك أشياء كثيرة لابد من توافرها فيمن تريدها زوجة لك ، ولا تهتم إلا بمظهرها فقط ، والمظهر غالبا ما يكون خداعا خصوصا في فترة الخطوبة ، فكل من الخطيبين حريص على أن يظهر بأحسن مظهر ، ومن هنا فان الولد العاقل ينشىء حوارا بينه وبين والديه ، حتى يقتنع بوجهة نظرهما أو يقنعهما هو بوجهة نظره ، وبذا يتم الفرح في أجمل صورة ، حيث رضا الوالدين من رضا الله سبحانه .

أما إذا استعصى الوفاق ، فاحرص على إرضاء والديك ، ولا تسيء إليهما ، مع العلم بأنه ليس لهما أن يرغماك على الزواج ممن لا تريدها ، ولا أن يمنعاك من الزواج بمن تحبها ، ولعل ذوى القربى يستطيعون التوفيق بينكم ، والله يتمم على خير .

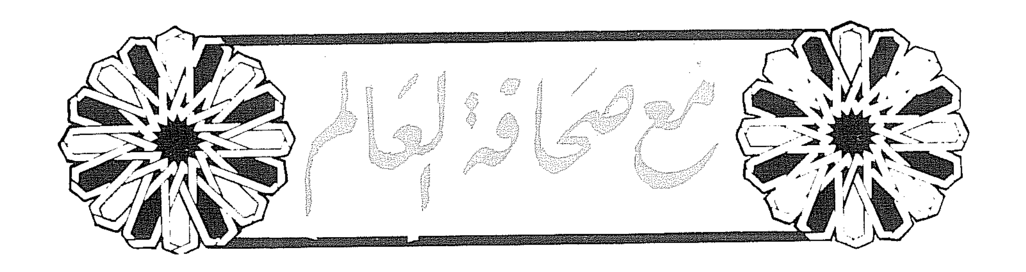
أكثر الله أمثالها

حمل البريد إلينا رسالة الأخ الاستاذ محمود زيدان سفاريني .. كتب فيها تحت عنوان « أكثر الله أمثالها » يقول :ـ

عرفتها والدة لثمانية أطفال ، توفي زوجها منذ سنوات وأبقاها وصغارها بدون وارد سوى ما يقدمه لها أهل الخير ، فخصصت لها من فاعل خير راتبا شهريا مقداره ٣٠ دينارا ، واستمر الحال على هذا المنوال ست سنوات .

وفي المرة الأخيرة ، وقبل فترة قصيرة ، ذهبت لأعطيها المبلغ كالعادة ، فأبت وقالت . الآن أعلمك أن ابننا الأكبر قد تخرج وعمل. ومن فضل الله فقد أصبحنا الآن بنعم . وبما أنني ياأخي ذقت مرارة الفقر ، فاني أصبحت أشعر بحالة الأرامل الفقيرات ، وأتألم لهن كثيرا . وعلى هذا الأساس فاني أريد تخصيص مبلغ « ٣٥ » دينارا اردنيا شهريا للأرامل والأيتام وللعائلات المستورة من راتب ابني هذا . وقالت تفضل ، هذه الـ « ٣٥ » دينارا الدفعة الأولى في سبيل الخير . وقالت لي : أرجو منك ياأخي أمرين . الأول : أن تقول لكل عائلة « مستورة » تذهب إليها : إن الله مع الصابرين ، وليس بعد الضيق إلا الفرج . والثاني : أن تطلب من الأرامل اللواتي يخصهن نصيب من مبلغنا هذا أن يدعون لولدنا بالتوفيق والصحة والعافية كما كنت تطلب مني أن أدعو بالخير لأبناء من كانوا يحسنون لنا عن طريقك

فخرجت من بيتها وأنا أقول : دنيا تحوي أمثال هذه المرأة المتواضعة الصابرة الكريمة فانها لازالت بخير ..



قرية كاملة تعتنق الاسلام

نشرت صحيفة الرائد المغربية بتاريخ ١٩٨١/٩/٣٠ تحت هذا العنوان تقول :

كانت زيارة (ميناكشي بورم) التي تعرف الآن « برحمت نجر » بعد أن اعتنق معظم سكانها الاسلام وغيروا اسم القرية ، أسعد لحظات الحياة ، وأمتعها ، وقد كنا سمعنا وقرأنا في الصحف عن إسلام جماعة كبيرة تتراوح بين ٨٠٠ إلى ألف شخص ، وما آثار هذا الحادث من صدى في الأوساط السياسية ، ولكن الزيارة تركت آثارا لا تمحى ، فان إجتماع الاخوان الجدد الذين دخلوا في الاسلام ومظاهر الاخاء الاسلامي الذي يقضي على سائر الفوارق الاقتصادية والاجتماعية والحماس والروح والعواطف المتدفقة وبريق الأمل في المستقبل الزاهر الذي كان يتجلى في وجه المسلمين الجدد ، كان قد بعث في القلوب الأمل في مستقبل الاسلام وصلاحيته لجذب القلوب ، وقوته في التآخي .

وصلنا إلى القرية من مصيف كوتالم حيث انتقلنا [illegible] بعد [illegible] زيارة ترو[illegible]ـلي ، و[illegible] المس[illegible] الجدد وعدد كبير من الدي[illegible] كانوا يعزمون إعتناق الاسلام قد إحتشدوا في حفل شيق ، كان قد زين باللافتات التي تحمل آيات قرآنية ، وكلمة لا إله إلا الله ، وكانت الوجوه مستبشرة ، يلوح فيها نور الايمان ، قلوب صافية كاللوحة البيضاء بعد أن هدم الاسلام ما كان قبله ، وزكي القلوب .

بدأ الحفل بتلاوة آية من الذكر الحكيم ثم ردد سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي كلمة الاسلام فدخل أكثر من ١٥٠ شخصا في الاسلام وعلت هتافات الله أكبر ، وسبق أن أسلم أكثر من ألف شخص بفضل جهود الدعاة المحليين وخاصة جهود جمعية إشاعة إسلام في ترنلوبلي ، التي يرأسها الشيخ عبدالرحمن الرفاعي .

وتحدث سماحة الشيخ الندوي بهذه المناسبة وأعرب عن غبطته بحضور هذه المناسبة السعيدة ، وأوضح أن الاسلام يهدم ما كان قبله ، وأن الذي يسلم إيمانا وإحتسابا كان كمن ولدته أمه ، وقال إن الله شرفكم بالاسلام وهو نعمة

عظيمة لا تساويها نعمة ، وأصبحتم إخوانا لنا ، لا فضل بيننا وبينكم إلا بالتقوى ، وهنا سالت الدموع من العيون ، ودموع الفرح أحلى الدموع ، وذكر سماحته قصص الصحابة رضي الله عنهم . كيف كانوا يتسابقون إلى الخير بعد الاسلام ، ويصبحون دعاة إلى الاسلام ، ثم دعاهم إلى التمسك بتعاليم الاسلام والاهتمام بالاخلاق الحسنة ، وتعلم مبادىء الاسلام ونظام حياته ، والتوحيد الخالص ، وبدء الحياة من جديد ، وأكد سماحة الشيخ الندوي ضرورة فتح مدارس ، ومراكز لتربية البالغين ، وتعليم الأطفال للمسلمين الجدد ونشر التعاليم الاسلامية ، واطلع على الاجراءات التي تتخذها الجمعيات الاسلامية في المنطقة في هذا المجال .

سؤر المؤمن شفاء

لقد اهتزت الجماهير بهذه التجربة الغريبة في حياتهم ، فقد مر المسلمون الجدد في جاهليتهم بتجربة قاسية ، كان يحرم عليهم أن يجلسوا مع أعضاء الطبقة الراقية من الهندوك ، أو يأكلوا معهم ، أو يستخدموا الآبار التي يستعملونها ، فضلا عن الشرب أو الأكل في إناء واحد ، ومروا باحتقار ومذلة ، ولكن هذا الحفل الاسلامي شهد تجربة جديدة خلفت أثرا طيبا ، إذ قدمت كأس إلى المسلمين الجدد ليشربوا منها فشربوا منها ثم شرب منها العلماء والقادة الجالسون على المنصة ، وفي مقدمتهم سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي ، والاستاذ عبدالكريم باريكة ، ورئيس العصبة الاسلامية ، ونواب البرلمان الآخرون من المسلمين ، وكان في هذا السؤر شفاء لما في الصدور ، فسبحان من شرفنا بنعمة الاسلام .

وبعد هذه الحفلة التاريخية توجهنا إلى مسجد متواضع بناه المسلمون الجدد بأيديهم حديثا بعد أن هجروا معبدهم الهندوكي ، وصلينا المغرب مع الأخوان والمصلين الجدد ، ومرة أخرى تلاشت سائر الفروق ، وقام في صف واحد ، رجال مختلف الطبقات الذين وحدهم الاسلام .

قصة الاضطهاد الذي يدفع فقراء الهند لاعتناق الاسلام

كما ذكرت جريدة الاتحاد الظبيانية بتاريخ ١٩٨١/٩/٢٦ حول هذا الموضوع ايضا وقالت تحت هذا العنوان :

نيودلهي ـ أ ف ب : خرج حوالي مائتي شخص من المنبوذين الهندوس وقد حملوا امتعتهم القليلة على عربات تجرها الثيران وارتدوا اسمالا بالية

فرارا من قريتهم « نيزامبور » الواقعة على بعد حوالي ثلاثين كيلو مترا من نيودلهي . بحثا عن الحماية في العاصمة الهندية من مضايقات السكان ورجال البوليس في قريتهم التي تنتمي الى الطبقة الهندوسية العليا .

وصرح أحد « الهارجيان » (وهو الأسم الذي يطلق عادة في الهند على المنبوذين أي الطبقة الدنيا من الهندوس) قائلا (إننا نرغب في العيش كبني البشر الآخرين .. إنهم (يقصد هندوس الطبقة العليا) يضربوننا حينما يشاءون ويعتدون على زوجاتنا حين تستبد بهم الرغبة ويضرب أطفالهم أطفالنا في المدارس من باب اللهو .. لقد تحملنا كل ذلك سنوات طويلة ولكننا قررنا الاحتجاج الآن » .

وقد احتل المنبوذون فجأة أحداث الساحة في الهند منذ أن قرروا اعتناق الاسلام أو البوذية للافلات من المصير الذي ينتظرهم وكذا اعتنق عدة آلاف من الهاريجان (أبناء الله) الاسلام في جنوبي الهند ويعتنق حوالي مائتي ألف آخرين البوذية خلال الشهر القادم خلال تجمع كبير سيعقد في أحمد أباد مركز صناعة النسيج في غرب الهند . ويمثل الهاريجان وهم الطبقة الدنيا في النظام الهندوسي حوالي ١٥٪ من السكان في الهند أي ١٠٣ مليون نسمة من بين تعداد السكان في الهند البالغ ٦٨٠ مليون نسمة ويعمل أغلبهم في صناعة الأحذية والخدمة في المنازل أو كعمال زراعيين .

وتعد المصادمات بين المنبوذين وأفراد الطبقة العليا ظاهرة حديثة العهد إذ طالما اعتقد الهاريجان حتى وقت قريب أنهم إنما خلقوا لخدمة الطبقة العليا ولم يحدث قط أن إحتجوا أبدا حتى في حالة تعرض البعض منهم للضرب الذي يفضي للموت أو في حالة تعرض بناتهم للاعتداء . إلا أنه بعد حصول الهند على الاستقلال في عام ١٩٤٧ حصل الهارجيان على بعض الحقوق لاسيما حق مجانية التعليم وحق التعيين في بعض الوظائف العامة التي كانت قاصرة على فئات متميزة وقد انخرط بعض الهاريجان في العمل السياسي وأصبح البعض منهم وزراء كما يشغل البعض منهم مقاعد في البرلمان الفيدرالي وقد أدى تمردهم إلى وقوع حوادث دامية بينهم وبين هندوس الطبقة العليا خلال الأعوام الأخيرة الماضية وقد قرروا الآن الانضمام جماعة إلى بعض الطوائف الدينية الأخرى . إلا أن أغلبية الهاريجان في الريف الهندي تعيش إلى الآن كقطعان الماشية حيث تتعرض للتعذيب إلى حد الموت في بعض الأحيان عند أقل بادرة احتجاج ويسكن الهاريجان عند أطراف القرى في مساكن بنيت بالطين ويعملون ١٨ ساعة يوميا مقابل وجبة واحدة أو أحيانا مقابل رداء ويحظر عليهم استخدام مياه الآبار الخاصة بالطبقة العليا .



« إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨) بيروت ـ لبنان او بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر : القاهرة ـ مؤسسة الاهرام ـ شارع الجلاء .

السودان : الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص.ب (٣٥٨)

ليبيا : طرابلس ـ المنشأة العامة للتوزيع والنشر .

الجزائر : الشركة الوطنية للصحافة ٢٠ شارع الحرية

المغرب : الدار البيضاء ـ سابرس ـ محمد برادة

تونس : الشركة التونسية للصحافة .

لبنان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨)

الاردن : عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : (٣٧٥)

السعودية : جدة : مكتبة مكة ـ ص.ب (٤٧٧)

الخبر : مكتبة مكة ـ ص.ب (٦٠)

الرياض : مكتبة مكة ص.ب (٤٥٢)

مسقط : المؤسسة العربية للتوزيع والنشر ـ ص.ب (١٠١١)

صنعاء : دار الفكر

البحرين : دار الهلال

قطر : دار العروبة ص.ب ٦٣٣

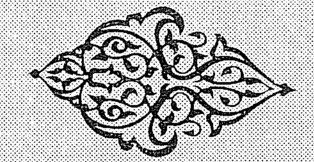
ابو ظبي : المؤسسة العامة للطباعة والنشر ـ ص.ب (٦٧٥٨)

دبي : دار الحكمة ص.ب (٢٠٠٧)

الكويت : مكتبة الكويت المتحدة

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة .

محتويات العدد



طباعة مؤسسة دار السياسة – الكويت –